زبير سيف الإسلام

الجزء الثاني

تاريخ الصحافة في الجزائر

70

المركز الثقافي
امين المكتبة
فلاوسن
13620

ولاية تلمسان
المركز الثقافي البلدي
بلدية فلاوسن

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم النشر 82/1137
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر : 1982

الزبير سيف الاسلام

تاريخ الصحافة في الجزائر

الجزء الثاني

صحافة الجزائر في عهد الامبراطورية
الفرنسية الثانية 1850 - 1870 ميلادية

« الاهداء »

إلى أبي

محمد مبارك محمد صالح أوذينة الذي علمني الوطنية . . وعلمني كيف أحب بلدي الصغير . . ووطني الكبير . .

وعلمني التضحية والفداء من اجلهما .

إلى أمي

عائشة عمار منصور التي أرضعتني من ثديها حليب الوطنية والعزة . . والاعتزاز بالأجداد والأمجاد . . بالعروبة والاسلام . . في الوقت الذي هيمن فيه المسخ والتفرنس

«رب ارحمهما كما ربياني صغيرا»

صدق الله العظيم

الزبير

كلمة شكر وتقدير

يسعدني وأنا أضع هذه الدراسة من تاريخ الصحافة في الجزائر (الجزء الثاني والثالث) بين يدي القارىء العربي الكريم أن أتوجه بالشكر الجزيل وبالتقدير والعرفان إلى زوجتي الفاضلة السيدة نفيسة فارح - أوذينة على المساعدة القيمة التي قدمتها لي والمناخ المناسب، والراحة المطلوبة لمثل هذا العمل التي وفرتها لي . . وعلى تحملها فوضى بعثرتي للكتب . . لعشرات الكتب ومئات الجرائد والمجلات والوثائق والأوراق والمذكرات التي اتركها في كل ركن من أركان البيت . . في غرفة النوم . . في غرفة الأكل . . في قاعة الجلوس . . في مدخل البيت . . في السيارة . . في رفوف المكتبة . . و . . .

فأينما جلست، أو مررت في بيتنا إلا وتركت من ورائي كدسا من المطبوعات مبعثرا . .

فلقد تعبت معي لأنني . إذا وضعت كتابا أو جريدة أو وثيقة ما في مكان ما بطريقة فوضوية، فإنني أريد هذا الكتاب أو تلك الوثيقة أن تبقى في مكانها لكي ارجع إليها عند الحاجة . . ففي هذه الفوضى أجد ضالتي . . . وأم رضوان تريد أن يكون بيتها نظيفاً مرتباً منظماً . .

فلها تقديري على تحملها فوضويتي . كما أتوجه بالشكر إلى الأخوة الذين ساعدوني بالقليل أو بالكثير على انجاز هذه الدراسة ومنهم الأخوة -

- محمود مسعودي الذي قدم لي مساعدة قيمة .

- الساسي مبروك، والأخت التجانية زيدان الذين قاما بطبع الدراسة على الآلة الكاتبة ومولود - محمد كوشة - الذين قاما بسحب الدراسة على آلة الرونيو لهؤلاء ولغيرهم شكري الجزيل .

المؤلف

كلمات نقد في الجزء الأول

الجزء الأول من كتاب تاريخ الصحافة في الجـــزائر

في نظر
الدكتور محمد سيد محمد
أستاذ الصحافة في جامعة الجزائر

تواكب حركات البعث الاجتماعي نظرات جديدة في التاريخ الوطني للشعوب ، وكما ينفض المرء عن نفسه آثار الرقاد ، ينفض أبناء الوطن عن بلدهم أوراق الخريف المتراكم في الشتاء القارس الطويل ، حتى يمكن للبراعم النامية أن تتفتح وتزدهر تحت شمس الربيع . وكأن شجرة الحرية دائماً وأبداً عاشقة للجهاد والنضال ، يرويها الشهداء بدمائهم في مرحلة الثورة التحريرية ، ويرويها المناضلون بالدأب والعمل المستمر في مرحلة الثورة الاجتماعية .

هكذا كانت خواطري وأنا أقلب صفحات كتاب تاريخ الصحافة في الجزائر للأستاذ الزبير سيف الاسلام . والذي سجل فيه صدور الصحف في الجزائر خلال العشرين سنة الأولى من حياتها منذ عام 1830 إلى 1850 ، ولكن السؤال الذي قد يخطر على ذهن القارئ هو : لماذا كل هذا الاهتمام بتاريخ صدور الصحف في الجزائر وقد اصدرها المستعمر لخدمة أهدافه ؟ .

الواقع أن إجابة هذا السؤال لا تكفي فيها الاجابة التقليدية ببيان أهمية التاريخ لفهم الحاضر وتحقيق المستقبل المأمول . ذلك لأن تاريخ الصحافة في الجزائر له

أهمية خاصة . وإذا كان الفيلسوف الهندي «رادا كريشنان» يرى أن الانسان ليس وحدة مجردة أو عقلاً محضاً أو آلة صماء . . وإنما هو ثمرة من ثمرات التاريخ ، وأن جذور الانسان تمتد طويلاً في ماضي أجداده الاجتماعي والعنصري ، وأن التاريخ وحده هو الذي يحدد ماهيته ويبين اتجاهاته وأفكاره . وإذا كان «جلبرت مري» أحد أساتذة التاريخ اليوناني بجامعة «اكسفورد» يقول أنه لو كان لليونان صحف ، ولو أن صحيفة واحدة أو حتى صفحة واحدة من صحيفة وصلت إلى أيدينا لكانت معرفتنا بالتاريخ اليوناني أكثر حيوية وأعظم عمقاً مما عليه الآن .

إذا كان هذا هو رأي الفيلسوف الهندي وذاك رأي أستاذ التاريخ اليوناني فإنه مما لا شك فيه أن تاريخ الصحافة في الجزائر ـ كما قلت ـ له أهمية خاصة .

وإذا كان علماء الصحافة بوجه عام يتفقون على أن عمل الصحافة هو الاهتمام بالجماعات البشرية وتثقيفها وتسليتها وتناقل أخبارها ووصف نشاطها وتوجيهها إلى ما فيه خيرها ومنفعتها . . فإن الصحافة حين صدرت في الجزائر عام1830 لم يكن هذا عملها . . .

ولست أزعم أنني في هذه الكلمة استطيع أن أجلو الأهمية الخاصة بتاريخ الصحافة في الجزائر ، ولا أستطيع الزعم بأن هذا الكتاب الذي أقدمه للقراء استطاع أجلاء الأهمية الخاصة بتاريخ الصحافة في الجزائر . . ذلك لأن هذه الصحف أشبه بالكنز المدفون كلما أمكن كشف جانب منها تبينت لنا حقائق وتأكدت لدينا وجهات نظر . ويكفي مؤلف هذا الكتاب أنه بهذا التأليف يفتح الطريق إلى الكنز الدفين .

وليس موضوع هذا الكتاب هو الجديد وحسب ، بل أنه أول كتاب باللغة العربية يعالج تاريخ الصحافة في الجزائر . ولعل في ذلك صعوبة وميزة في وقت واحد . أما الصعوبة فهي صعوبة ارتياد كل جديد . أما الميزة فهي بكارة الموضوع وجدته . وستظل المكتبة العربية بوجه عام وفي الجزائر بوجه خاص فترة من الزمن تحمل سمات هذه الصعوبة والميزة معاً . لأن دراسة الصحافة في الجامعات العربية قريبة العهد إذا قورنت بنشأة هذه الجامعات وتطورها . وستظل ميزة البكارة والجدة في مجال الدراسات الصحفية العربية تمنح الباحثين والدارسين فرصاً واسعة في حرية

اختيار موضوعاتهم . وتكسبهم الشعور بالمسؤولية لتغطية فصول أبحاثهم بوفرة وعمق ، لأن هذه الفصول تحمل سمات الزيادة .

وقد استخدم المؤلف طريقة التحرير الصحفي في الكتابة فجعل هذه الصحف تتحدث عن نفسها . وهذه الطريقة أقرب إلى الفهم في تاريخ الصحف وأكثر عدلاً في تصوير شخصية الصحيفة . ولكن أبرز سلبيات هذا المؤلف ما يتعلق بالأسلوب . ولعل المؤلف يتدارك ذلك في طبعات تالية فيقوم ما أعوج من تعبير عربي لتستقيم لغة الكتاب .

وهذا الكتاب الذي يسعدني أن أقدمه لقراء العربية ليس إلا باكورة انتاج للأخ الزبير سيف الاسلام الذي تخرج في كلية الحقوق بجامعة الجزائر وله ديبلوم في الصحافة . ودرّس تاريخ الصحافة الجزائرية في المدرسة الوطنية العليا للصحافة بجامعة الجزائر . وهو يشغل الآن منصب رئيس تحرير مجلة الثورة والعمل . والمؤلف بحكم صلته بالصحافة صلة دراسة وصلة عمل وحرفة جدير بأن يتحمل مسؤولية التاريخ للصحافة في الجزائر ، أو على أقل تقدير أن يفتح باب هذه الدراسة فيجلها من بعده آخرون .

والله ولي التوفيق .

الجزائر في فاتح جوان / حزيران/ 1971

الجزء الأول من كتاب تاريخ الصحافة في الجـــزائر

في نظر
الأستاذ زين العابدين الكتّاني
بالديـــوان الملكي المغربـــي

قدم الاستاذ زين العابدين الكتاني في جريدة «الأنباء» المغربية التي تصـدر في الرباط ـ كتاب (تاريخ الصحافة في الجزائر) ناقداً ومحللاً تحت عنوان :

«كتاب الأسبوع» .

«تأليف الزبير سيف الاسلام ـ تقديم : ابـن خلـدون الصغـير» وابـن خلـدون الصغير هو الاسم المستعار للسيد زين العابدين الكتاني .

وهذا نص التقديم :

صدر بالجزائر أخيراً كتاب فريد ومهم في موضوعه بعنوان : (تاريخ الصحافة في الجزائر) للاستاذ الزبير سيف الاسلام .

والكتاب الجديد قامت بطبعه الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائرية في 160 صفحة من الحجم المتوسط مع ملحق لصور عدد من الصفحـات الأولى للجرائـد المدروسة وأربع صفحات أخرى لفهارس الكتاب الذي كلف مؤلفه حوالي الخمس سنوات من العمل والبحث (والتنقيب) .

وقد كتب السيد الزبير مدخلاً حلل فيه الظروف والامكانيات التي دفعته الى تحقيق الفكرة التي خامرته منذ أيام الكفاح المسلح ثم كيف شرع في البحث عن الوثائق والمعلومات التي تعينه على كتابة تاريخ الصحافة في الجزائر وما فوجىء به من عدم توفر المراجع والمصادر التي تذلل السبيل .

وتحدث بعد ذلك عن الطريقة التي ابتدأ بها تطبيق الفكرة وكيف اختار ان ينشر فصول دراسته في حلقات بمجلة ـ الجيش الجزائرية ربحاً للوقت ثم ليتمكن حسب ما ذكر من جمع المعلومات اللازمة وتفسيرها واكتشاف ما خفي عنه .

أما موضوع الكتاب فيتناول الحقبة الواقعة ما بين سنة 1830 وسنة 1850 التي حاول الاستاذ الزبير ان يستعرض فيها جميع الصحف التي انشئت بالجزائر خلال هذه المدة ، وهي حلقة اولى من حلقات ستتلوها فيما بعد ، خاصة وانها ابتدأت من أوّل جريدة صدرت في الجزائر على الاطلاق ، وذلك عندما أعد المستعمرون الغزاة العدة وجهزوا الحملة العسكرية بعتادها وعدتها التي لم تكن تحمل بين صفوفها غير هؤلاء الجنود ، وغير هؤلاء الضباط بل الى جانب هؤلاء جميعاً ضمت الحملة العسكرية رجال الثقافة والاعلام ، الذين كانت اسلحتهم الاقلام وفي ذلك الحين كانت الدعاية الصليبية تزيد من حماس المتطوعين وقد اثرت تأثيراً كبيراً حتى في الاوساط المثقفة واستسلم الكثير منهم لهذا التيار الجارف لغزو الجزائر فأسرعوا الى الانخراط في صفوف الحملة العسكرية ، واستغلتهم السلطات لاستخدامهم في ميادين اختصاصهم خاصة وان مشروع تأسيس جريدة فوق الاراضي الجزائرية كان الشغل الشاغل لقادة الحملة ورئيس الحكومة ، حيث تبودلت مراسلات عدة حولها .

ومن هؤلاء المثقفين الموزعين في مختلف الاسلحة جيء بإحدى ـ المعلقات ـ التي وزعت ايذاناً بصدور أول جريدة يومئذ باللفظ :

ان جميع محررينا هم تابعون الى الحملة العسكرية ، وهم ملحقون بمختلف الرتب ، ففيهم الضباط بمختلف الاسلحة وفيهم رجال الثقافة وحملة الاقلام وفيهم العلماء والتقنيون الذين سيعطون لهيئة التحرير منوعات كثيرة ، في الوقت الذي كانت فيه السلطات الاستعمارية تزيد في اضرام الحماس الصليبي لدى الفرنسيين

ادى بالعشرات من حملة الاقلام والثقافة والادب الذين تغلبت عليهم روح المغامرة الى الالتحاق بالجيش فكان بعضهم - يقول المؤلف - يريد منصباً وبعضهم يطلب عملاً ، وآخرون جرهم الى الصفوف حب الاطلاع على المجهول ، وفريق آخر يسعى للشهرة والمجد ، ولهذا الغرض بلغ ببعضهم الحماس الى أن دفع اموالاً باهظة لصندوق الحرب من أجل قبولهم في صفوف الحملة الاستعمارية التي لم تكن تهدف لغاية شريفة ، ولم تسع لتحقيق مبادىء مقدسة بل كان همها كما تأكد ذلك في صورتين واضحتين هما :

1 - إخضاع شعب بالحديد والنار واحتلال ارضه واغتصاب ممتلكاته وخيرات بلاده . مما جعل هذه الحملة العسكرية تشكل مادة جديدة حتى بالنسبة للمنطق الاستعماري مما ييسر لها ايضاً تأسيس جريدة فوق التراب الجزائري تنشر - أخبار الجيوش وانتصاراتها - وتوزع فوق التراب الفرنسي .

2 - وجريدة كهذه ، لهي سلاح قاطع له حدين فتخدم اغراضه داخل فرنسا امام الرأي العام الفرنسي بحيث تجعل من غزوات الجيوش انتصاراً سياسياً وبذلك تكون بالمرصاد للمعارضة التي لا تترك لها مجالاً للطعن في سياسة الحكومة وتخدم في نفس الوقت اغراضه ، واغراض الاستعمار وتظهر الحملة للرأي العام الاوربي بأنها تخدم اوربا قاطبة ضد الجزائر المحاربة التي قامت في وجه الملاحة الغربية قروناً عديدة وعرقلت غاياتها المشتركة .

ومن هنا من هذا المنطق تأسست بأرض الشمال الافريقي اول جريدة صدرت باسم - بريد الجزائر - لتكون الناطق الرسمي للاستعمار في الجزائر والمدافع عن مشاريعه العدوانية التوسعية وذلك تحت شعار جريدة - تاريخية سياسية وعسكرية -

وكانت هذه الصحيفة - كما جاء في افتتاحية اول عدد لها - الجريدة الوحيدة من نوعها ، فكان بوسعها في الميدان الافريقي بالخصوص ان تغطي كل الاخبار قبل غيرها ، وتحمل الى فرنسا بانتظام بواسطة سفينة بخارية -

وقد تولى مؤلف كتاب - تاريخ الصحافة في الجزائر الحديث عن هذه الجريدة وأحوالها من الصحف التي صدرت في الفترة التي سلفت الاشارة اليها والمحددة من

سنة 1830 الى 1850 بما يعطي للقارىء صنورة واضحة المعالم والغايات ، بروح وطنية صادقة .

اما الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه فيتكون من مدخل للكتاب ، وعرض عن نشأة الصحافة الفرنسية في الجزائر ثم دراسات لهذه الصحف حسب تاريخ صدورها وهي : بريد الجزائر ، والممرن الجزائري والنشرة الرسمية لعقود الحكومة ، والاخبار والسيبوس ، والجزائر ، وصدى وهران ، فرنسا الجزائرية ، وبريد افريقيا وجريدة المبشر العربية ، وافريقيا الفرنسية والجمهورية والمحروق ، والاطلس ، في حين ينتهي مؤلف الكتاب بدراسة العشرين سنة من تاريخ الصحافة الفرنسية ، في الجزائر بالاضافة الى فهارس مفصلة وضعها الاستاذ سيف الاسلام الزبير بدقة علمية يشكر عليها خصوصاً بالنسبة لصور الصحف التي تناولها بالدرس والبحث .

حقبة دقيقة وهادفة : وإذا ما انتقلنا مع الكاتب لنقلب تحليل ظروف امكانيات التحرير البشرية وتطور الجالية الاوربية ، والمجتمع حيث اهتم بصورة واضحة بالجانب الشكلي وذلك مما استخلصه من المجموعات التي تناولها بالدرس ثم . مما استخرجه من معلومات اشار في مصادرها فانتهى في حديثه عن تطور الجالية الاوربية يومئذ الى ان ظهور هذه الصحافة قد جعل هذه الجالية تبلغ درجة كبرى فاصبحت لا تعادلها قوة بما في ذلك قوة الجيش ومما زاد في قوة المستوطنين وجبروتهم - يقول المؤلف - انتشار الصحف في كل مكان والتي كانوا يضغطون بها على السلطات الرسمية ادى بهم الحال الى منع الوالي العام الجديد من النزول من الباخرة التي اقلته من فرنسا الى الجزائر .

ولكي يكون للقارىء نظرة على القوة التي اصبحت للاوربيين في الجزائر في ذلك التاريخ ثم انتشار الصحافة نقدم كمثال بأن عدد الفرنسيين المستوطنين بلغ من سنة 1830 الى عام 1841 — 41670 ؟ نسمة - بينما يبلغ عدد المستوطنين الاوربيين من جنسيات مختلفة 20220 نسمة - وارتفع هذا العدد من سنة 1841 الى سنة 1851 بالنسبة للفرنسيين الى 100467 نسمة - واصبح بعد ذلك بالنسبة للاجانب

من جميع اقطار اوربا ـ 76330 — نسمة ـ هذا بقطع النظر عن الجيوش التي كان تفوق المائة الف بكثير ومن هذا المجتمع الخليط بالمرتزقة خرجت هذه الصحف ، واليه كانت تكتب ، فكانت تنفعل بانفعاله ، وتعمل لتحقيق اغراضه واطماعه في الاستحواذ على شعب الجزائر واستعباد سكانه الى الابـد . . ولـكن ارادة شعب الجزائر المسلم ، بل والمؤمن بدوره التاريخي حقق معجزة الاسلام في عالم التكتلات عالم القرن العشرين في حربه ضد الصليبية ، واكد سفه هؤلاء المرتزقة وأحلام جيوش الكهان من خدمة الاستعمار وأذنابه الذين كانوا يزيدون في اضرام الحماس الصليبي عند مواطنيهم يومئذ «لتصبح الجزائر لا قاعدة لتموين جيوش الاستعمار فحسب ولكن ارضاً فرنسية يملكها ويحرثها اوربيون» كما عبروا عن ذلك غير ما مرة ، بل وكان شعار منطلقهم ، وتلك هي الفلسفة التي استنتجها المؤلف ايضاً من سطور كل الصحف التي تناولها بالدرس جملة وتفصيلاً وهو يفتح بكتابه هذا نافذة جديدة ،

وبعد ، فإذا كانت الاهمية التي تطبع هذا الكتاب هي الحقبة الهامة التي تناولها المؤلف بكثير من الدقة والحذر ، فالكتاب في مجموعه محاولة جادة لدراسة نشوء الصحافة في الجزائر الشقيقة بقلم جزائري خصوصاً وان الاستاذ الزبير بذل جهوداً ظهرت واضحة فيما كشفه لنا مما يتصل بالصحف المدروسة والقائمين عليها في حقبة ليس من السهولة تناولها بالدرس وهي حقبة العشرين سنة التي يحيط بها موضوعه . وهذا ما جعلنا نبارك له هذه الخطوة ونغض الطرف عن بعض الوقفات ما دام قد اتاح الفرصة لاول مرة للقارىء العربي بالخصوص للتعرف على نشوء الصحافة في الجزائر المسلمة ودورها بعد ان كان هذا الموضوعَ مطروقاً بصورة موجهة من طرف كتاب الاستعمار او موزعاً بين عدة مراجع ومصادر بعيدة عن البحث العلمي المجرد .

الفصـــل الأول

الصحافة في عهد الامبراطورية الثانية

- تمهيـد
و
- مدخـا

قـــيل فـــي الصحـــافيين

«إنني اعتقد أن هذا القرن التاسع عشر سيكون قرن الصحـافيين وذلك نظراً للنهضة الصحافية وانتشار الصحف بطريقة لا مثيل لها في التاريخ .

وإذا تحدثنا كما كان الحديث عام ١٨٤٨ ، أفلم يكن الصحافيون عمال الفكر ؟»

ج . كلاريتري Jules Claretré

تمهيد :

لا يسعنا ونحن نقدم هذه الدراسة أو هذا الجزء من تاريخ الصحافة في الجزائر إلا أن نقول باختصار كلمة تمهيدية عن دور الصحافة في عزل الشعب الجزائري عن العالم وضرب حصار من الصمت المميت حوله .

الحقيقة ـ من خلال ما درسنا من الصحف ـ تبين أن حرية الكلام والتعبير ، والصحافة والكتابة كانت طوال سبعين عاما ـ1830-1900 مسألة وحقاً مقتصراً على الأوروبيين وخاصاً بهم . فلا ينازعهم في ذلك أحد .

فكان للموظف جريدته . . . وكان للمعمر جريدته . . . وكان للتاجر جريدته . . . وكان للأحزاب جرائدها . . . وكان لكل مدينة جريدتها . . . وأحيانا جرائدها .

وكانت كل جريدة من هذه الجرائد تسعى للدفاع أولاً عن مصالح أصحابها . . وثانياً عن مصلحة «الجزائر الفرنسية» .

وكانت هذه الصحف غالبا ما تدخل في مجادلات قلمية عندما تتعارض مصالح أصحابها بعضهم ببعض أي عند ما تتعارض مصالح هؤلاء بمصالح أولئك .

وفي تلك المجادلات تكيل التهم والشتائم بعضها لبعض .

وقد ذهب بعض أصحاب هذه الصحف إلى استعمالها لمهاجمة بعض الموظفين لأنهم ليسوا من طائفاتهم . من ذلك مثلاً وقعت مشادة بين جريدة «الأخبار» وجريدة عنابة التي هاجمت بشدة محافظ الشرطة الجديد بهذه المدينة لكونه فرنسي الأصل ولم يكن إيطالياً (*) .

*ـ جريدة الأخبار .

والملاحظ أن هذه الجرائد قد تختلف في كل شيء في الجزائر إلا في شيء واحد وهو إبقاء الجزائر وشعبها تحت هيمنة هذه الجالية اللقيطة وخاضعة لاستغلالها في جميع الميادين : التجارية والفلاحية والاقتصادية والادارية والسياسية .

فلهذه الجالية كل شيء وللشعب الجزائري لا شيء والملاحظ أن الجالية الأوروبية وسلطات الاحتلال قد أهملت وتجاهلت وجود الشعب الجزائري في هذا الأثناء بل حاولت أن تسدل عليه ستار النسيان فجعلته يعيش في عزلة تامة بعد فشل ثورة محمد المقراني عام 1871 .

فمنذ عام 1827 وحتى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ـ وهي السنوات التي نتحدث عن صحافتها ـ قد توالت على شعب الجزائر النكسات القاتلة ، مادياً ومعنوياً خلال سبعين عاماً . من تاريخه المجيد .

فمن حرب (نافران) التي ضاع فيها ثلثي اسطوله عام 1827 ، إلى الغزو الفرنسي على العاصمة وسقوطها بين يدي الغزاة ، إلى معارك المقاومة العنيفة التي امتدت على طول أربعين سنة كاملة استبسل فيها شعب الجزائر وأظهر فيها البطولة والفداء ، إلى كارثة المجاعة التي ذهب ضحيتها خمسماية ألف جزائري ، إلى فقدانه جميع أراضيه الفلاحية الخصبة التي اغتصبها منه الدخيل الأجنبي ووزعها على اللقطاء وشذاذ الافاق الأوروبيين بعد ثورة محمد المقراني على الخصوص عام 1871 ، إلى آخر ذلك من النكسات . . . . وقائمتها طويلة .

هذا من الناحية المادية الملموسة .

أما من الناحية المعنوية فالنكسات أدهى وأمر . لقد كانت النكسة الأولى هي عدم وجود تضامن عربي اسلامي حوله أيام المحنة وهو يواجه أعظم دولة وأقوى جيش عرفته أوروبا يومئذ بل لقد ذهب الطيش ببعض ملوكهم إلى التآمر عليه مع العدو من أجل تنصيب بعض أفراد عائلاتهم حكاماً على منطقتي وهران وقسنطينة . . ؟؟ وبعضهم جهز جيشاً لقتال جنوده على الحدود . ؟؟

ثم كان استسلام حكام تونس ودخول هذا البلد الشقيق تحت الحماية الفرنسية نكسة أخرى للشعب الجزائري وكان سقوط مصر أيضاً تحت الحماية البريطانية نكسة

ما بعدها نكسة ثم تلى ذلك تشتت العالم الاسلامي وأطلق على تركيا اسم الرجل المريض.

فكانت هذه النكسات كلها سهام قاتلة موجهة الى قلب الشعب الجزائري في تلك الحقبة من الزمن جعلته ينعزل عن الركب الحضاري إلى حين .

انعزل عن الركب في هذا الوقت الذي تجمعت فيه المحن وتكالبت عليه . فإذا كانت بعض الشعوب الشقيقة قد ابتليت بالاحتلال الأجنبي فإنها لم تخسر من مقوماتها الذاتية إلا (السيادة) وبقيت لها لغتها ، وعلمها وإدارتها المحلية وجيشها - ولو بشكل رمزي وحكومتها وتمثيلها النيابي من أبناء البلاد . وحافظت كذلك على كل ما له علاقة بكيانها القومي .

والسبب حفاظها على هذه المقومات هو أنها لم تقاوم الدخيل بعنف وبسالة وفداء عشرات السنين .

أما الجزائر وشعبها فلم يبق لها من هذه المقومات الذاتية شيئاً .

- فلا سيادة
- ولا لغة
- ولا علم
- ولا إدارة محلية
- ولا جيش
- ولا نواب
- ولا حكومة من أبناء البلاد
- ولا أرض خصبة ؟

والسبب في ذلك هو مقاومة شعبها للدخيل الأجنبي بعنف وبسالة وفداء طيلة نصف قرن تقريباً .

وهنا يثور التساؤل : هل هناك في الدنيا شعب سلب من جميع هذه المقومات استطاع البقاء في الوجود ولم يذب في بوتقة الدخيل ؟

الجواب بالنفي . . . لكن الشعب الجزائري تحصن إلى حين . . . وتربص وكله إرادة وإيمان بالنصر في النهاية ، وبالبقاء والخلود إلى الأبد .

ومن هنا وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نقسم هذه الحقبة من تاريخ الشعب الجزائري إلى ثلاث مراحل .

ـ فكانت المرحلة الأولى :

المقاومة المسلحة والقتال العنيف على جميع الجبهات طيلة اثنين وأربعين سنة (منذ 1830-1871) .

وهي ظروف صعبة يستحال فيها على أي شعب كان أن يتعلم وينشر العلوم والعمران ، ويشارك في التقدم الحضاري وركب الانسانية الزاحف فالشعب الجزائري كان خلال هذه المرحلة يولي اهتمامه بالدرجة الأولى لشيء واحد هو الدفاع عن النفس والذود عن الكيان والبقاء .

المرحلة الثانية :

كانت فترة الانعزال والتفكير واسترداد القوة لاعادة الكرة من جديد ، بعد ذلك .

وهي الفترة التي : ندرس فيها الصحافة في الجزائر في عهد الجمهورية الثالثة .

وفي ذلك الوقت وجد الشعب الجزائري نفسه فقيراً من كل شيء ـ من المال وقد امتصته سنون الجهاد .

ـ من الأراضي وقد اغتصبها الغازي الظالم .

ـ من العلم والمعرفة وقد غير العدو المساجد إلى كنائس والمدارس إلى ثكنات .

يضاف إلى هذا ميآت الآلاف من الرجال الذين استشهدوا في معارك الشرف .

فلم يبق للشعب الجزائري والحالة هذه إلا شيء واحد هو : عقيدته الاسلامية وإرادة التضحية والمقاومة من أجل الحياة .

والملاحظ أن هذه الفترة التي عزل فيها شعب الجزائر قد امتدت من 1871 إلى نهاية الحرب العالمية الأولى . حيث انطلقت بدور النهضة الحديثة وشرارة الحركة الوطنية

الجزائرية التي ظهرت بدورها مع مطلع هذا القرن .

وتجدر الملاحظة أن هذه الفترة ـ 1871-1919 تعتبر فترة العصر الذهبي للاستعمار الفرنسي في القطر الجزائري . إذ فيه بلغت حركة الاستيطان ذروتها وعرفت قمة ازدهارها . وفيها استولت فرنسا على كل شيء فاستعبدت العباد واستغلت البلاد .

ووجدت الهجرة الأوروبية المجال فسيحاً فصالت وجالت إذ كانت جميع مرافق الحياة الجزائرية بين يديها تعمل ما تشاء وتتصرف في من تشاء وقد خيل لها أن الأمر قد استتب ، وأنها هي صاحبة البلاد الشرعية وسيدة العباد القاطنيين فيها . ولقد عبرت عن ذلك إحدى جرائدها بقولها :

«لقد احتلينا البلاد بالقوة وأصبحنا أصحاب البلاد الشرعيين» .

فكانت هذه الجالية ترى بأن السعادة وبهجة الحياة لها وحدها ، وللشعب الجزائري الذل والعبودية والهوان لأنه شعب مغلوب على أمره احتلت بلاده بالقوة واغتصبت أراضيه وأملاكه ودياره بالحديد والنار .

لذلك لم نر في الصحف الفرنسية أو الصحف التي كانت تصدر في الجزائر يومئذ أدنى اهتمام لحياة هذا الشعب اليومية وكأنه لم يكن يعيش في الجزائر وكأنها هي لم تطبع ولم توزع في أرضه ودياره .

فعندما نتصفح جريدة «الأخبار» قبل منتهى هذا القرن ، وقد كانت أكبر وأقدم الجرائد الفرنسية في ديارنا نجدها مثلاً تخصص الصفحة الأولى للحديث عن أهم الأحداث الأوروبية بأسلوب مختصر . حيث تعنون الخبر باسم البلد الذي جاء منه الخبر ثم تسرد الخبر بعد ذلك .

وتخصص الصفحة الثانية للاعلانات ، والثالثة والرابعة تغطي بمقالات مختلفة منها معرض الصحافة وقصة مسلسلة أو ردود عن بعض المقالات التي صدرت في إحدى الصحف ويليها حياة الجالية الأوروبية بما فيها السهرات والحفلات والأسفار والوافيات والمواليد وترقية الموظفين أو تبديلهم ولم يكن نصيب شعب الجزائر من صفحات هذه الجريدة إلا اسمها «الأخبار» .

وإذا سمينا هذه الجريدة بالذات فذلك على سبيل المثال لا الحصر فكل الجرائد كانت على شاكلة واحدة .

وخلال هذه المدة التي استتب الأمر فيها إلى الغزاة (وبدأ الهدوء عاماً) ظهر للمستوطنين الأوروبيين أن يوجهوا صحافتهم وجهة أخرى ألا وهي معارضة حكومة باريس التي وضعت بعض القيود أمام الهجرة الأوروبية وقوانين لحماية الملكية فظهر لهم أن هذه الحكومة تدافع عن الأهالي الجزائريين فبدأوا يطالبون بفصل الجزائر عن فرنسا مالياً وإدارياً خاصة وقد أطمأنوا للهدوء السائد الذي جعل الجالية الأوروبية لم تعد تشعر بوجود خطر داخلي ولذلك بدأت تطمع في الاستئثار بالحكم في المستعمرة واستغلال الجزائر دون أن تكون عليها رقابة من باريس . وبالتالي لا تستطيع باريس - في نظرهم - حماية السكان الأصليين .

وفعلاً توصلوا إلى تحقيق مآربهم وأغراضهم وفصل الادماج الذي كان مع باريس .

ففي سنة 1896 اعيدت مختلف الادارات التي كانت تابعة لمختلف الوزارات إلى حكومة الجزائر باستثناء القضاء . وفي عام 1898 أنشىء مجلس الوفود المالية وكان متكوناً من 24 عضواً من الفلاحين و24 عضواً من الموظفين المستوطنين ومن 21 عضواً من الأعيان الجزائريين وكان الأعضاء الأوروبيون منتخبين والأعضاء الجزائريين معينين . وفي عام 1900 صدر المرسوم الذي صدرت بمقتضاه ميزانية مستقلة للجزائر منفصلة عن الميزانية الفرنسية .

ولقد سخر المستوطنون الأوروبيون أقلامهم وصحافتهم لبلوغ هذا الهدف :

أما بالنسبة للجزائريين فإنهم لم يبقوا مكتوفي الأيدي في آخر القرن التاسع عشر بل شرعت النخبة منهم في اصدار صحف بمساعدة بعض المستشرقين لأن القوانين السارية في البلاد تمنع على من لا يحمل الجنسية الفرنسية أن يصدر صحيفة ما . . . لذلك حاولوا انشاء صحف عربية وسلموا إدارتها لأشخاص فرنسيين حتى يتجنبوا القوانين الجائرة التي تعتبرهم أجانب وهم في عقر ديارهم .

وسوف نشرح هذه المحاولات كلها التي تمت لانشاء صحافة عربية في أواخر القرن الماضي في الجزائر وذلك في جزء لاحق بإذن الله .

بيجـو والصحـافة

لامت الصحافة الفرنسية عام ١٨٤٥ الجنرال «بيجو» عن تصرفاته وأعماله العسكرية الاجرامية ضد العرب الجزائريين فأجابها معترفاً قائلاً .

«لقد أحرقنا كثيراً ، وخربنا كثيراً . . . . ولكن ما دمت مقتنعاً بأنني قد فعلت شيئاً لبلادي ، فإنني اعتبر نفسي فوق ملامة الصحافة.(*)»

(*) بلربور ص ٢١٨ . أشار إليه الدكتور سعد الله في كتاب الحركة الوطنية الجزائرية ص ٢٧ .

المدخـــــل :

في الجزء الأول الذي خصصناه للحديث عن نشأة الصحافة في الجزائر قادنا الحديث وحب الاضطلاع إلى أن نتجول في أروقة الصحافة الفرنسية التي صدرت في الجزائر وأن ننتقل معها في أطوارها التاريخية مستعرضين قدر الأمكان إلى أساليبها في التحرير وفي الأخراج وفي التوزيع والانتشار . كما حاولنا التنقل من مدينة إلى اخرى حسب تواريخ صدورها وقد غطت زمنيا هذه الجولة ، في أروقة الصحافة الفرنسية في الجزائر : مدة عشرين سنة أي من1830 إلى1850 . ونحن لا نزعم اننا في هذه الجولة قد أتينا على كل شي' وتطرقنا إلى كل فنون الصحافة بل نحن نؤمن كل الأيمان بأن ما قلناه وما كتبناه عن هذا الفن لا يتعدى فتح المجال للكتابة عن الصحافة وتاريخها في بلادنا وأن ميدانها ما زال ينتظر أقلاماً بحاثة لكشفه .

ودائماً في هذا النطاق ، وبعدما دخلنا في الخمسينيات من القرن الماضي وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع النخبة الأولى من الصحافيين الجزائريين الأوائل ففضلنا الحديث عنهم وأجلنا البحث في «تاريخ الصحافة في الجزائر» إلى وقت آخر . . . . وقد أدى بنا الحديث عنهم إلى كتابة سلسلة من الدراسات غطت زمنياً نصف قرن تقريباً أي 1852 إلى 1900 وفي دراستنا «حياة الصحافيين الجزائريين في القرن الماضي» أيضاً لا نزعم كذلك بأننا أوفينا الحديث عنهم جملة وتفصيلا ولكننا نرجوا أن نكون قد فتحنا المجال للكتابة عن صحافيينا الأوائل وأبرزنا أعمالهم الثقافية ، ! والصحافية . وستصدر هذه الدراسة في كتاب مستقل .

والآن نستأنف من جديد الجولة في أروقة تاريخ الصحافة في الجزائر ونقسمها إلى مرحلتين :

ـ المرحلة الأولى وتغطي زمنياً عهد الامبراطورية الثانية من 1850 إلى 1870 . وهي ما يتضمنها الجزء الثاني من كتاب الصحافة في الجزائر .

ـ المرحلة الثانية وتغطي زمنياً عهد الجمهورية الثالثة في الربع الأخير من القرن الماضي من 1870 إلى 1900 . وهي ما يتضمنها الجزء الثالث من كتاب تاريخ الصحافة في الجزائر .

ونبدأ بالحديث عن الصحافة التي نشأت في الجزائر العاصمة ثم بعد ذلك الصحف التي أنشئت في مدن العمالات أي المحافظات الثلاث الجزائر وهران وقسنطينة .

وفي حديثنا سنحاول احترام الترتيب الزمني لصدور هذه الصحف لكي تمكنا من معرفة تطور هذا الفن عبر الزمن وبالتالي الدور الذي لعبته الصحافة الفرنسية في خدمة الاحتلال والاستيطان والاستعمار .

قانــون الرقــابة أو (قانون الحقد)

وقبل البدأ في الحديث لا بد من أن نقول كلمة في السيف المسلول على رأس «صاحبة الجلالة» وهو «قانون الرقابة» الذي كان مسلطاً على رأس الصحافة باستمرار وخاصة بعد الفوضى التي عاشت فيها هذه الأخيرة بعد الانقلاب العسكري عام 1848 .

أغتنم رجال السياسة والقلم فرصة الحرية المطلقة فانطلقوا في عام 1848 يصدرون الصحف في الجزائر كل واحد حسب نزعته أو دفاعاً عن جمعيته دون أن يدفع أي ضمان فانتشرت الصحف بطريقة فوضية لم يسبق لها مثيل وخيل لهؤلاء أن هذه الحرية ستدوم ، ولكنهم فوجئوا في شهر يوليوا تموز من نفس السنة بظهور قرار يقضي بفرض الضمانات المعمول بها في فرنسا كما تنص على ذلك المادة الأولى من القانون الصادر في 14 ديسمبر كانون الأول عام 1830 . إذن فهذا القانون الصادر في 30 يوليو تموز عام 1848 يفرض لأول مرة على الصحافة في الجزائر دفع هذا الضمان الذي كانت الصحف فيما مضى معفية منه .

وبصدور هذا القانون [انظر الملحق] وضع حدا لصدور الصحف بكثرة في كل وقت وفي كل مناسبة بحيث فرض الصمت على من لم يستطيع دفع الضمان المطلوب لاصدار أي جريدة كانت . كما اضطرت الكثير من الصحف على التوقف . وتوجد بعض الصحف التي لم تصدر إلا في عدد واحد(1) وبعضها صدر في اعداد لا تتعدى أصابع اليد وأخرى بلغت أربعة عشرة عدداً(2) ثم توقفت .

تجاهل المقاومة والحرب

كانت هذه الصحافة وهي تعيش في نشوة حرية النشر المطلقة تدعي كلها ، وبدون استثناء زعامة الدفاع عن الاحتلال والاستعمار والاستيطان . وكان بعضها يتطرف في هذا الزعم فيدفعه التطرف إلى توجيه النقد للجيش وجنرالاته (لأن الجيش وقادته لم يستعملوا البطش اللازم) . حسب تعبيرها . والتقتيل وطرد الجزائريين إلى المناطق القاحلة . حتى تتمكن السلطات الاستعمارية من استيطان عدد أكبر من الأوروبيين المعمرين .

ولقد الزمت كل جريدة نفسها بتبني مشكل المعمرين ، وجعله مشكلها هي ، ولو أدى ذلك إلى انتقاد قادة الجيش . وكانت الادارة الفرنسية المحلية تشجعها ، وتوجهها ، ولكنها كانت تطلب من أصحاب الصحف في نصوص خاصة ـ عدم التعرض لكل ما يتعلق بشأن المقاومة والحرب وكذلك تحركات الجيوش . . . لكن بعض الصحف أدى بها تطرفها إلى نشر كل الأخبار غير مكترثة بتعليمات الادارة مما جعل هذه الأخيرة تتخذ قراراً وتصدر قانوناً آخر في يوليو تموز عام1849 وكان من ضمن بنوده مادة تنص على معاقبة الصحافيين عن «استفزاز العسكريين وتحولهم عن واجبهم . . . (3) »

ولكن هذا القانون لم يجد نفعاً فأصدرت الادارة المحلية قانوناً آخر في شهر

---

(1) LE PRECURSEUR DE BLIDA-1848

(2) L'Algerien . 1852 -

(3) راجع السيدة : ses-gal . G. في الوثائق الجزائرية Document Algerien

اغسطس آب عام1850 ونظراً لقساوته أطلق عليه الصحافيون لقب «قانون الحقد» وفي هذا القانون فرض على أصحاب الصحف أن يوقعوا مقالاتهم ويسمحون باستعمال حق الرد . ومع هذا التشدد زاد حماس الصحافيين اشتعالاً مما أدى إلى اصدار قانون رابع في شهر فبراير شباط عام1852 ومما جاء في هذا القانون . هو أن توجه الادارة المحلية انذارين لجريدة ما ثم بعد ذلك تتخذ قراراً بالاغلاق .

والذي دفع الحماس في الصحافة الفرنسية الصادرة في الجزائر أيا مذاك هم رجال القلم المنفيين إلى الجزائر الذين : طردوا من فرنسا على أثر تتويج الامبراطور لويس نابليون . Louis Napoleon . على رأس الامبراطورية الفرنسية الثانية عام1852 .

وقد اشتهر في عالم الصحافة بين هؤلاء الرجال المسيو الكساندر لامبيرAlexandre Lambert . والمسيو ايزيدور فيان Izidore Vien الذي كان هو الآخر صحافياً في باريس قبل ان يأتي إلى الجزائر وينشيء فيها جريدة تهتم «بالمصالح الجزائرية» ـ طبعا الاستعمارية ـ وأمثال هؤلاء الصحافيين كانوا كثيرين . وجدوا الجزائر ميداناً متسعاً للعمل السياسي بعد أن أغلقت الأبواب في وجوهم في باريس .

الفصـــل الثاني

صحف العاصمة ومدن الوسط

البحث الأول

الجـــــــزائري . . . L'ALGERIEN

JOURNALE DES INTERTS DE L'ALGERIE.

جـــريدة المصـــالح الجـــزائرية

تَعَشقوا أسماءً جزائرية

ومن الصحافة التي انشئت في العاصمة نتحدث عن جريدة انشأها هؤلاء الصحافيين ويدعى المسيو «ايزيد ورفيان» الذي سبقت الاشارة إليه ، واسمها الجزائري L'Algérien يلاحظ أنهم كانوا يتعشقون اطلاق أسماء جزائرية على صحفهم ومجلاتهم وهي في الحقيقة لا تملك من الجزائرية إلا المنشأ والتوزيع .

صدر العدد الأول منها يوم الأحد 25 ابريل نيسان عام 1852 وأعلن عنه أنه عدد خاص وأن جريدة «الجزائري» ستصدر بانتظام ابتداءً من أول مايو أيار عام 185(1) أيام الثلاثاء والخميس والأحد .

كان حجمها (كحجم جريدة (لوموند) . . . Le Monde . الفرنسية حالياً ، وقسمت صفحاتها الأربعة الى أربعة أعمدة(2) .

كان صاحبها صحافياً سياسياً من صحافيي فرنسا جاء إلى الجزائر وأسس هذه

---

(1) كان رئيس تحريرها يدعى المسيو ISIDORE . ومتصرفها الاداري يدعى قيار GUEYMARD وكان مقرها بنهج أركان الحرب ETAT MAJOR رقم 37 بالجزائر كان عنوانها بحروف كبيرة L'Algérien داخل اطار .

(2) الاشتراك بالنسبة للجزائر العاصمة عن سنة 28 فرنكا وبالنسبة لفرنسا والجزائر 30 فرنكاً .

الجريدة لخدمة أغراض سياسية وفي مقدمتها الهجرة الأوروبية ولم يخف المسيو «ايزيدور فيان» نواياه إذ شرحها علانية في مقدمة العدد الأول من جريدته «الجزائري» تلك التي غطت صفحة ونصف الصفحة وقد استهلها بقوله :

«من نحن وما نريد ؟

إنه يطلب من كل جريدة تظهر للوجود ما هو برنامجها ؟

وبرنامجنا نحن سهل الشرح : انه يوجد بأكمله في العنوان ومعناه أننا نريد قبل كل شيء الاهتمام بمصالح الجزائر» .

بعد هذه السطور المقدمة يدخل في شرح برنامج جريدته بكثير من التفاصيل وتحت العنوان التالي :

«برنامج الجزائري» فيقول :

«في الحالة التي وصلت إليها البلاد من جراء انتصارات الجيش يمكن لنا أن نعتبر احتلال الأهالي قد تقدم كثيراً ولهذا فلم يعد مثل ما كان لمن سبقنا من الجرائد أن نخصص معظم أعمدة الجريدة للحديث عن الحملات والمعارك والقتال . ولكن بقي أن نستمر في احتلال الأرض التي بدئ فيها منذ قليل وذلك بواسطة المعمرين» .

ويسترسل المسيو «فيان» في مقدمته ، يشرح لقرائه ، بأن الجزائر غير معروفة في فرنسا وأن فرنسا تجهل الامكانيات الموجودة بالجزائر .

ويستخلص للحديث قائلاً : هذه الملاحظة تقودنا إلى القول بأن مصلحة فرنسا ومصلحة الجزائر تفرض تغيير هذه الوضعية . . . وبهذا الايمان الذي يشاطرنا فيه كل الرجال الجدد الموجودين بالمستعمرة نؤسس اليوم «جريدة الجزائري» . نؤسسها برغبة محددة وستكون الدليل لجميع الكتاب الذين يقودون الرأي العام بفرنسا وتكون «ممرن»(*) الغرف التجارية للمراكز الصناعية الحساسة بالوطن الأم وكذلك الغرف الاستشارية الفلاحية .

«فبعد 22 سنه من التضحيات يجب على فرنسا أن تعرف ما هي الجزائر وما هي

(*) بمعنى جريدة .-

امكانياتها من كل نوع وماذا تقدم كتعويض للدماء والكنوز التي قدمت لها» .

وبعد ذلك يصل الحديث عن سياسة الاستيطان الاوروبي فيقول :

«إن الاستيطان هو الأرض التي فوقها نريد أن نتخصص . . وهي تحتوي على الفلاحة والصناعة .

- الفلاحة التي تخلق الانتاج .
- الصناعة التي تحول الانتاج .
- التجارة التي تجد لها الأسواق .

وهذا المثلث هو ربح وحياة الاستيطان بالنسبة لكل شعب ولكل مجتمع ولذلك سيكون محط انتباهنا .

ثم يشترط لكي تبلغ الحكومة هذا الهدف عليها أن تصلح الأراضي وأن تسلم الامكانيات للمهاجرين وأن تنسق الطرق وأن تنظم العلاقات بين الأهالي والمعمرين ، كما عليها أن تختار الأماكن الصالحة للمواطنين المعمرين . ثم ينتقل للحديث عن الفلاحة والصناعة والتجارة بكثير من التفاصيل . ثم ينتقل إلى الحديث عن البرنامج السياسية لجريدته . فيقول :

(البرنامج السياسي)

«بقي أن نعرف اتجاهنا وهدفنا وأفكارنا السياسية . أن جريدة الجزائري ستكون قبل كل شيء جريدة النظام ، «والسلام ، والتوفيق ، جريدة مؤمنة مخلصة ، ونزيهة الأسلوب . جريدة خالصة القلب والروح للدفاع عن المبادىء الكبرى التي أعلن فيها أجدادنا في عام 1789 والتي أعلنت عنها الأمة ثانية في 20 ديسمبر كانون الأول عام 1851 وفي 28 فبراير شباط 1852 . نريد أن ندافع في «الجزائري» على السلطة والحرية في نفس الوقت لأنهما في نظرنا القاعدتان الأساسيتان : وأنهما شرعيتان الأولى كالثانية التي ترتكز عليهما المجموعات العصرية .

«- السلطة مكلفة بتنفيذ القوانين وباسم القوانين تحكم بدون نقاش .

- والحرية هي حياة الشعب ومحرك كل تقدم . . . . . . فالسلطة هي القوانين التي يجب أن تضمن الحرية ، والحرية هي الثقل المضاد الذي يوقف السلطة في الحدود

المعقولة .

«والجزائري» ستجتهد للتوفيق بين هذين المبدأين وأنه في خارجها تصبح السلطة طاغية وتصبح الحرية فوضى .

وبعد أن يشرح موقف الجريدة من القضايا الوطنية الداخلية والخارجية التي ستعالجها بحذر يقول : بكلمة واحدة اننا بالنسبة للقضايا الكبيرة أو الصغيرة سنبقى دائماً صادقين منضبطين ودائماً في مستوى الرسالة الصحافية هذا هو ما نريد أن نعمل «بالجزائري» إذا توفرت لنا الامكانيات(1) » .

وفي الختام يحذر الأوروبيين من الانشقاق والكراهية بين بعضهم لأنه يضعفهم في وقت يوجدون فيه بين نارين وخطرين أي بين البحر والعرب ويطلب منهم المزيد من الحماس الوطني والتقدم .

وفي خلال المدة القصيرة التي عاشتها جريدة «الجزائري» اهتمت بالفلاحة والتجارة والاعلانات التي كانت تخصص لها صفحتها الأخيرة مع قصة أو رحلة كانت تنشرا بتسلسل الى يوم الأحد30 مايو أيار1852 . وفي عدد هذا اليوم أعلن في رأس الصفحة بخط كبير عن توقف هذه الجريدة عن الصدور وأن المشتركين سترجع لهم اشتراكاتهم . في مكتب الجريدة بنهج «أركان الحرب» .

ولم تذكر الجريدة أي سبب من الأسباب لتوقفها . وقد صدر من هذه الجريدة حتى هذا التاريخ14 عدداً(2) من52 ابريل نيسان الى30 مايو أيار من نفس السنة 1852 .

فعلاً توقفت ولم يحقق صاحبها «Lidore» ما كان يصبوا اليه وما أعلن عنه في برنامجه المطول .

(1) راجع جريدة «الجزائري»25 ابريل1852 ص 2 عمود1-2

(2) توجد المجموعة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم ٨٤٩٨٥ .

البحث الثاني

المجـلة الطـبية الجـزائرية

LA GAZETTE MEDICALE

25 فبراير (شباط) 1856

وكما عرفت الجزائر فن الصحافة الاخبارية والسياسية والحزبية بما فيها الصحافة الحكومية وصحافة المعمرين عرفت كذلك فنا آخر من فنون الصحافة هو فن الصحافة الطبية .

ظهر هذا النوع من الصحف في الجزائر في مطلع عام 1856 بظهور مجلة La gazette Médicale على يدي احد الاطباء الفرنسيين العاملين ضمن جيش الاحتلال الفرنسي «جيش أفريقيا» . ولقد كانت الجزائر حتى هذا التاريخ (1856) لم تعرف مجلة طبية ، ولم يكن المعمرون والأروبيون بوجه عام يفكرون في اصدار مثل هذه المجلة ذات طابع طبي اختصاصي وبالتالى فان المقالات الخاصة بهذا الميدان كانت تجد طريقها الى صفحات الجرائد الغير المختصة والمتنوعة الامر الذي جعلها تتلاشى بين المقالات العديدة التي تطغى عليها في آخر الامر .

* أسس هذه المجلة وأدار شؤونها الادارية والمالية ، واشرف على رئاسة تحريرها طبيب يدعى الدكتور بيرطران. .Berthrand وكان هذا الطبيب يشغل منصب طبيب رئيسي بالجيش الفرنسي ـ جيش افريقيا ـ.

ولقد كان في الوقت الذي أسسها يشتغل طبيبا رئيسيا «بمستشفى الداي» بالاضافة لعمله في الجيش .

اصدر العدد الأول منها يوم 25 فبراير شباط عام 1856 ميلادية بالجزائر العاصمة

ويحتوي على اثنى عشر صفحة . وفي نفس العدد أعلن «الدكتور بيرطران» عن مقر المجلة (1) الكائن بزنقة L'intandance رقم 1 بالجزائر .

وكان في نية صاحبها عندما أصدر العدد الأول في 25 فبراير أن يصدرها شهريا ما بين 20 و25 من كل شهر .

وعندما ننظر الى هذه المجلة من حيث إختصاصها في ميدان الابحاث الطبية وكل ما يتعلق بسلامة جسم الانسان نجدها في الحقيقة تعتبر من الوجهة التاريخية أول مجلة ظهرت في الجزائر في مجال الطب ،. ثم تلتها بعد زمن طويل مجلات طبية أخرى طوال عهد الاحتلال الفرنسي .

الا انها وان تميزت باختصاصها في ميادين الطب عن الصحف والمجلات السابقة عليها فانها كانت تلتقي معها في الهدف والمبدأ الذي يتمثل في خدمة الوجود الفرنسي في الجزائر .

ولئن كانت لغتها علمية طبية ، فإن الدكتور «بيرطران» قد قرر استعمالها لتوطيد الاحتلال بانشاء مجلة مختصة تكون منبر اللأطباء الفرنسيين ، بل الأوربيين في الجزائر حيثما وجدوا في العاصمة أو في المقاطعات ، في صفوف الجيش أو الادارات ، لعرض تجاربهم وخبراتهم ونشر دراساتهم عن الامراض الموجودة في الجزائر وطقس الجزائر ومناخها وكيف يمكن للاوروبي أن يتعود عليها . . . الخ

* لم يكن الدكتور بيرطران (مديرها ورئيس تحريرها ،) واضحا في الافتتاحية التي كتبها بالعدد الأول والتي توجه بها الى زملائه الاطباء في تحديد «رسالة مجلته» هذه ، ويبدو أنه تعمد الغموض اذ اقتصر في افتتاحيته على القول بان الوقت قد حان لخلق صحافة طبية لابراز الجزائر الطبية . . ولكنه بالنظر الى فهرس المواضيع التي نشرت بالعدد الأول (2) والاعداد اللاحقة يمكننا ان نعرف «رسالتها واهدافها» السياسية

بالاضافة الى الاعلان عن مقرها فانه حدد قيمة الاشتراكات بها لمدة سنة في الجزائر وفي فرنسا بـ 15 فرنكا ـ وتطبع بمطبعة بورجي Bdurget وهي مطبعة جريدة الأخبار الجزائرية .

(2) نجد في الفهرس الذي نشر بالعدد الأول 25 فبراير 1856 في أعلى الصفحة الأولى بطريقة أفقية على كامل عرض الصفحة ـ نجد سبع مواضيع رئيسية بما فيها الافتتاحية وهي : إلى الزملاء ـ دراسة الطقس الجزائري ـ المصحة الجراحية ـ تاريخ الطب الجراحي لحملة القبائل عام 1854 ـ مدونات حول مياه الساحل ـ الادب الطبي العربي مترجم عن سيدي السيوطي ـ النشرة الجوية ـ ثم رسالة مفتوحة إلى رئيس التحرير حول اصدار مثل هذه المجلة .

الطبية .

وتأسيسا على هذا الاتجاه صدرت الاعداد اللاحقة وفيها مافيها من (مدح لفرنسا التي نشرت حضارتها على اهالي «وصاية الجزائر ؟) كما كان يطلق عليها يومذاك .

* في العدد التاسع شن رئيس تحريرها هجوما عنيفا على الاهالي منتقدا بشدة التقاليد الاسلامية العريقة ثم اتهم المرأة الجزائرية المسلمة بانها قليلة الاخلاق . . . . ثم حاول(1) في مقاله الطويل هذا ايجاد المبررات لما يقول في مقالات وكتابات نشرها اوربيون منذ القرن السابع عشر .

ونجده في مقال اخر بعنوان : «الطب والنظافة عند العرب» يذبح مقاله كعادته (بالمدح والتعظيم لفرنسا وجيوشها التي اكسبتها اجمل مستعمرة . تلك الجيوش التي قضت على القراصنة . . . . وقدمت خدمة جليلة لأوروبا . . . . ثم ينتقل الى شرح الطب العربي مقللامن قيمته كأن العرب لم يلعبوا يوما ما دورا في تطوير علم الطب (2)

من بين الذين كانوا يكتبون فيها وكلهم دكاترة أثنان اشتهر احدهما ، ويدعى الدكتور ليكلير ، بالكتابة عن منطقة الجنوب الوهراني حيث نجده يكتب سلسلة من المقالات عن قبيلة اولاد سيدي الشيخ ومناطق البيّض ، وسعيدة ، وعين الصفراء ، واشتهر الثاني ويدعى «الدكتور بيرون» بترجمة مقاولات عن الطب العربي ، ومنها» الطب النبوى» .

* إن هذه المجلة الطبية رغم ما ظهر فيها من مقالات بعيدة كل البعد عن واقع علم الطب وتاريخه ، وما فيها من محاولات لتزييف الحقائق العلمية والتاريخية فإنها قد قدمت خدمة علمية لا يستهان بها في الكشف عن الامراض وإظهار ما وصل إليه بعض الاطباء فقد مكنت الكثير من نشر تقاريرهم ودراساتهم خلال مدة طويلة تغطي زمنياً أكثر من ربع قرن . دونت خلاله ما كتبه الدكاترة والاختصاصيون ، والصيادلة . ومن بين هؤ لاء ظهر صيدلى جزائري كبير في السبعينات يدعى عبد الله بن محمد وكان من خريجي ـ الليسي العربي الفرنسي ـ (3)

(1) راجع عدد/9 ص138 ليوم21 سبتمبر ايلول1857 حيث يوجد بعض مجموعتها بالمكتبة الوطنية تحت رقم5445 .

(2) راجع عدد3 / ص45 نفس المصدر .

(3) راجع مجموعة1875 لنفس للصدر . فهرس المجلد بالصفحة الأولى .

تاريخ توقفها بَقيَّ مجهولاً :

واذا كنا قد تمكنا من معرفة تاريخ صدورها بالضبط فاننا لم نتمكن من معرفة تاريخ توقفها . حيث انقطعت اخبارها عنا ابتداء من 1875 .

واذا كان الذي أنشأها يدعى الدكتور بير طران واشرف على رئاسة تحريرها فانه قد استخلفه على رئاسة تحريرها شخص آخر يحمل نفس الاسم يدعى الدكتور أوجين أواد مون بيرطران . ويحتمل أن يكون ابنه .

الملاحـــظة الأخيرة :

لقد اعتمدت الايجاز في الحديث عن هذه المجلة لسبب بسيط وهو أنني أجهل علم الطب ومن يجهل شيئاً لا حق له في الحديث عنه .

لهذا السبب اقتصرت الحديث عن الفنيات ، وتاريخ نشأتها ، وبعض ما ظهر لي من ميولها وأهدافها السياسية .

ولذلك فانني أترك الميدان لأهله عسى أن يطلعنا أحد المختصين في هذا العلم بمقال عن مشاهر الجزائر في هذا العلم في هذه الحقبة من تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر .

البحث الثالث

الجمعيات التاريخية الجزائرية

في عام1856 استقر تأسيس «الجمعية التاريخية الجزائرية» St Historique Algerienne التي مرت بمراحل عديدة من المحاولات لانشائها بأسماء مختلفة قبل أن يستقر بها المطاف في عهد الوالي العام R andon تحت اسم «الجمعية التاريخية الجزائرية» حيث أقرها نهائياً بهذا الاسم وقدم لها المساعدات اللازمة وقبل ان يكون هو رئيسها الشرفي الاول .

ولقد حددت هذه الجمعية اهدافها في قانونها الاساسي . . ومن بين هذه الاهداف طبع كل الابحاث والدراسات التي يقوم بها اعضاؤها وتنشرها بواسطة مجلة دورية تصدرها لهذا الغرض تحت اسم «مجلة افريقيا» Revue Africaine تصدر مرة واحدة كل شهرين وأسندت رئاسة تحريرها الى مكتب دائم يرأسه رئيس «الجمعية التاريخية الجزائرية «المسيو أدريان بربروغر A. Berbruger وكان من العلماء الفرنسيين المتخصصين في علوم التاريخ والآثار والحفريات الاثرية التاريخية» (I) ولقد اهتم هذا العالم ، منذ ان وطأت اقدامه ارض الجزائر ، بجمع المخطوطات الجزائرية القديمة ، حيث كان يصطحب الحملات العسكرية الفرنسية على المدن الجزائرية ، وتمكن من جمع الكثير من هذه المخطوطات ، خاصة من مدن تلمسان ، ومعسكر ،

(I) جاء الى الجزائر مع «الجنرال كلوزال» حيث كان كاتبه الخاص ثم كلف بتأسيس المكتبة الجزائرية عام1935 — 1836 وقبل ذلك كلف برئاسة تحرير جريدة الممرن الجزائري Moniteur Algerien ويعتبر هو المؤسس للجمعية التاريخية الجزائرية ومجلتها (مجلة افريقية) Revue Africaine

وقسنطينة ، خلال حملات العدو عليها .

وجعلت «الجمعيه التاريخية الجزائـرية» من هذه المجلـة Revue Africaine مجلة تاريخية تهتم بشؤ ون التاريخ في مجاله الواسع وذلك طبقاً لما جاء في قانونها الاساسي الذي حدده كما يلي :

«ان الجمعية التاريخية الجزائرية» تقصد من كلمة التاريخ مجالـه الواسـع الـذي يحتوي على دراسات الاشخـاص ، والحـوادث ، والنصـب التـذكارية ، ودراسـة الأرض ذاتها التي ترتبـط بهـا . وبالتـالي فهـي تهتـم بالتـاريخ بالمعنـى الصـحيح بالجغـرافية ، واللغـات ، والفنـون الجميلـة ، والعلـوم لكامـل افـريقيا «Septentrionale» (*)

اهتمت هذه المجلة بالاثار والاماكن التاريخية وتراجم بعض الرجال والعلماء والمشاهير فاعطت للآثار الرومانية في بلادنا مكاناً خاصاً إذ كان يراسلها كل الضباط العسكريين الموزعين في مختلف النواحي من الجزائر وكانوا يقومون بالحفريات وجمع الاشياء الأثـرية ، والشعـر والغنـاء والمحفوظـات العـربية ، وتـواريخ «الـدايات والبايات» واهتمت بالآثار الاسلامية والكتابات العربية على الجدران وخاصة منها جدران المساجد والمدارس والاضرحة .

كما حددت «الجمعية التاريخية» اهدافها في مقدمة القانون الاساسي لوجودها فإنها حددت طريقة نشر اعمالها وأبحاثها في «مجلة» خصصت مادتـين من هذا القانـون لترتيب حالة هذه «المجلة» وتحديد اوقـات صدورهـا مرة كل شهـرين وكيفية نشر المقالات والدراسات التي ترسل اليها من مراسليها واعضائها .

وفي ذلك ، نجد المادة الخامسة عشرة ، تنص على ان تنشر الجمعية اعمالهـا كل شهرين في مجلة تصدر بعنوان «مجلة افريقية» Revue Africaine وتنشر فيها المواضيع التي يقدمها اعضاؤ ها اما برمتها او تنشر بإيجاز واختصار بعد ان يتقرر نشرها ، وفي هذه النشرة يمكن نشر المقالات التي لها علاقة بالجزائر والتـي نشرت في المجـلات الاخرى وذلك باستعمال النقل بالحرف الواحد او باستعمال التلخيص او التحليل ويكون ذلك بترخيص من أصحابها .

(*) راجع القانون الاساسي للجمعية ـ مجلة افريقية سخ 1856

اما المادة السادسة عشر فإنها تشترط في نشر مثل هذه المقالات ان لا يتم نشرها الا بعد ان تدرس من طرف المجلة وترخص بذلك (*) .

وأخيراً تكلف المادة السابعة عشر - المكتب الدائم بالسهر على طبع ونشر اعمال الجمعية في هذه المجلة .

هـذا بالنسبة للجمعية واهدافها التي استعملت لتحقيق تلك الاهـداف . ولنتحدث عن هذه المجلة على انفراد .

المجلـــــلة الافريقـــــية

REVUE AFRICAINE

JOURNAL DES TRAVAUX DE LA SOCIETE HISTORIQUE ALGERIENNE

صدر العدد الاول منها في شهر أكتوبر تشرين الاول عام1856 وتلاه العدد الثاني في شهر ديسمبر كانون الاول من نفس السنة

في العدد الأول كتب المسير أدريان بربرغر رئيس تحريرها (*) افتتاحية مطولة غطت 11 صفحة شرح فيها بالتفصيل اهداف هذه المجلة وما تهدف الجمعية عند تأسيسها وانها سوف تسد فراغاً كبيراً في مجال نشر الابحاث والدراسات الاثرية القديمة في الجزائر تلك الدراسات التي تهتم بجميع الميادين حيث تشتمل على الابحاث الاجتماعية والتاريخية والحضاربة والعمرانية والشخصيات .

ورغم ان الصحف المحلية كانت تنشر مثل هذه الدراسات الا انها كانت تضيع بين المقالات العديدة المختلفة التي كانت تنشرها تلك الصحف .

ويشرح كذلك المسيو بربروغر في مقدمة العدد الاول بقوله : «انه بالنسبة للدراسات التاريخية او لغيرها كان ينقص عنصراً اساسياً هو الصحافة الدورية .

صحيح ان اختراع غوتنمبيرغ Gutemberg قد ظهر يوم26 يونيو آذار عام1830

(*) راجع المجلة الافريقية عدد اول ص15 عام1856 وتتكون لجنة التحرير الدائمة للمجلة من الاشخاص الآتية اسماؤهم هم السادة 1 Bequet 2 Baron de sloue 3 Dr Bertherand 4 ville 5 Bremier 6 Clerc 7 Cr Galinie

على شاطىء سيدى فرج ولكن صدور جريدة حقيقية لم يحدث الا في عام1832 وهو عهد صدور «الممرن الجزائري» Moniteur Algerien وبعد سبع سنوات بدأت تصدر جريدة الاخبار Akhbar التي تلتها اوراق اخرى لم تعمر طويلاً (1) .»

وبعد ما استعرض تاريخ مكتبة الجزائر (عام1835 — 1836) ومحاولات تأسيس جمعية علمية تاريخية تطرق للحديث عن هذه المجلة قائلا :

«إن المجلة الافريقية باعتلائها مقعداً بين الصحافة الجزائرية ستهتم بنشر الأعمال الهامة والاشياء الايجابية والوثائق ذات الطابع الصحيح» وبكلمة واحدة ستنشر كل ما يمكن ان يلقى ضوأ جديداً عن التاريخ المحلي في مختلف عصوره . وستعرّف ايضاً بواسطة النقل وبالتحليل ، حسب اهمية الموضوع ، الدراسات التي صدرت والتي ستصدر في جرائد المستعمرة او في الجرائد الاوروبية ، وبكلمة وجيزة ستجتهد في جمع او على الاقل إلفات النظر لكل ما يقال وما يكتب من اشياء هامة عن هذا البلد من أجل ان تكون فيا بعد مكتبة تاريخية افريقية ، يوجد فيها مجموعة من الاشياء الصالحة التي بقيت مجهولة والتي سيخسرها العلم في غياب نشرة متخصصة موضوعة لتسجيلها» (2)

هكذا يحدد المسيو بربروغر رسالة هذه المجلة مؤكداً أنه لا ينشر التوافه او ما يكتب من محض الخيال (3) اذن هذه هي الاسس التي انطلقت منها «مجلة افريقيا» واستمرت في الصدور بانتظام .وتجدد مكتبها سنة بعد سنة وتنتخب رئيسها من حين لآخر وخاصة عند وفات كل رئيس .

---

(1) مقدمة العدد الاول ص4 أكتوبر تشرين الاول عام 1856

(2) نفس المقدمة ص10 عدد أوّل 1856

(3) اشرف بربروغر على رئاسة تحريرها من يوم تاسيسها الى يوم2 يوليو تموز عام1859 وهو اليوم الذي توفى فيه . كان قلم هذا العلامة من الارقام السيالة التي لم تعرف الكلل والملل في البحث والدراسة والتحليل والقيام بالحفريات والرحلات الدراسية والتآليف الدراسية الى آخر ايامه . وقد كتب في كل شيء وما من عدد الا وفيه من المقالات والتعاليق للمسيو بربروغر وترك مؤلفاً شهيراً وهو : L'algerie Historique Pittoresque et Monumentale

أول جـــزائري يحتل منصـــب العضـــوية

وبعد وفاة بربروغر وانتخاب مجلس جديد ورئيس جديد انضم السيد حسن بن بريهمات إليه وقبلت عضويته فيه وبذلك يكون أول جزائري انضم الى هذه الجمعية العلمية التاريخية . وكان ذلك في يوليو تموز (1) عام1859 وكان السيد حسن حين ذلك مديراً للمدرسة العربية في الجزائر العاصمة ورئيساً لمجلس القضاء الاسلامي .

ولقد اهتمت هذه المجلة بالآثار والتاريخ القديم وان كانت قد خصصت كل ابحاثها لاظهار الآثار الرومانية والرحلات الاوروبية اي التي قام بها الاوربيون الى هذه الديار ، في صور مختلفة فإنها ، والحق يقال ، اهتمت بالآثار الاسلامية ، لكن في دراسات قليلة ، كما اهتمت بالتاريخ الاسلامي والشخصيات الاسلامية في الجزائر بدراسة اقل . واذا قدمت بعض الدراسات فإنها تقدمها على سبيل المعرفة او حب الاطلاع والشيء الذي امتازت به هذه المجلة عن غيرها من الصحف والمجلات التي صدرت في الجزائر خلال هذه الحقبة من التاريخ هو انها كانت تقدم بعض الدراسات الجزائرية باللسان العربي وتقدم لها ترجمة باللغة الفرنسية كان يقوم بتقديمها وبترجمتها احد اعضائها من مترجمي الجيش او أحد الاساتذة المستشرقين المدرسين في المدرسة الفرنسية الاسلامية واساتذة جزائريين . ؟؟

ولنضرب لذلك مثلاً : في عام1888 نشرت هذه المجلة دراسة مطولة عن «الصوفية» للسيد الشيخ عبد الهادي بن رضوان وقد غطت هذه الدراسة43 صفحة (2) وقام بترجمتها المسيو ارنود Arnaud وهو من مترجمي الجيش ونشر النص العربي بحذافيره بالاضافة الى الترجمة الفرنسية صفحة بصفحة هذا في الدراسات .

اما في التاريخ فنجدها تنشر تحليلاً للمسيو دورنون تحدث فيه عن كتاب تاريخ قسنطينة لأحد المؤلفين الجزائريين وابناء قسنطينة البررة وهو السيد أحمد المبارك العطار كان قد وضعه في منتصف القرن الماضي وكان المسيو دورنون Dournon في

(1) راجع المجلة الافريقية لشهر تموز يوليو 1859
(2) راجع الصوفية للشيخ عبد الهادي بن رضوان في المجلة الافريقية مجلد32 ص340 وما بعدها الى ص383 عام 1888

تحليله هذا ، يلوم احد الفرنسيين القسنطنيين الذي كان قد وضع كتاباً عن تاريخ المدينة ولم يرجع في جملة مراجعة الى هذا المؤرخ الجزائري الكبير (1) .

ومن الدراسات والتاريخ نسجل اهتمامها بمذكرات بعض الشخصيات الجزائرية وخاصة تلك التي تعاونت مع السلطات الفرنسية في أيامها الأولى مثل أحمد بودربة (2) وحمدان بن عثمان خوجة فنشرت مذكرات أحمد بودربة باللسان الفرنسي ، اي الترجمة لكنها لم تنشر النص العربي مثل ما عملت مع دراسة الشيخ عبد الهادي بن رضوان .

وأما في خصوص السيد حمدان بن عثمان خوجة فإن صاحب الموضوع قد حاول ان يسرد الادوار التي لعبها هذا السياسي الكبير مع اللجنة الافريقية عام 1833 — 1839 مع تقديم رسائله وتدخلاته ومذكراته ،(3) ولا نترك هذه العجالة دون ان نمر عن الشعر . في هذا الميدان أيضاً فإنها كانت تهتم بترجمة الشعر : الملحون او القبائلي أو الفصيح ومن ذلك انها نشرت تحليلاً ادبياً من بعض المؤلفين تحت عنوان «قسنطينة وبعض المؤلفين» (4) بقلم المسيو شارل سان كالبري charles saint calbré وكان استاذاً بالمدرسة العربية الفرنسية وفي هذه المدينة وفي هذه المرة نشر التحليل باللغتين اي النص العربي للشعر القسنطيني والترجمة الفرنسية التي قام بها هذا الاستاذ .

واذا طوينا صفحات هذه المجلة الى عام 1951 فإننا نجد بعض الجزائريين يكتبون فيها وينشرون دراسات تاريخية ولبعض العلماء والشخصيات الجزائرية . منها مثلا دراسة كتبها الشيخ محمد حاج صدوق عن السيد الورتلاني (5) وكتب السيد بن الشنب والسيد المهدي بو عبدلي ولقد نقل هذا الاخير دراسة عن الشيخ محمد بن علي الجزائري الذي عاش في القرن السادس عشر ومات بالجزائر (6) .

---

(1) راجع Dournon المجلة الافريقية لعام 1913 مجلد مجلد 57 ص 265 وما بعدها الى ص 305 .

(2) انظر نفس المصدر ص 218 وما بعدها الى ص 244

(3) راجع نفس المصدر ص 96 وما بعدها الى ص 138

(4) راجع نفس المصدر (قسنطينة وبعض المؤلفين) لشارل سان كالبري Charle saint calbré ص 75 وما بعدها الى ص 95 / 1911.

(5) راجع نفس المصدر مجلد 95 ص 315 وما بعدها الى ص 396 عام 1951

(6) راجع الشيخ محمد بن علي الجزائري والسيد المهدي بو عبدلي في المجلة الافريقية ص 330 وما بعدها الى ص 342.

الخـــلاصة :

لقد عاشت هذه المجلة أكثر من قرن في تاريخ بلادنا . اي ما يقرب من قرن وست سنوات1856 — 1962 وللحقيقة والتاريخ نقول ان هذه المجلة رغم انها كانت تهدف خدمة الوجود الفرنسي والحضارة الغربية ، بل خدمتها طيلة هذه المدة . وما كانت تستطيع ان تخدم غير ذلك . . . . . . ولكنها رغم ذلك قدمت خدمة جليلة للجزائر وللتاريخ الجزائري حيث حافظت على اثار نفيسة وكتابات قيمة ودراسات علمية ممتازة يمكن للمؤ رخين الجزائريين اليوم او في السنوات القادمة ان يستخلصوا منها ، بعد الغربلة ، العنصر الاساسي للتاريخ الجزائري المعاصر وخاصة فيا يتعلق بالطبيعة وبتاريخ الاشخاص .

وتاسيساً على ذلك فيا حبذا لو ان المكتبة الوطنية بالاشتراك مع الجامعة الجزائرية تستانف صدورها ولو في حجم اقل من حجمها الاول ويؤ سفنا ان تختفي هذه المجلة من عالم الوجود في الوقت الذي قررت فيه الجزائر مصيرها واعلنت الحرب على الطغيان عام1954 . وان السنوات التي اختفت فيها هذه المجلة ، اي ابتداءاً من عام1962 الى اليوم ، لتعتبر اعواماً خسرها العلم والتاريخ والمكتبة الوطنية الجزائرية ، ويستمر العلم والتاريخ والمكتبة الوطنية في الجزائر يتكبدون هذه الخسارة سنة بعد سنة الى ان يأتي اليوم الذي تصدر فيه مجلة علمية تاريخية تسد هذا الفراغ الذي تركته المجلة الافريقية .

ونحن لا نرى مانعاً يمنع من اصدار هذه المجلة في الظرف الراهن وتشرف عليها المكتبة الوطنية ونحن في عهد توفرت فيه الامكانيات البشرية بالدرجة الاولى والمادية بصفة عامة . خاصة والجزائر تسعى جاهدة للالتحاق بركب العلم والرقي . كذلك فليس من مانع يمنع تأسيس جمعية علمية تاريخية على غرار الجمعية السابقة الذكر ما دامت اغراضها نبيلة وشريفة تضع خبرتها واعمالها في خدمة العلم والتاريخ والحضارة البشرية .

البحث الرابع

الدربوكــــه
(جــريدة المســرح والموســيقى)

شاهدنا في الدراسات السابقة بعض الصحف تحمل أسماء جزائرية عربية ومن بين هذه الصحف «عميدة صحافة الجزائر» في القرن التاسع عشر «الأخبار L»Akhbar تلك الجريدة التي عمرت طويلاً (٩٥ سنة) فحملت هذا الاسم أكثر من خمس وتسعين عاماً.

وشاهدنا بعدهـا جريدة «السيبوس la seybouse العَنابية، التي حملت أسـم وادي السيبوس الـذي يشـق منطقـة عنابـة الخصبـة وكذلك جريدة «الصفصـاف» saf saf السكيكدية التي حملت بدورها اسم وادي الصفصاف الموجود بالناحية .

وبعد هذا ها نحن اليوم نجد أنفسنا أمام جريدة اخرى تحمـل اسم «الدربـوكة» والدربوكة اسم عربي يطلق على آلة من آلات الطرب والرقص المعروفة .

والملاحظ أن هذه الصحف ذات الأسماء الجزائرية لا تمثل من العربية إلا الاسماء وحتى هذه الاسماء كتبت بحروف لاتينية .

و«الدربوكة» كما يدل اسمها هي ، جريدة تهتم بالفن بما فيه المسرح ، والموسيقـى والغناء ، كان هدفها تسلية الجمهور (الفرنسي ـ الأوروبي طبعاً) بالتعاليق على القطع التمثيلية المسرحية ، وتقديم الفرق الفنية للجمهور .

وليس الغرابة في كون جريدة «الدربوكة» تهتم بالفـن والمسرح والموسيقـى وتسـلية الجمهور الأوروبي لكن الغرابة كل الغرابة في اختيارها لهذا الاسم الاجنبي والغريب عن الاوروبيين وجمهور المسرح . ولعلنا نجد لذلك جواباً في طابعهـا الهـزلي فهـي بالإضافة إلى كونها جريدة الفن والمسرح والموسيقى يتغلب عليها طابع الفكاهة والهزل

ومن ثم فهي ترى أن أسماً غريباً عن جمهور الأوروبيين في العاصمة قد يكون افيد لها وجلابا للمعجبين !

كانت هذه الجريدة Derbouka تصدر مرتين في الأسبوع يومي السبت والثلاثاء تستعمل في أسلوب تحريرها الطريقة الهزلية فتكثر من وضع النقاط المتتالية . . . ، . . . والكلمات المتقاطعة ، ونقاط الاستفهام . . وبناء الجمل في صيغة المجهول (١) دائماً وكانت تحب الجدال الصحفي ومعارك القلم .

صدر العدد الأول منها بتاريخ 18/10/1856 وكان حجمها أصغر حجم بالنسبة للصحف الصادرة حينذاك في الجزائر وقد أعلنت عن ذلك في نفس العدد الأول قائلة :

إن الدربوكة هي أصغر الصحف الجزائرية حجماً وأغلاها ثمناً وهذا من الفوائد التي يتذوقها الجمهور. . . .

إلا أنها لم تعلن عن قيمة الاشتراك فيها إلا في الاعداد التالية : بعد أن تساءل أحد قرائها . عن ذلك ، ولفت نظر صاحبها لهذا النسيان .

البيـــان المـــبدئي

ومن عادة الصحف عندما يصدر العدد الأول منها يبادر أصحابها إلى تقديم بيان منهجي يحددون فيه الخطوط العريضة لسياسة تلك الجريدة ويبينون ميدان نشاطها سياسياً كان أو اقتصادياً أو فنياً أو اجتماعياً . . . . وسيراً على هذه الطريقة حاول صاحبها(*) أن يقدم لقرائه بياناً مبدئياً تحت العنوان الضخم التالي: D'eclaration de: principes وفي هذا البيان المبدئي حاول صاحبها أن يشرح برنامجها في أسلوب تحرير متقاطع وتطبيق جمل بعضها ببعض لا معنى لها حيث كانت أقرب إلى لغز منها إلى

(١) كان حجمها في بادىء الأمر كحجم نشرة داخلية مقياس 21 /27 تصدر في أربع صفحات اي ورقتين وتقسم صفحاتها إلى عمودين وأن الصفحتين الاخريين تنشر بعض الاعلانات .

كان مكتبها بنهج كليوباترا رقم2 بالجزائر . ولقد مرت بمراحل في خصوص حجمها . فمن حجم صغير إلى حجم أكبر منه بقليل ثم استقر بها الحال في حجم مجلة كمجلة «الشعب» التونسية لسان حال الاتحاد العام التونسي للشغل حالياً .

(*) كان صاحبها يدعى صالفادور دانيال Salvadore Daniel ورئيس تحريرها يدعى B.Jules

برنامج سياسي . ولقد حاولت جهدي أن افهم مراميه ومقصده ولكن بدون جدوى وخاصة منها المقدمة التي بدأها كالتالي .

«نظم حفل تكريم لأحد الاكاديميين ، وعند تقديم الفاكهة قال أحد الشبان المتحمسين لشاب آخر بجانبه :

لنحمل كوبا للمسيو . . . الذي تجاوز بكثير فولتير !

ـ وأجابه الثاني لنواجه الحقيقة ونقول : للمسيو الذي تساوى مع فولتير !

ـ وقال الاكاديمي : طيب يا شاب أنا احب صراحتك القاسية .

ـ هكذا يمكن أن تعمل «دربوكتنا»

ـ اعطيني ما . . .

ـ إنه إذا لم تكن دائماً الطريق المستقيم هي أقرب الطرق من نقطة إلى اخرى إنه طبيعي . . . الثقافة الموسيقية تشرف عند . . . المسرح فيلسوف : قديم . . . وإذا كانت الدربوكة متفوقة إنه .

. . . .

. . . . »(*)

هذا هو أسلوبها في التحرير بل أسلوب صاحبها « صالفادور دانيال» وإذا حاولنا أن نفهم شيئاً مما كان يقصد إليه فيبدو لنا الاكاديمي هو «الدربوكة» وأن فولتير هو الصحف الكبرى التي كانت ايامذاك تصدر بالجزائر والمعنى من ذاك أن الدربوكة لا تريد أو لا تزعم أنها تتفوق بكثير عن الصحف الأخرى مثل الأخبار والمبشر وتقبل أن تكون متساوية مع الجرائد الأخرى . وهكذا تكون في طموحها مثل الاكاديمي ؟

كان يكتب فيها بالاضافة إلى صاحبها المسيو صالفادور ، رئيس تحريرها المسيو ب جول ، Jules والكثير من الكتاب . ويلاحظ في كل عدد منها ، العديد من الأمضاءات .

ولما كانت الأراء مختلفة حول المسرح بل حول بعض التمثيليات المسرحية ، أعلن صاحب «الدربوكة» أن هذه الجريدة لم تتخذ موقفاً حيادياً لرأي معين وأنها تنشر جميع الأراء وبعدها يشرح « التهديدات التي يتعرض لها الصحافيون من جراء ذلك .

(*) انظر «الدربوكة» عدد 2 ليوم 21 اكتوبر 1856 .

وعلى ذكر هذه الخلافات في نطاق المسرح فإن خلافاً كبيراً بينها وبين جريدة «الأخبار» ادى إلى جدال عنيف بينهما . فكانت تتهكم على جريدة الأخبار في كل عدد . ففي أحد تهكماتها قالت :

«كان أحد النواب ينتقد الميزانية المخصصة للمسرح ونائب ثاني ينتقد الجزائر قائلين : أن المسرح والجزائر صالحان لابتلاع الميزانية . . . .
العفو يا إله إنني اتحدث سياسياً وهذا الحديث لا يرضي جريدة الأخبار . . . فلنعد إلى الحديث عن الفن والمسرح . . . »

وابتداء من العدد ٢٢ ليوم ٣١ ديسمبر ١٨٥٦ غيرت حجمها وزينت صدر الصفحة الأولى بصورة لامرأة جزائرية جالسة وهي تضرب على الدربوكة في منظر فني جميل .

وفي ديسمبر من السنة الثانية ١٨٥٧ تغير مديرها الأول وحل مكانه شخص آخر يدعى المسيو V.PEZE .

استمرت في الصدور إلى غاية شهر مارس ١٨٥٨ حيث ظهر آخر عدد يوم ٢٤ منه وهو يحمل رقم ١٣٦ وبه توقفت ولم يعط صاحبها أي سبب لتوقفها .
وبذلك تكون قد عاشت ثمانية عشر شهراً وتركت المكان لصحف اخرى جاءت بعدها لتهتم بالفن والمسرح وتسلية الجمهور االأوروبي .

كلمة حول المسرح

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن هذه الجريدة التي اهتمت بالفن والفنانين أن نعرج في حديثنا هذا لنقول كلمة عن المسرح الجزائري وتاريخ بناء دار المسرح الموجود بساحة بور سعيد حالياً .

كان الفن المسرحي في الجزائر قبل الاحتلال وخلال سنواته العشرة الأولى منتشراً جداً . وأن لم يكن له مكاناً خاصاً تقدم فيه للجمهور المسرحيات فقد كانت المقاهي المنتشرة في أرجاء المدينة هي أماكنه . وكانت من بين هذه الفرق ، فرقة تدعى (قرقوش) وقد استمرت هذه الفرقة في خدمة الفن المسرحي الجزائري مدة ثلاثة عشر سنة بعد دخول الفرنسيين إلى الجزائر . وكانت تغذي الروح الوطنية بتمثيل قصص أمام الجمهور .

وقد قدمت تمثيلة من بين التمثيليات القديمة التي كانت تقدمها للمتفرجين في المقاهي ، وكانت تمثل مقاومة فارس عربي جزائري ، لكوكبة من جنود الحملة العدوانية على الجزائر ، وقد تمكن هذالفارس من القضاء عليهم الواحد بعد الآخر .

ولقد رأى المستعمرون في هذه الفرقة المسرحية خطراً عليهم نظراً لنشاطها الوطني الذي كان يحرك الوعي القومي ويغذي استمرار الكيان الوطني . والمقاومة ضد المحتل . لذلك اصدر مدير الداخلية لحكومة الولاية العامة المسيو (كونت قيو Conte gueot) أمراً بمنها من النشاط المسرحي . وذلك عام1843 وبذلك وضع حداً لنشاطها نهائياً . هذا بالنسبة للفرق المسرحية الجزائرية . أما بالنسبة لتأسيس دار المسرح الحالية فيرجع تاريخها الى عام1830 عندما أصدر (الجنرال كلوزيل) قراراً بإنشاء قاعة للمسرح في12 نوفمبر1830 وكان القرار يحتوي على مادتين .

المادة الأولى خاصة ـ ببناء دار أو قاعة للأفراح في مدينة الجزائر والمادة الثانية تخص اختيار المكان الذي ستبنى عليه هذه القاعة .

وإن كان هذا القرار قد صدر عام1830 فإن دار المسرح لم تبن إلا في عام1853 في المكان الموجود فيه حالياً ومكانها هذا له تاريخ طويل نختصره فيما يلي .

الشـــجرة التي حـــكم عليهـا بالاعـــدام ؟

في ساحة بور سعيد ودار المسرح حالياً كانت توجد حديقة كبيرة تسمى عند الجزائريين حينذاك وحتى في أيامنا هذه (الجنينة) . وفي عام1845 اشتعلت فيها النار فأتت على كل ما فيها من أخضر ويابس إلا شجرة وبعض الأسوار .

ويقال إن هذه الشجرة عاشت ثلاثة قرون وشاهدت نظام حكم لأكثر من25 حاكماً . وكانت تظلل ضريح عالم جزائري يدعى سيدي منصور الذي عاش في النصف الثاني من القرن السابع عشر .

وبعد الحريق بسنة أي عام1846 قررت سلطات الاحتلال نقل ضريح هذا الصالح من هذا المكان إلى مقبرة سيدي عبد الرحمان ونظراً لمعارضة أهل المدينة هذا العمل اضطرت سلطات الاحتلال إلى تنفيذ خطتها تحت حراسة الجنود .

أما الشجرة صاحبة التاريخ والقرون الطوال فقد شكلت من أجلها لجنة علمية فلاحية لدراستها انتهت باعطاء أمر لاقتلاع جذورها عام1853 ، وكأن هذه الشجرة كانت تمثل الكيان الجزائري الطويل والتاريخ الحافل وأن وجودها يشكل خطراً عليهم وعلى بقائهم في هذه الديار . فحكم عليها بالاعدام .

وفي مكانها شرع في بناء دار المسرح الحالية أي عام1853 . وبعد هذا التاريخ بثلاثة أعوام صدرت جريدة المسرح والموسيقى ألا وهي «الدربوكة» .

الفصـــل الثالث

جريدة الجزائر الجديدة

البحث الخامس

الجـــزائر الجـــديدة

L' ALGERIE NOUVELLE

في عام 1858 وفي الوقت الذي عينت فيه الحكومة الفرنسية وزيراً على الجزائر يشرف على ادارتها من باريس ، وهو الامير «نابوليون جيروم» ، اجتمعت نخبة من السياسيين الفرنسيين المعادين للادراة العسكرية في الجزائر ، وقرروا على ضوء هذا التغيير ، الذي وقع في الادارة العليا لولاية الجزائر ، التي وضع على راسها مدنياً ويشرف عليها مباشرة من باريس ، قرروا اصدار جريدة سياسية لمناصرة هذا الاتجاه الذي اعتبروه خطوة لانقلاب شامل في اعادة تنظيم الادارة العسكرية وابدالها بادارة مدنية .

وارادوا ، من جريدتهـم هذه ، ان تكون جريدة الـرأي أي جريدة سياسية مستقلة .

ونظراً للوضع الجديد ، اعطوا لهـذه الجريدة اسماً مطابقاً للوضـع ، فسموهـا « الجزائر الجديدة» L. Algérie Nouvelle

ولقد كان ظهور هذه الجريدة ناتج ، من مساهمة جمع كبير من المساهمين باسهم في وضع ميزانيتها . وهذا الجمع الكبير كان كما سبقت الاشارة اليه من السياسيين اصحاب الرأي وكان من بينهم بعض المنفيين الى الجزائر . الذين استقروا فيها منذ سنوات مثل «اليكساندر لامبير»

ولما كانت الاحداث المهيمنة يومذاك في الجو السياسي هي الهجرة الاوربية للجزائر

وقضية امتلاك «الاراضي للاستيطان» فإن اصحابها قد جعلوا من أنفسهم المدافعين عنها ، ضد الادارة التي تعتبر في نظرهم المعرقل الوحيد الذي يقف امام تحقيق رغبات المدنيين ، وبالتالي تعطيل قدوم المهاجرين ولا يتم الاستيطان بالسرعة المرجوة .

ونظراً لهذه المهمة الصعبة التي انيطت بهذه الجريدة فإن مؤسسيها قد اختاروا لتسييرها والاشراف على تحريرها فريقا من أصحاب الرأي والاقلام البارعة .

اعطيت ادارتها إلى شخص يدعى «آرثورد دوفونفيل» Arthur De Fonville واعطيت رئاسة تحريرها إلى شخص يدعى «كليمان دو فيرنوا» Clémant De Vernoi(1) واعطيت سكرتيرية التحرير إلى شخص ثالث يدعى «المون انريس» Alemant Enres والتف حول هؤلاء نخبة من الكتاب والصحافيين والسياسيين . وحول هؤلاء جميعاً انضم المشتركون والمحبون لبرنامجها ، وخاصة لاستقلالها عن الولاية العامة والادارة والجيش بوجه عام .

هكذا انطلقت تصدر يومياً(2) ابتداء من يوم الاثنين 6 ديسمبر كانون الاول عام 1858 وهو اليوم الذي ظهر فيه العدد الثاني (3) في 8 صفحات .

انطلقت ابتداء من هذا اليوم تظهر في ثمان صفحات في ورق رفيع رهيف مقسمة صفحاتها الى اربعة اعمدة تحت عنوانها الكبير «الجزائر الجديدة» L, Algerie Nouvelle

الذي اضافت له فقرة صغيرة وبخط رقيق (جريدة يومية سياسية)

---

(1) هذا الصحافي اشرف على تسيير جريدة عام 1875 تسمى الاستيطان La Colonisation ونظراً لجرأته ضد الادارة الفرنسية منعت جريدته الصدور فانسحب على اثرها الى فرنسا .

(2) تمتاز جريدة الجزائر المستقلة لكونها اولى الصحف الفرنسية في الجزائر بدأت ، حياتها تصدر يومياً اما التي سبقتها فإنها اما انها كانت اسبوعية واما انها كانت نصف اسبوعية او انها تصدر ثلاثة مرات في الاسبوع .

(3) لم نتمكن من العثور على نسخة من العدد الاول الذي يحتمل ان يكون صدر في رقم صفر يوم الجمعة 3 ديسمبر 1858 .

فـريق قـوي وبرنامـج واسـع

سيبدو للوهلة الاولى من تصفح اوراق هذه الصحيفة بأن اطماح واهداف مؤسسيها كانت كبيرة وواسعة ولذلك نراهم يضعـوا لهـا فريقـاً قوياً من الصحـافيين المهـرة الاقوياء منذ البداية وحددوا لكل واحد منهم دوراً يلعبه كما بينا ذلك منذ قليل (1)

فعلاً لقد كان ذلك ضرورياً اذا علمنا انها تصدر يومياً وفي ثمان صفحات كبيرة تبلغ حجم جريدة «المجاهد» اليومية او جريدة «فرانس جولر» هذا من حيث فريق التحرير. أمامن حيث البرنامج الواسع الذي اعلنته في العدد الثاني فإنه يظهر واضحاً بأنهـا تريد ان تكون جريدة الجميع نظـراً للميادين المختلفـة التي وعـدت بأنهـا ستتعرض لبعضها يومياً ، وبعضها مرتين في الاسبـوع وتتعـرض لبعضهـا الأخـر اسبوعياً ومواضيع اخرى نصف شهرية كل ذلك بواسطة الربورتاجـات او المقالات عن المسرح والادب والعلم والفلاحة والتجارة والصناعـة ومشـاكل المقاطعـات في شرق البلاد وغربها . (2)

واضح من هذا ان لهذه الجريدة مطامع واسعة واهداف كبيرة الشيء الذي جعلها تبلغ الى علم الراغبين في الاعلانات فوق صفحاتها بأنها ستسحب 2000 نسخة بانتظام يومياً وتعدهم بأن الاعداد الاولى ستسحب بكمية ضخمة .

وفعلاً سحبـت الارقـام الاولى بكمية كبـيرة ثم وزعـت اربعـة اعـداد من هذه الجريدة ـ اي من العدد الاول الى العدد الرابع بطريقة مجانية .

(1) الادارة والتحرير Arthure De Fonvielle سكرتارية التحرير Alemant Enres

رئاسة التحرير Cleemant De Vernoi فرنسا والخارج .... معلق ....

(2) برنامجها كما اعلنت عنه :

ان (الجزائر الجديدة) ستنشر يومياً :

ـ مقالاً او مقالات حول قضايا الساعة ـ مقالاً متسلسلا ـ نشرة للاحداث الجزائرية

ـ المراسلات التي تصلها من نقاط مختلفة بالمقاطعات

ـ نشرة تجارية بما فيها حركة الميناء ، وانها ستنشر ايام الثلاثاء ، والجمعة والأحد .

ـ مراسلتين من باريس : واحدة سياسية والثانية جزائرية محررة بعناية خاصة

ـ نشرة ملخصة لاحداث فرنسا والخارج وانها ستنشر مرة كل اسبوع ـ دردشة عن المسرح ـ دردشة عن العلم .

ـ نشرة فلاحية ـ نشرة تجارية ـ نشرة صناعية ـ وستنشر ثلاث مرات في الشهر :

ـ مراسلات من قسنطينة ، وسكيكدة ، وعنابة) .. الخ

ـ مراسلات من وهران ، ومستغانم ، وتلمسان .. الخ

اسلوبهـــا في التعبير . . . أو فن الجدال الصحفي

كان اسلوب هذه الجريدة بل اسلوب اصحابها اسلوباً جدلياً ماهـراً . تراهـم يطرحون الاسئلة المحرجة على الادارة العسكرية ويطلبون الجواب عليها . كل ذلك في هدوء المؤمن الواثق مما يقول وان هذا الاسلوب لم يكن موجهاً للادارة العسكرية وحدها ولا مستعملاً معها فقط بل هو اسلوب استعمله صحافيون مع كل من دخل معهم في جدال .

وعندما يقوم خصام بينها وبين خصومها تخصص له مكان الصدارة وتجند له اقلام اشهر كتابها .

حدث ذلك بينهـا وبـين جريدة «الاخبـار» الشهـيرة عدة مرات ولقـد ادى هذا الاسلوب في الجرأة والجدال الى معركة بين السيف والقلم سيف جنرال وقلم صحافي نتج عن هذه المعركة اصدار قرار بتوقيف الجريدة عن الصـدور نهـائياً . وسـوف نتحدث عن هذه المعركة وهذا القرار في الوقت المناسب .

جدال عنيف بين (الأخبار) و (الجزائر الجديدة)

كتب ذات مرة احد صحافي «الاخبار» وكان يدعى ارنيست فيلبلاد Arniste (*) ..... Vilblad مقالاً اتهم فيه فريق جريدة (الجزائر الجديدة) بأنهـم جمعـوا امـوالاً بطريقة الاكتتاب (لضرب ميدالية تخليداً لقرار8 ابريل1857) ولكن هذه الاموال لم يعرف مصيرها وثارت ثائرة فريق (الجزائر الجديدة) على هذا الاتهام الخطير . فرد رئيس تحرير هذه الاخيرة على الاخبار رداً عنيفاً في مقالتين طويلتين بالصفحة الاولى اخذ ثلثي اعمدتها .

وفي هذا المقال العنيف الذي رد به على (الاخبار) مفنداً مزاعمها تبدوا قدرته على استعمال القلم واضحة حيث تراه يعدد لخصومه كل الاغلاط والهفوات التي وقعوا

* كان رئيس تحرير (الاخبار يومذاك)

فيها . الواحدة بعد الاخرى ثم يستنتج على ضوئها ويستخلص الصورة التي يريد أن يصف بها خصومه أو نعت يطلقه عليهم(1)

والجدير بالملاحظة هو ان هذا الجدال لم يكن وليد الساعة بين فريق تحرير (الجزائر الجديدة) وفريق تحرير «الاخبار» بل يرجع الى سنة 1857 ايام كانت تصدر جريدة تسمى (الاستيطان) La Colonisation (2)

وكان الصحافي كليمان دوفيرنوا Clemant De Vernois يشرف عليها . وقع ايامها خلاف بينه وبين صاحب (الاخبار) هذه الجريدة التي كانت سياستها النفاق وعدم اتخاذ مواقف صريحة الشيء الذي جعلها تعمر طويلاً رغم التقلبات السياسية وتغيير الاشخاص .

كان ذلك الخلاف حول امداد السكة الحديدية الجزائرية فكانت (الاستيطان) مناصرة للمشروع (والاخبار) مضادة والشيء الذي نستنتجه من هذا الخلاف والجدال القلمي هو انه قد نتج عن ذلك ظاهرتان ظاهرة التضامن وظاهرة التسامح .

أما ظاهرة التضامن فإنه يتطور الجدال والخصام من قضية شخص الى ان تصبح قضية تهم الفريق بأكمله فينتقل الصراع من بين شخصين الى خصام بين فريقين واحياناً يؤدي هذا الخصام الى مبارزة بحد السيف بين اعضاء الفريقين .

واما ظاهرة التسامح فإنهم ، اي الصحافيون كانوا يملكون مانسميه (روحاً رياضية) يتجادلون اليوم ويتسامحون غداً ويمكن يعود الجدال بينهم مرة اخرى ثم يتكرر ويقع التسامح وهكذا .

فبعد الجدال الذي وقع بين رئيس تحرير كل من الجريدتين نجدهما في اليوم التالي يتفقان على تعيين لجنة من اربعة اشخاص لوضع تفسير لما ادعاه كل منهما ويكون

(1) راجع افتتاحية هذه الجريدة ليوم الجمعة 7 يناير كانون الثاني 1859 التي كانت رداً على مقال رئيس تحرير الاخبار AKHBAR الذي نشر بالاخبار يوم 6 من نفس الشهر .

(2) كانت هذه الجريدة تصدر في الجزائر العاصمة (1857) وكانت تهتم كما يدل على ذلك اسمها بقضية الاستيطان ونظراً لجراة صاحبها تعرضت عدة مرات الى انذارات رسمية من الحكومة العامة ، وانذارات غير رسمية ثم تعرضت للتوقيف عن الصدور واخيراً صدر قرار بمنعها من الصدور نهائياً نظراً لشدة لهجتها وانتقادها للادارة

هذا التفسير بمثابة اتفاق بينهما لوضع حد لكل جدال في المستقبل تنشره الجريدتان وتأسيساً على هذا فإن هؤلاء الصحافيين كانوا يمتازون بروح رياضية ان صح هذا التعبير .

فبعد ان كان كل منهما شاهراً قلمه على الآخر يوم 7 فإذا بهما يتبادلان المدح والشكر يوم 9

ومع ذلك فإن الجدال بين الصحيفتين قد تجدد (فالجزائر الجديدة) تدعى التقدمية وتتهم الاخبار بالرجعية . . (والاخبار) تتهم الاخرى بأنها تمثل نزعة سياسية فرنسية (*) اي نزعة سياسة الوطن الام وتقصد بذلك انه لا مكان للتقدميين في (المستعمرة) .

ميولها السياسية

واضح من صفحات هذه الجريدة انها كانت الناطق الرسمي للجناح المدني من المجتمع الاوربي ، الخليط الذي كان قد بدأ يأخذ الصدارة في كل شيء في الجزائر ، ويبرز على رجال الجيش شيئاً فشيئاً ، وشرع يطالب في تغيير ادارة الاحتلال . من ادارة عسكرية ممثلة لتعليمات الادارة المركزية في باريس ، الى ادارة مدنية يكون لها نصيب من الاستقلال في التصرف في شؤون المستعمرة . تبعاً لذلك فإنها تعارض الجناح العسكري وفي المقدمة الادارة التي كان الجيش يسيطر عليها تماماً .

وتبعاً لذلك ايضاً فإنها كانت ترى في هذه الادارة التي يسيطر عليها الجيش هي المعرقل الاول للهجرة و لانتشار المعمرين المدنيين في الاراضي الخصبة وكانت ترى في هذه الادارة هي الحاجز الاول . للاستحواذ على اراضي اخرى ، تضم الى اراضي الاستيطان .

(*) راجع افتتاحية . . جريدة الاخبار في الجزائر الجديدة ليوم 1859/1/25 .

وترتيباً على ذلك فإنها كانت تطلب ان تسمح الادارة للمعمرين والمهاجرين بمزيد من حرية التحرك والتنقل والتعامل مع الاهالي ثم السيطرة على كل شيء . كما تؤكد اتجاهها هذا مقالاتها المناصرة للهجرة وتعاليقها حول الرسائل التي يبعث بها اليها المعمرون من مختلف النواحي مع نشر تلك الرسائل ، وكذلك تعاليقها حول اصدار قرار يقضي بالسماح للاجانب بأن يتجنسوا بالجنسية الفرنسية وكذلك بالنسبة للاهالي .

كل هذه الدلائل تجعلنا نقرر بأن مؤسسيها كانوا من المدنيين والمعمرين والمهاجرين على الخصوص في الخمسينيات ولذلك كان اتجاه سياستها موالي للمدنيين ومدافعاً عن المهاجرين ومعادياً للادارة التي لاتفعل ما يرضي أطماع المعمرين .

موقف الجزائر الجديدة من الجزائريين

عرفنا مما سبق برنامج هذه الجريدة ، وعرفنا تركيب فريقها ، وعرفنا اسلوبها الصحفي ، وعرفنا اخيرا ميولها السياسية .

فلنتعرض الآن لمواقفها من الجزائريين في بعض الجوانب التي كانت قد تعرضت لها في مناسبات مختلفة .

ونقتصر على موافقها من :

- اللغة العربية
- التجنيس
- الادارة

وترتيبا على ذلك فهي ترى :

أولاً : نظرتها إلى اللغة العربية

بالنسبة للغة العربية فان جريدة (الجزائر الجديدة) لم تكن تنظر اليها باكثر مما كانت نظرتها الى كيان هذا الشعب . فالشعب الجزائري لم يعد في نظرها يعدّ شعبا له لغته وجنسيته وحضارته بعد ان اخذ منه كل شيء بل صار في نظرها يعد مجموعة من العرب يجب اعطائها لغة وحضارة وجنسية فرنسية وادماجها في المجتمع الفرنسي . ولقد عبرت عن رأيها هذا بصراحة حيث قالت بالحرف الواحد :

«لقد اخذنا منه - اي من الشعب الجزائري - بالقوة ، وباسم حق الحضارة ؟ ما كان قد امتلكه ، وجردناه من اراضيه باسم الضرورة ، والصالح العام ، وحطمنا جنسيته ، وأصبح لا يوجد امام فرنسا الا عرب وليس شعباً عربيا(1)هذه هي نظرتها الصريحة في شعبناوتأسيسا على ذلك فان اللغة العربية لم تعد بالنسبة اليها الا لغة محلية لا قيمة لها . ولم يكن موقفها هذا موقفا سلبيا او موقف ، لامبالاة بل ذهبت الى اتخاذ موقف صريح بذلك والمطالبة بإيقاف اصدار الجريدة (2) العربية الوحيدة التي كانت تصدرها الادارة الفرنسية . لانها كانت ترى عدم ضرورة وجود مثل هذه (الورقة)

وترى أن اعتماد السلطات الادارية على جريدة المبشر واللغة العربية لتكون همزة وصل بين (الحضارة الفرنسية) حسب قولها ، من جهة والاهالي الجزائريين من جهة ثانية خطأ فادح ترتكبه .

إن التدخل المباشر من طرف الادارة لهو اجدى وانفع من (نشرة) لا قيمة لها (ولغة) لا تملك المقدارات الضرورية لاستعمالها في المصطلحات العصرية (1).

ولما عرفت ان صوتها هذا كان غير مسموح من الادارة الفرنسية حاولت ان تقدم عرض وسط محاولة ضرب اللغة العربية في القلب والحط من قيمتها العلمية والحضارية والتاريخية ، فاقترحت : انه في حالة ما اذا بقيت جريدة المبشر العربية تصدرها كالمعتاد فإنه من الضروري اصدار جريدة اخرى بالقبائلية واكدت على ان القبائل هم اقرب الاهالي الى الذوبان في البوتقة الفرنسية من كل الجزائريين الآخرين . واضح من موقفها هذا انها كانت تهدف الى حرمان الجزائريين حتى من ابسط شيء بقي لهم فيه أمل لبقاء ضوء خافت من لغتهم متمثل في هذه (النشرة) التي تكرمت بها عليهم الادارة العسكرية بعد ان جردوا من كل مدارسهم والكثير من مساجدهم . فأرادت هذه الجريدة ان تغلق عليهم جميع الابواب والنوافذ فاقترحت

---

(1) راجع افتتاحية عدد17 / ديسمبر كانون الاول1858 .

(2) المبشر هي اول جريدة عربية صدرت في الجزائر وثالث جريدة عربية في العالم .

(13) راجع في ذلك مقالاً افتتاحياً مطولاً بالعدد الصادر يوم10 يناير1858 احد صحافيها المشاهير ويدعى W.. De. Funvielle الذي تولى سكرتارية التحرير في ما بعد بعنوان الاشهار بالعربية .

ايقاف هذه (النشرة) التي كانت تطل على الاهالي ببعض الاحداث ضمن الاوامر والقرارات الصادرة من سلطات الاحتلال .

ثانياً ـ موقــفها من التجــنيس

في الثالث عشر من شهر ديسمبر كانون الاول اجتمع المجلس العام لمقاطعة الجزائر العاصمة (2) ومن جملة الاقتراحات التي قدمها رئيسه للمناقشة اقتراح يطلب اصدار قانون خاص يسمح بتجنيس الاجانب ويسهل لهم الحصول على الجنسية الفرنسية .

وعلقت كل الجرائد التي كانت تصدر يومذاك بالجزائر كل حسب رأيها على مداولاتَ (المجلس العام لكن رئيس تحرير الجزائر الجديدة) اخذ من بين الاقتراحات اقتراح التجنيس وعلق عليه تعليقاً مطولاً مؤ يداً لرئيس (المجلس العام) ومطالباً بإصدار مثل هذا القانون ، حتى يسهل على الاجانب الذين لم يتمكنوا من الحصول على الجنسية الفرنسية في فرنسا ان يقدموا الى الجزائر ليستوطنوا ويكتسبوا هذه الجنسية في ظرف سنتين ، وبذلك تتمكن فرنسا من استيطان عدد كبير من الاوروبيين .

إن موقفهاهنا كان متطابقاً مع رسالتها كما سبق ان قلنا انها تعادي الادارة العسكرية لانها كانت ترى فيها الحجر العثرة في طريق هجرة واسعة شاملة فظهر لها وان هذا الاقتراح ـ اقتراح التجنيس ـ سيخدم الهجرة بطريقة آلية (1)

وفي هذا التعليق المطول لم يتعرض رئيس التحرير إلا إلى تجنيس الاجانب اما بالنسبة للجزائريين فلم يقل شيئاً في حقهم ولذلك نراه يخصهم بافتتاحية يوم السابع عشر ديسمبر 1858 حيث رجع الى الحديث عن مشكل التجنيس مرة اخرى .

(2) راجع جريدة الافريقي القسنطينية العدد الصادر في 27 مارس عام 1860 الصفحة الاولى (15) راجع افتتاحية العدد العاشر ليوم الثلاثاء 1858/12/14

(1) راجع افتتاحية العدد العاشر ليوم الثلاثاء 14 /12 /1858

(تجـنيس الأهـالي)

تحت هذا العنوان كتب مقـالاً موجهـاً الى (المجلس العـام) حيث ابـدى له عدة ملاحظات بين فيها بأنه لا بد من التحفظ في اعطاء الجنسية الأهالي ، ولا بد من وضع شروط مسبقة . وخاصة قبول الحالـة المدنية . الفرنـسية (2) والتجرد من حالتهم المدنية لكي لا يكون بالنسبة للاهالي الجزائريين خليط مكون من القوانـين الفرنسية والقوانين العربية . ونظراً لأهمية هذا المقال من الوجهة التاريخية إذ يبين لنا الرأي السائد في ذلك العهد ـ فإننا ننشر منه المقتطفات التالية .

(من بين الاقتراحات التي وضعت امام المجلس العام نقطتان على غاية من الاهمية فكانت الاولى تهدف الى تجنيس الاهالي الجزائريين دون تفرقة في الـدين وقبولهـم بمنزلة الفرنسيين وذلك بواسطة رسائل التجنيس .

«لقد اعتدنا التلاعب بالالفاظ عندما تكون المسألة تهم الجزائر ، ولذا يبـدو لنـا ضرورياً توضيح معنى التجنيس يجب ان نفهم بأنه سواء بالنسبة للاهالي او الاجانب لا يمكن تجنيسهم الا اذا قبلوا اولاً وقبل كل شيء الحالة المدنية الفرنسية .

ونطلب المعذرة من المجلس العام على هذه الملاحظة ان هذا التحفظ لا بد منه وانه لا يجب ان يجد الاصدقاء القدامى في هذا الظرف مناسبة ليعملوا لنـا خليطـاً من القوانين الفرنسية والقوانين العربية» وبعد ابدائه هذا التحفظ اظهر معارضته لشروط التربص التي وضعت بل اقترحت بالنسبة للاهالي وهي تقضي بمرحلة تجريبية يمر بها كل من أراد التجنيس وبعدها يتحصل على الجنسية الفرنسية . لكنه رفضها بالنسبة للأهالي أما بالنسبة للأجانب فيراها عادلة ولا تخالف العدالة .

ثم يتطرق في الحديث عن الاهالي الجزائريين الذين استثناهم من هذا التـربص فيقول :

«ان شعب الاهالي لم يوضع تجاهنا في ذات الوضعية التي يوجد عليها الاجانب .

لقد اخذنا بالقـوة من هذا الشعـب وباسـم حق الحضـارة ما كان قد امتلـكه ،

«(2) راجع افتتاحية العدد السابع عشر ديسمبر 1858

وجردناه من ارضه باسم الضرورة والصالح العام ، وحطمنا جنسيته . وانه اصبح امام فرنسا الفاتحة يوجد عرب وليس شعب عربي ، كل هذا يبدو لنا حقاً شرعياً ولكنه جعلنا امام الاهالي مدينين ويجب علينا ان نوفي بالدين ، ولكي نقوم بأعظم واجباتنا يجب علينا أن نقدم للاهالي جنسية ويجب ان نقبل الاهالي بيننا وان نسمح لهم بالتمتع بما نتمتع به نحن من حقوق وواجبات عندما يخضعون لقوانيننا . .»*

اما الاهالي الذين يولوننا ظهورهم او الذين لم يتفهموننا فليتركوا جانباً وهذا احسن عمل اما الذين يأتوا الينا بصراحة يجب ان يستقبلوا ، بحفاوة وهذه هي السياسة الحقيقية» تلك هي نظرة «الجزائر الجديدة» للاهالي وقضية تجنيسهم عبر عنها الميسو كليمان دوفيرنوا باسهاب . فهي واضحة وغنية عن كل تعليق .

ثالثاً ـ موقفها من الادارة والهجرة

عندما اعفى «الامير نابوليون جيروم» من منصب وزراة الجزائر بادر الجناح الذي كان يزعم بالتقدمية والذي يمثله فريق تحرير الجزائر الجديدة الى مطالبة الامبراطور الفرنسي نابوليون بإعطاء الجزائر ادارة مدنية تحل محل الادارة العسكرية .

وارتكازاً . على هذه المناسبة اسرعت هذه الجريدة الى مطالبة الجزائريين والاوربيين على حد السواء بأن يوقعوا على عريضة حررها احد الضباط الملكيين المتقاعدين وتبنت هي جميع التوقيعات وارسالها الى الامبراطور . ولقد نشرها على صفحتها الاولى باللغتين العربية والفرنسية .

الا ان عربية هذا النص لم تكن الابالحروف اما المعاني والالفاظ فلم تكن من العربية اصلاً(18)

ثم وجهت نداء للجزائريين ان يتقدموا لامضائها مطالبين بإحداث ادارة مدنيه في الجزائر والسؤال الذي يطرح ، هو هل احلال ادارة مدنية محل الادارة العسكرية

* راجع عدد17 - 12 - 1858 بنفس المصدر .

(18) نشر هذا النص في مكان الافتتاحية بالعدد105 بجريدة الجزائر الجديدة ليوم 22 مارس آذار1859 .

يكون لفائدة الجزائر والجزائريين كافة بما فيهم الاوربيين ؟

الجواب طبعاً لا قبل الدخول في اي تفصيل ان اصحاب هذه الجريدة وقد بينوا مواقفها منذ نشأتها فهم يرون في الادارة العسكرية حاجزاً لتحقيق رغبات المدنيين في اغتصاب املاك الاهالي وبالتالي تمثل حاجزاً خطيراً لجلب المهاجرين في اعداد هائلة الى الجزائر .

وفوق هذاوبعد ذلك فإنهم اي اصحاب هذه الجريدة يريدون التحكم في الجزائر كما يشاؤ ون .

ومن الطبيعي في جميع هذه الحالات فإنه لن يكون ، في فائدة الجزائر والجزائريين ، إن رغبة من هذه الامنيات فإن تحققت واحدة يكون وضع الشعب الجزائري ادهى وامر مما هو عليه في نظام الحكم العسكري القائم .

لذلك فالجريدة لم تكن تسعى الى خدمتهم بل حاولت استخدامهم لاغراضها الخاصة بجمع امضاءاتهم تحت مطالبها .

فلقد كانت مواجهة هذه الجريدة ، للادارة منذ نشأتها مواجهة حرجة . حيث كان صاحبها يلقي على الادارة اسئلة مقلقة تدور ، دوماً حول مشكل الهجرة الاوربية الى الجزائر ، وباسلوب هادىء ولاذع في ذات الوقت .

ففي احد الاعداد الاولى التي وزعت مجاناً وعلى نطاق واسع كتب مقالاً خاطب فيه الادارة وكان تحت عنوان (الجزائر والهجرة) . . . .
ننقل ما يلي :

«ليس هناك تقرير اداري لم يشرح الرغبة في أن يرى الهجرة تتجه إلى الجزائر رغم أنه لم يبحث امكانية تحديد حركة هذه الهجرة لترتيبها ونستخلص من ذلك أن الادارة تملك أراضي كثيرة لا تعرف ماذا تفعل بها ، ثم بكلمة واحدة فإن العرض أكثر من الطلب ثم نفهم من ذلك بأن استقبال الهجرة سيكون بحفاوة بالغة .

هل هذا صحيح ؟
في فرنسا يؤمن بذلك أما في الجزائر فالجميع يعتقد العكس

إنه لا توجد في الجزائر قطعة أرض لم يكن يتنافس عليها ثلاثة أشخاص على الأقل وأنه في كل مرة يشرع في تأسيس قرية إلا وتكثر الطلبات تلو الطلبات الشيء الذي يجعل من العسير ارضاء مطالب نصف الطلبات المسجلة .

إنها دعوة صريحة إلى الادارة لكي تستحوذ من جديد على أراضي جزائرية جديدة ، ولا يكتفي هذا الصحافي بذلك فيستعين بتقديم الأدلة على ما يقول : (على كل ، فمنذ سنتين) لاحظت احدى الصحف الجزائرية بان مقدار الأراضي التي طلبت يتعدى المائة ألف هكتار وأن العديد من هذه الطلبات يرجع إلى سنوات مضت .

أليست كل هذه العوامل تسبب التردد الذي اتجهت اليه الهجرة . إن الأغلبية الكبرى من المهاجرين الذين يقدمون كل عام ، ترجع دون أن تحصل على شيء .

ومع ذلك ينتظر المهاجر بدون جدوى ؟ وهكذا يسترسل صاحبنا في توجه الاسئلة إلى الادارة مستفسراً عن جدية التقارير الادارية التي ترغب في أن ترى الهجرة تتجه إلى الجزائر

هل هذا يؤدي من جانب الادارة إلى استقبال القادمين بحفاوة ثم ترتبهم ؟ ماذا تعني إذن هذه النداءات الموجهة الى الهجرة للتجه الى الجزائر بطريقة واسعة ؟

ماذا تعني هذه العروض السخية لأراضي لم نملكها بعد ؟

ماذا تعني هذه التظاهرات لمصلحة (الاستيطان) الذي نعرقله ؟ معناها بكل بساطة هو أنه لم يعن بدراسة القضية ، وأن الادارة لها ثقة كبيرة . . في تدخلها ؟)

النصيحة

هكذا يواجه الادارة ويرى بأنها لم تقم بشيء مرضي فينصحها بترك الحرية للمعمرين في التصرف والتنقل وترتيب أنفسهم حسب ما يريدون وعليها أي الادارة بدلاً من أن تتبع الروتين في البحث عن الهجرة تولي اهتمامها بالبحث عن الأراضي أولاً لاستيطانها وبدلاً من أن ترهق المعمرين وتسحقهم بثقل حمايتها لهم لتترك لهم الحرية اللازمة والضرورية في التحركات وعندئذ فقط تجد قضية التعمير (والاستيطان) حلها . . »

(*) مدير هذه الجريدة

ومع النصيحة يقدم للادارة الانذار في حالة ما إذا استمرت في طريقها هذا أرى البحث عن الهجرة قبل البحث عن الأرض التي تقدمها لها (فإننا نذكرها بالزوجين اللذين تخاصما طيلة تسعة أشهر عن الوظيفة التي يختاراها لابنهما وعند الوضع جاءتهم طفلة (*) هذا هو موقفها من الادارة ومن الهجرة ونظراً لأسلوبها هذا ومناصرتها للهجرة وعدائها للادارة فإنها انتشرت بسرعة كبيرة في أوساط الأوروبين حتى صارت في ظرف أشهر قلائل، لا تزاحم جريدة المبشر والممرن فقط بل، وحتى الأخبار التي تعد أكبر صحف المستعمرة واقدمها فتعدتها واحتلت الصدارة في صحف الجزائر. حيث كانت تسحب 2000 نسخة تبيع منها 1900 منهم 1750 مشترك والباقي تباع للعامة. (1) وبهذا الرقم كانت تمثل اكثر الجرائد انتشاراً (2) وأكبرهم جرأة عرفتها الجرائد. في اواخر الخمسينيات.

هكذا استمرت هذه الجريدة في الانتشار واكتساب الانصار يوماً بعد يوم لما اشتهرت به من جرأة تجاه الادارة والعسكريين. ولقد حملتها جرأتها هذه متاعب جمة ومعارك قلمية عديدة بل أدت بها جرأتها هذه إلى أن تخوض معركة بين السيف والقلم.. فقطع السيف رأسها إلى الأبد.

حدث ذلك عندما كتب صاحبها (ارثور دو فونفيل) مقالاً في إحدى الجرائد التي كانت تصدر في الجزائر (3) انتقد فيه بشدة أحد الجنرالات المشاهير بالجيش الفرنسي ولما قرأ هذا الاخير ذلك المقال شعر بأن شرفه قد داسه هذا الصحافي فذهب لمبارزته في داره وأخذ معه شهوداً، ولما وصل إلى دار الصحافي طلب منه أن يقدم الاعتذار أو يبارزه بحد السيف ولما رفض الصحافي أن يقدم الاعتذار ولا القبول بالمبارزة، أكد له الجنرال بأنه لن يخرج من عنده إلا باصلاح ما داس من شرفه... عندئذ وقعت المعركة فعلاً بين السيف والقلم وكانت المبارزة بين الخصمين بمحضر شهود. (4)

وطبعاً فلما كان الصحافي لا يحسن استعمال السيف أصابه الجنرال بجروح في

---

(1) راجع ذلك في اعداد مايو وأيار 1859.

(2) كانت هذه الجريدة توزع في الجزائر العاصمة والبليدة والقليعة ومدية والبخاري ومليانة والأصنام وتنس وشرشال وسور الغزلان والقبائل الكبرى وقسنطينة ووهران وفرنسا.

(3) عام 1860

(4) راجع جريدة الافريقي القسنطينية العدد الصادر في 27 مارس آذار 1860 الصفحة الأولى.

ذراعه الأيسر وعندها سقط على الأرض .

ومع ذلك فإن الجنرال لم يقتنع بما حصل فطلب من صحافي آخر البراز .

وهو رئيس تحرير (الجزائر الجديدة) سابقاً وصديق الجريح وإن يستخلف صاحبه في المعركة ، ولكن هذا الأخير رفض ذلك فانسحب الجنرال من الميدان وعلى أثر هذه المعركة اتخذ عامل عمالة العاصمة قراراً بتوقيف الجريدة وتلاه قرار من وزير الجزائر والمستعمرات ثم وجهت رسالة إلى الامبراطور ليتخذ القرار النهائي

وبذلك تكون عاشت خمسة عشرة شهراً كلها جرأة وتحدي للجيش وللادارة حتى أتى السيف فوضع حداً نهائياً لحياتها .

البحث السادس

(الرامــي الجــزائري)

LE TIRAILLEUR ALGERIEN

14 نوفمبر 1858

بطــاقة تعــريفها :

الاسم : الرامي الجزائري Le Tirailleur Algeriàn

تاريخ ومكان صدورها : 14 نوفمبر 1858 بالجزائر العاصمة

رسالتها : جريدة أدبية (دراماتيكية) هزلية تصدر ثلاث مرات في الأسبوع : أيام ، الثلاثاء والخميس والسبت .

إدارتها : بنهج لافليش عدد 3 . LA FLECHE

حجمها : حجم جريدة الثورة والعمل تصدر في أربع صفحات مقسمة إلى ثلاثة أعمدة .

سعرها : 25 سنتيم

مديرها : ج - ب - اندري . J.B.André

قبل الحديث عن تاريخ صدور هذه الجريدة ، وعن أسباب انشائها لا بد من أن نقول كلمة في عنوانها الغريب الذي لا معنى له في عالم الصحافة Le Tirailleur Algérien ، فإذا استثنينا معناه وما يقصد به في اللغة العسكرية الفرنسية ، وهو «الرامي الجزائري» - جمع رماة - فإننا نستغرب اعطاء ، مثل هذا الاسم الذي هو اسم لنوع من الجنود - إلى جريدة أدبية (دراماتيكية) تهتم بالأدب والفكاهة . إلا

أنه عندما يتصفح الباحث صفحات هذه الجريدة ينكشف له سر اختيار هذا العنوان ، وذلك لما جرى على صفحاتها من معارك قلمية . ومن المعتقد أن أصحابها قد اختاروا لها اسم جندي ـ الرامي الجزائري ـ قاصدين بذلك ، أن يجعلوا منها ، جندياً في ميدان القلم . . من الرماة البارعين . بل ويتأكد هذا الاعتقاد عند رجوعنا إلى الافتتاحية التيأجابفيها رئيس التحرير عن الأسئلة التي طرحها الكثيرمن الناس حول اختيار هذا الاسم فأجاب بأن هذا العنوان يشبه البطاقة المعلقة علي أي كيس ينبغي أن تبين ما يحتوي عليه ؟

«إن اختيار العنوان ليس مسألة تافهة مثل ما يعتقد بعضهم . ولقد فكرنا فيه جدياً قبل اتخاذ القرار النهائي . »

ولاحظ أن «الرامي الجزائري» لم يكن جندياً متدرباً مثل أخويه «الزواف»(1) Zouave والصيادChasseur وإذا كان غيرماهر في المناورات فإنه سيبرهن في خط النار بأنه أهل ليقتدي باخويه الكبيرين . وانه بالنشاط والعمل سيحتل مكانة الصدارة في الجيش النظامي . . . »

وهو يشير بذلك إلى الصحف الأخرى التي ستأخذ جريدة «الرامي الجزائري» مكاناً بينها بفضل نشاطها وحيويتها . وكان لها بالفعل ما أرادت حيث بلغت رقماً قياسياً في التوزيع ـ17000 نسخة ـ بين المشتركين وغيرهم وبناء على ما تقدم فإننا سنطلق عليها في كتاباتنا ترجمة «الرّامي الجزائري» ويجمع هذا الاسم على رماة .

أســباب إنشــاؤها :

في احدى دراستنا للصحافة في الجزائر تحدثنا عن جريدة يقال لها الدربوكة (2) وقلنا «إن هذه الجريدة قد اختصت بالفن والمسرح والفرق الفنية» ولكنها لم تعش طويلاً وبقي هذا الميدان بلا صحافة ، وكانت الصحيفة التي تولي هذا القطاع نوعاً من الاهتمام هي جريدة لافيجي La Vigie Algeriènne وفي مطلع شهر نوفمبر (تشرين االثاني عام1858) توقفت هذه الجريدة عن نشر كل نشاط فني أو مسرحي

(1)الزواف والصياد هما اسمان يطلقان على فصائل في الجيش الفرنسي مثل الرامي .

(2) - راجع مجلة الجيش عدد78 سبتمبر 1970

وعلى أثر ذلك اغتنم جماعة من الصحفيين هذه الفرصة لاصدار جريدة تهتم بالأدب والفن الدرامي تحت عنوان «الرامي الجزائري» وفي تقديمها للقراء حاول أحد كتابها أن يشرح هدفها الذي ستتعرض له بعد حين .

تاريــخ إصـــدارها :

صدر العدد الأول منها في 14 نوفمبر (تشرين الثاني) سنة1858 في حجم جريدة الثورة والعمل(*) . انطلقت من هذا التاريخ تصدر بانتظام في نفس الحجم وفي الأوقات والأيام المحددة لصدورها طيلة سنتين تقريباً ـ22 شهـراً ـ إلى غاية شهـر ديسمبر «ايلول1860 » حيث تركت المكان لجريدة اخرى ستتعرض لها في حينها .

افتتاحـــية العـــدد الأول :

في افتتاحية العدد الأول التي كتبها أحد صحافييها ورئيس تحريرها ويدعى المسيو ـ أ ـ «تهيفنو) حاول أن يشرح أهدافها ومراميها في عالم الصحافة والرسالة التـي تناضل من أجلها وكذلك الأسباب التي أدت إلى انشائها ـ فغطت هذه الافتتاحية الصفحة الأولى بأكملها وكانت مقسمة إلى ثلاثة أعمدة وهذا بعض ما جاء فيها . . توقف مدير جريدة لافيجي La Vigie Algeriénne منـذ10 أيام عن نشر المقـالات الفنية المسرحية المتسلسلة بعد أن صرح لنا «بأن هذا النشر كان يعطل الجريدة عن الصدور المنتظم واضاف بأنه سيطلب معونتنا عندما يتحصل على رخصة لاصـدار جريدة في شكل «جريدة سياسية تجارية» ويتضح من هذا التصريح إذا أخذناه حرفياً .بأن نشرة فنية مسرحية هي نشرة مقلقة حتى في جريدة اعلانية . أما بالنسبة للوعد الذي قدمته لنا لافيجي ، بأنها تخصص لنا مكاناً مرموقاً بعد أن تصبح جريدة كبرى فنحن نعرف ما هي هذه الأنواع من الالتزامات .

والمسألة الفنية المسرحية ستبقى دائماً في المؤخرة . . . سواء كان ذلك بسبب الذوق أو بسبب كثرة المادة هذه المواد التي يعتبرها مشتركوا هذه الصحف فوق كل شيء وأهم من كل مسألة فنية مسرحية .

(*) ـ راجع بطاقة تعريفها .

وبناء على ذلك أخذنا بنصيحة لمسيو «فوتور Vautour» الذي قال لأجرائه «عندما لم نستطيع دفع الكراء يجب امتلاك دار خاصة» . . .

ثم يسترسل رئيس تحرير هذه الجريدة فيقول نحن نعتقد بكل قوة بأن الثقافة يجب على الفنون الجميلة أن تشجعها بالجزائر ، ونعتقد بأنه في بلد يزعم أنه يسمى ، فرنسا الثانية : لا يسمح بأن يشجع عمل هو مجد الوطن . وتأسيساً لكل ذلك ، فإننا نؤمن بضرورة ايجاد جريدة تكون صدى للآمال الفنية المسرحية ومجالا لابراز الكتب الأدبية أو العلمية . ومثل هذه الجريدة لا يمكن إلا أن تقدم خدمة بتشجيع من طرف رجال الذوق ، الذين ليسوا اقليلين في مستعمرتنا كما يجب البعض أن يؤكد ذلك .

ولا يكتفي المسيو «تهيفينو» بهذه الأسباب التي كانت الدافع والباعث على اصدار الجريدة فيضيف اسباباً أخرى ليؤكد ضرورة وجودها قائلاً :

هناك سبب آخر يضاف إلى تصميمنا . وهو أن المسارح في الجزائر تزداد أهمية كل سنة . وأن الجزائر العاصمة - من بين بعض المدن - تكاد تكون مدينة النظام وأنها ستكون قريباً لها أهميتها مثل المدن الرئيسية الفرنسية والأجنبية . .

وإنه من أجل تحقيق هذه الأهداف الواسعة قرر جماعة اصدار جريدة تهتم بشؤون المسرح والفنانين دون أن تكون لهم سوء النية أو يكون لهم تعصب ، هذه الجريدة تقود الفنانين في رسالتهم وتتعاون مع الجرائد المسرحية الأخرى لتعريف سوابق الفنانين الذين سبقوهم إلى هذا الفن .

هذه هي الأهداف التي كان يسعى إليها هؤلاء . والملاحظ أنه بالمقارنة بين ما جاء في افتتاحية هذه الجريدة ، وبين المنهج الذي سارت عليه ، وما كتب فيها من مقالات ، نجد الفرق شاسعاً وذلك بخلوها في معظم أعدادها من المسائل المسرحية والفنية اللهم إلا من ركن في الصفحة الثالثة ليس له أهمية . بل يبدو من تصفح مجموعة هذه الجريدة ، أنها كانت هزلية ، أكثر منها أدبية فنية ، وذلك يتبدى في أسلوبها المبنى للمجهول في قالب تهكمي ناقد . مدعم بصورة بل برسم لشخص أو لمظهر من المظاهر ومنظر من المناظر . وكانت هذه الرسوم تمثل شوارع للجزائر ، أو

للأهالي أو للصحف وهي مبعثرة في شوارع العاصمة ، وأن هذه الجريدة . لم تحترم من برنامجها إلا نشر هذه الرسوم ، أي ينشر وسم في كل عدد ، مثل ما وعدت به قرائها . حيث قالت في افتتاحيتها التي سبقت الاشارة إليها : سنقدم لكم في كل عدد تقريباً صوراً من أحسن الذوق وذلك حسب المستطاع لأننا لا نستطيع اعطاء وعداً بالتأكيد لنوافيكم بذلك .»

الاهـتمام بكل ما هـو جـزائري

خلافاً لكثير من الصحف بل لكل الصحف التي كانت تصدر أيامها فإنها كانت تهتم بكل ما هو جزائري كالشعر ، والمؤلفات والقصص ، وحكايات المقاهي ، وهلم جرا .

وكل ذلك في أسلوب معين خاص بفريقها .

في أواخر 1858 أصدر أحد الفرنسيين ، ويدعى فكتور ببرار كتاباً بعنوان «الشعر الجزائري» . وهو كتاب ضم مجموعة من القصائد الجزائرية ترجمها صاحب الكتاب إلى الفرنسية ، من أصلها العربي . فأخذ رئيس تحرير الجريدة هذا الكتاب ، وتناوله بالتحليل والنقد الأدبي . ونظراً لما كان لهذا الكتاب من أهمية وعد بأنه سينشر منه حلقات تكريماً لصاحبة . وفي ذات الوقت ذكر قراء الجريدة بأنه التزم بان يعرف الجزائر لفرنسا بالكتابة عن كل ما هو أدبي وفني في هذا البلد(*) ، فخاطبهم بالعبارات التالية :

لقد وعدنا قراءنا بان نكتب وأن نقدم النقد الأدبي لكل المؤلفات عن الجزائر في الجزائر أو عن مواضيع جزائرية ، وأننا ننفذ وعدنا على النصوص والرسوم والاعلانات التي ننشرها كل ذلك من أجل التعريف بالجزائر في فرنسا تعريفاً حقيقياً كما نَعْرِفُهَا منذ 20 عاماً . هذه الجزائر التي تعادل في تطورها الفني الكبير المقاطعات الفرنسية .

إن الكثير من قرائنا يعتقدون بأن الجزائر لا تملك شعراً ولا شعراء . ويقصد هنا بهذا الشعر وهؤلاء الشعراء شعر الجزائر وشعرائها العرب - ثم يؤكد قوله بكتاب

(*) - لم يحدثنا صاحب المقال عن أصول هذه القصائد اي النصوص العربية وكيف كان مصدرها .

المسيو برار الذي سنيدهش له الكثير من الذين لا يعتقدون بأنه يوجد في هذا البلد من يقول شعراً . ولكنه من المؤكد أن هناك حقيقة ووقائع سوف تجعلهم يتعجبون من وجود شعر عربي مقارن للشعر الفرنسي . . .

لم يحدثنا صاحب المقال عن أصول هذه القصائد أي النصوص العربية وكيف كان مصيرها ؟

ثم يتغلب عليه الواقع الحي مما قرأ . من شعر جزائري مترجم للفرنسية فيتعرض إلى تحليل هذا الشعر الوطني الجزائري والأناشيد الحماسية . فيذهب به الأعجاب مما فيها من حلاوة وذوق(1) وتركيز المعاني وصدق التعبير خاصة وأنها قد قيلت في السنوات الأولى من الاحتلال وأهمها ما قيل عام1837 في قسنطينية إبان الهجوم الفرنسي الغادر عليها ، وأنه من كثرة إعجابه بهذا النشيد قال إنه متشابه بل متساوي مع النشيد الفرنسي «لامار سابيز» .

ولا يتوقف عند هذا الحد بل يذهب إلى التعليق على أغنية وطنية أخرى لجزائري يدعى بن خمخام وكان هذا الجزائري من الوطنيين الأحرار الذين ألقت عليهم القبض قوات الاحتلال ونفي إلى الديار الفرنسية . وكان يتغنى بها في بلاد وديار المنفى ولكثرة ما كان فيها من معاني وطنية انتشرت بين الجماهير الشعبية وكأنها أغنية مقدسة(2) .

ثم يمدح معجباً دائماً نشيداً قيل في الأمير عبد القادر عام1839 يتلوه بالحديث عن قصائد أخرى مع نشر مقتطفات منها «بالفرنسية طبعاً ، لأنها مترجمة كما سبقت الاشارة إلى ذلك .

وأخيراً يعد هذا الصحافي المعجب بالشعر الجزائري ، قراءه بأنه سينشر مقتطفات من هذا الكتاب في الأعداد القادمة ، وبالفعل نشر في العدد التالي أغنية وطنية كانت منتشرة بين أفراد قبيلة أولاد حجوط . وكانت هذه القبيلة تتفرع إلى خمسين فرعاً . موزعة ومنتشرة في ربوع سهول متيجة الغنية .

---

(1) - راجع جريدة الرامي الجزائري عدد20 ص
(2) أنظر نفس المصدر .

ركـــن المســـلسلات

وفي المكان المخصص بالجريدة للمقالات المتسلسلة نشرت سلسلة من المقـالات تحت عنوان المحررون Les Redacteurs (6) تحدث فيها عن الصحافيين وكان مقالاً مهاجماً لجريدة (لابارباري نوفال) La Barbarie Nouvelle .

ما هي هذه الجريدة «La Barbarie Nouvelle» ومعناها «الجزائر الجديدة» هي جريدة سياسية ، فنية ، تجارية ، وفلاحية .

اصدرتها مجموعة من الأوروبيين المتهنين المشاهير ، الذين ذاع صيتهم في أوروبا واشتهرت أقلامهم الصحافية ، نشرت جريدة (الرامي الجزائري) بيان اعلان صدورها في شهر يناير كانون الثاني 1859 «راجع عدد ١٩ صفحة 4 من الرامي الجزائري» .

كان رئيس تحريرها ، ويدعى (كالمان دوراجوا Calmant de Rageois) يقود هذا الفريق الصحافي القوى . فانطلق ينافس فريق جريدة L»Algérie Nouvelle التي سبق الحديث عنها في إحدى دراستنا الماضية جعلها هذا التنافس وفريقها القوى تحتل مكاناً مرموقاً بين صحف العاصمة لكن فريق «الجزائر الجديدة» L»Algérie Nouvelle استطاع أن يكسب ثقة القراء وكان ذلك على حساب «لابارباري نوفال» La Barbarie Nouvelle» ، فما كان على فريقها إلا أن وضع السـلاح ، أي القلـم ، فتوقفت عن الصدور في شهر مارس من نفس السنة .

وبذلك تكون عاشت حوالي شهرين من الزمن والملاحظ إن هذه الصحف التي عاشت في الخمسينات من القرن الماضي . كانت صحف سياسية جدلية مثلهـا في ذلك مثل الصحف التي كانت تصدر في الديار الفرنسية ، حينذاك كما أنها لا تبتعد عن أسلوب صحف الجزائر في الأربعينات من نفس القرن . إذ كانت لا تنشأ إلا من أجل المجادلة والخصام والمعارك القلمية ، الأمر الذي يؤدي إلى النتيجة الحتمية ، وهي القوي يقضي على الضعيف ، وهي سنة النظام الرأسمالي في البلاد الغربية .

(6) - راجع الرامي الجزائري عدد 7/2 28 يناير 1859.

توقفت هذه الجريدة إذن وتأسفت عليها جريدة «الرامي الجزائري» بأسلوب هزلي وقالت إنها لن تستطيع الحديث عنها ولامهاجتها بعد الآن ؟

مع الملاحظة بأنه لم يبق لها من الخصوم إلا جريدة «بلاق مار» Blagueman» .

(راجع نفس المصدر عدد35 مارس (آذار) 1859) وبذكر هذه الجريدة (بلاق مار) لا بد من أن نقول كلمة فيها وإن كنا لم نتمكن من العثور على معلومات حول حياتها وأهدافها . وأسلوبها الصحافي : غاية ما في الأمر أنها كانت تصدر في الجزائر العاصمة . وكانت تدخل في جدال صحافي مع «الرامي الجزائري» Le Tirailleur Algérien » والجزائر الجديدة La Barbarie Nouvelle » كان رئيس تحريرها يدعى «شارانصون فان بليد» Charançon Vanne - Bled وقد كان من الجدليين الكبار حيث كان يتهكم على محرري الصحيفتين المذكورتين

من معـارك القـلم إلى بـراز بالسـيف

لئن بلغت الصحافة الفرنسية في سنوات 1848 و1849 حد الفوضى ، بعد الانقلاب العسكري بحيث كثرت الأفكار السياسية وتنوعت ، مما جعل الصحف تكثر وتتنوع في ذات الوقت ، تنشأ وتموت تظهر وتختفي ، قبل أن تمر عليها أيام فإن الصحافة في الجزائر ، وهي تتطور مع الزمن ، قد بلغت في أواخر 1858 ومطلع 1859 مستوى من الانحطاط تجاوز كل حدود الفوضى والتشخيص الذي عم قبل ذلك التاريخ بعشر سنوات .

فإذا كانت صحافة الجزائر عام 1848 صحافة الفوضى السياسية والأفكار العديدة المختلفة . فإن صحافة عام 1858 كانت صحافة الخصومات الشخصية والمعارك القلمية بين فرقائها أو بين رؤساء تحريرها . وغالباً ما تتحول هذه المعارك القلمية إلى براز بحد السيف (*) . وكغيرها من الجرائد الأخرى فلقد أعطت جريدة «الرامي الجزائري» اهتماماً كبيراً لمثل هذه المعارك القلمية حيث خصصت الصفحات الطوال للحديث عن خلافاتهم بأسلوبها الهزلي المعروف وتضيف إليها آراء القراء بنشرها مراسلاتهم لها وهي آراء مختلفة مؤيدة لهذه ومضادة لتلك .

* - راجع دراستنا عن جريدة «الجزائر الجديدة» في مجلة الجيش عدد 83 فبراير 1971

ووفقاً لأسلوبها الهزلي ، وبناء على الصراع الـذي كان دائـراً في قاعـات تحـرير «الأخبار» والجزائر الجديدة ، و«لابارباري نوفال» كتبت «الرامي الجزائري» في أحد أعدادها مقالاً طويلاً تحت عنوان «السلـم أو الحـرب» تطـرق فيه كاتبـه ويدعـى «ليتريك» إلى محادثات السلم التي دارت بين المتحاربين ؟(1) ومع هذا المقال نشرت صورة كاريكاتورية ، بالصفحة الثالثة وهو رسم يظهر صحيفة الجزائر الجديدة بين يدي القراء من نساء ورجال (2) وبعض أعدادها موزعة على الأرض .

ومنذ قيام الجدال الصحافي بين هذه الصحف ، كان هذا الصحافي يقدم باستمرار عرضاً عن تطورات المعارك فنشر بالعدد41 ص3 رسماً لهؤلاء المتنازعين وهـم في سهرة راقصة أقيمت للاحتفال بالصلح .

العــرب فـي الصحــافة الفرنســية

إذا تصفحنا مجموعة أعداد هذه الصحيفة الهزلية فإننا نعثر في صفحتها الأولى من عدد49 على تحليل بقلم «لاتريك» ـ للطريقة التي كانت صحف العاصمة توجه بها الـرأي العـام الاوربـي والادارة على الخصـوص لمعاملـة العـرب . وكيـف تقـدم الاقتراحات لسلطات الاحتلال لكي تمكنها من القضاء على المذهب المحمدي .

كتب «لاتريك» تحليله تحت عنوان «العرب» جاء فيه على الخصـوص ان تقـاليد وعادات وطبائع العرب تملأ حالياً اعمدة معظـم الصحـف الجزائـرية ، وان هذا الاهتمام العام قد يكشف عن تخوف مخفي سيظهر بعـد رحيل وحداتنـا العسكرية القديمة ، ولكن ليس هذا من مهامنا .

لا اله الا الله محمد رسول الله .

من ذلك نرى ان «الافريقي» (3) جريدة قسنطينة كتبت مقالاً طويلاً تطلب فيه القضاء على المذهب المحمدي نهائياً دون ان تقدم التفاصيل .

(1) راجع نفس المصدر عدد48 الصادر بتاريخ16 ابريل نيسان.1859

(2) وتحت هذا الرسم تعليق يحتوي على معاني كبيرة قال فيه صاحبه ان«الجزائر الجديدة» التي ارهقت كاهل العرب ها هي بعد ان قدمت شوربة للرجعية ، توزع على العرب قطع الخبز الانســاني ، ومع ذلك فإنها لم تتحصل على شيء من المحبة .

(3) ـ هي جريدة «الافريقي» كانت تصدر في قسنطينة سنتحدث عنها في صلب الحديث عن صحافة المقاطعات إن شاء الله .

«اما الجزائر الجديدة» فترفض هذه الافكار ونحن معها . لانها افكار تمثل عصراً آخر (*)

«اما الاخبار» فإنها لم تهتم الا بالامور الجزائرية . اذ كتب احد كتابها المستعربين مقالاً ينتقد طريقة اداء الاهالي لليمين أمام المحاكم والقضاء . . فيجب وضع صيغة اخرى لليمين .

وكان «لاتريك» وهو يقدم عرضه هذا يستعمل الاسلوب الهزلي المضحك .

اسـلوب (الرامي الجزائري) في الكـتابة

يستعمل صحافيوها في كتابتهم طريقة الجد والهزل في اسلوب مختلط .

نجدها دائماً تبنى معانيها وكلماتها للمجهـول او تتلبس بلبـاس الجنـدي «الرامـي الجزائري» وتتحدث عن نفسها في شخصه ومن خلاله الى القراء بطريقة غير مباشرة عن آرائها ومواقفها أو هجوماتها على زميلاتها .

وتسهيلاً لمعرفة اسلوبها هذا نقدم نموذجـاً واحـداً من مقالاتهـا وفيه تحدثنـا عن معاركها مع جريدة :L'Algérie Nouvelle الجزائرية الجديدة ، وكيف طلبـت هذه منها وقف هذا الجدال القلمي ، ثم كيف دار الحديث بين ممثلي كل من الصحيفتين الى ان توصلا الى صلح بين الاطراف المتنازعة . كل ذلك سنراه بقلم «لاتريك» .

الهـدنة والصـلح

« . . . انه بطلب من جريدة الجزائر الجـديدة قد توصلنـا اول امس الى ايقاف القتال ووقف الاسلحة بينها وبين «الرامي الجزائري» وكان الهدف من ذلك هو دفن الموتى ومعالجة المصابين وتبادل المساجين .

والحقيقة انه بعد قتال مرير شعر كل واحد بضرورة استعادة قواه من جهة والتفكير لكي ينتبه الى الحالة التي يوجد عليها من جهة اخرى .

أما فريق «الرامي الجزائري» فيبدو انه كاملاً . لكن فراغاً كبيراً وملحوظاً قد ظهر في صفوف الفيلق الثقيل المضاد اليه .

(*) ـ نفس المصدر عدد49 الصادر بتاريخ91 (ابريل (نيسان.1849

وقد عين محافظان عن الطرفين وانتقلا الى ميدان العمليات . وبعد تبادل الكلمات الودية بدأت عمليات الدفن .

ولوحظ من بين الموتى «بن جان غاستنينو» الذي يتذكره قراؤ نا عندما نصب كميناً عند بدأ القتال في احدى الديار لكي يختفي من طلقات الرصاص ويتمكن هو من اطلاق الرصاص من الخلف .

ولكن هيهات فإن الدار قد تهدمت عليه من جراء قنابل مدفع «الرامي الجزائري» التي لم تمكنه من الفرار . . . » هذا نوع من اسلوبها في الكتابة والجدال .

وهـــذا نموذج ثاني

يصف فيه صاحبه ، وهو رئيس تحريرها المسيو «تهيفينو» هذه الجريدة وكأنها دار للفنانين اعدوها واثثوها لاستقبال الجزائريين او لمن يريد أكتراء شقة فيها عند الحاجة فقال «لقد اخذنا داراً الينا واننا سنجعلهـا جيلة قدر المستطاع من أجل استدعائكم للقدوم لزيارتنا وأكتراء شقة فيها في حالة الحاجة . ولقد اعتمدنا على فنانين مشاهر لتأثيثها بالصور المرسومة . واننا سنكون على استعداد دائماً لاستقبال اقتراحاتكم بكل اعتراف ـ التي تتفضلون بها علينا في المراسلات القادمة»

هكذا كان اسلوبها يمتاز بالدقة في التعبير والوصول الى القول بما يريد ان يقول بكل سهولة وتبسيط وهو فن لم تكن تملكه الصحف الاخرى

الاعـــلان عـن تـوقفهـــا

بعد هذه الحياة الصحيفة التي امتزجت بالجد والهزل في آن واحـد اعلن صاحبها في اليوم الخامس من شهر مايو عام1860 للمشاركين فيها بأن وزير الجزائر والمستعمرات رخص لادارة «الرامي الجزائري» بتاريخ4 ابـريل نيسـان الماضي بإصدارجريدة سياسية تهتم بالاقتصاد والاجتماع وتصدر أربـع مرات في الأسبـوع تحت عنوان : L'Algerien» الجزائري» (*) وان ما يتطلبه طبع مثـل هذه الجـريدة

(*) إن جريدة الجزائري هذه المعلن عليها ليست جريدة «الجزائري» التي سبق الحديث عنها والتي ظهرت الى الوجود عام1852 والمعلن عنها لم تكن جريدة جديدة وإنما هي مكملة للرامي الجزائري بل هي الرامي الجزائري تحولت من جريدة هزلية إلى جريدة سياسية اقتصادية مع حذف الشطر الاول للاسم .

يحتم علينا ان نوقف نشر واصدار «الرامي الجزائري» * .

تغـيير في اللهجـة لا في العواطـف

وفي نفس العدد 154 وهو العدد ما قبل الأخير وعدت قرائها بأنهـا تحـذف الكلمة الأولى من اسم الجريدة «الرامي» وتترك الشطر الثاني «الجزائـري» وانهـا ستتوسع في الحجم وتغيير اللهجة ، لكن لا تغير العـواطف ، وبتغييرهـا للاسـم تغيرت طريقتها في الاسلوب فبعد ان كانت هزلية اراد أصحابها ان يفتحوا عهـداً جديداً جديداً لجريدة جدية مستقلة بالجزائر ولذلك عبروا بقولهم «الاستقلال الكامل هو شعارنا ولكن ، الاستقلال لا يعني بالنسبة اليها المعارضـة . . لكنهـا تريد ان تكون حرة قبل كل شيء في مناصرة الادارة التي لا نعتقد مثل البعض بأنها غير عاجزة ولا نعتقد بأنها لا تخطىء مثل ما يظن البعض الآخر . انها لا تمدح أياً كان وحتى مشتركيها بل تقول الحقيقة للجميع . .

ثم استخلص الى القول بأن برنامجها يوجد في عنوانها

«الجزائري» (L, Algerien)

انها اجنبية عن الاحزاب السياسية وان السياسة الداخلية والخارجية لاتجد في هذه الجريدة إلا معلقاً مطلعاً . وان صاحبهـا لم يخف تحيزه بعـد ذلك إلى «نابـوليون» الثالث لأنه كان يرى فيه الضامن لتطور الجزائر وتقدم بلاده .

ويلاحظ ان أصحاب جريدة (الرامي الجزائري) يستعملـون في كتاباتهـم لفظـة بلادنا عند الحديث عن الجزائر عكس الصحافيين الآخرين .

وخلاصة الحديث هو ان اعلان توقفها كان يحتوي على خبرين خبر توقف جريدة «الرامي الجزائري» وخبر اعلان صدور جريدة سياسية اقتصادية تحل محـل الاولى وهي جريدة لا نعلم ما اذا قدر لها ان شهدت النور .

(*) ـ ثم احاط علم المشتركين بأن اشتراكاتهم ستصلهم بانتظام اما الذين يرفضون هذا الالتزام فعليهم الاتصـال بمكتب الجريدة قبل تاريخ 15 مايو .

فريقهـا الصحـافي

توقفت عن الصدور يوم السبت 29 سبتمبر 1860 وهي في سنتها الثالثة وقد اصدرت 155 عدداً وتكريماً لفريقها الصحافي نشرت صورة مرسومة له في العدد 154 وكان فريقها متكوناً من

مديراً	J. B. Ander
رئيس التحرير	A, Theveno
سكرتير التحرير	Latrick
	Le Jeune Matrag
محررين	Charles Van Ghéle
	Jules Delsieunx

البحث السابع

المجـــلة الفلاحـــية

مـــــايو 1868

الى جانب الجرائد السياسية والجرائد الفنية ـ المسرحية والمجلات الطبية والتاريخية التي صدرت في العشرين سنة الأولى من النصف الثاني للقرن التاسع عشر ـ صدرت مجموعة من المجلات الدورية المتخصصة في الميادين الفلاحية . وكانت تصدر في شكل نشريات لا قيمة لها من الناحية الفنية والاخراج ولا من ناحية ترتيب وتبويب مواضيعها وان كانت من حيث الطبع تطبع على آلة الطباعة .

أما توزيعها فكانت توزع على نطاق ضيق أي على أعضاء اللجان الفلاحية التي كانت تصدرها وكانت هذه اللجان تدعي . . . Comices وكانت منتشرة في الأماكن التي تجمع فيها المعمرون بكثرة .

أما بالنسبة لمواضيعها فقد كان يكتب فيها معمرون وأطباء ، وخبراء زراعيون لم يصل الينا من هذه النشريات الا القليل . ولا نعرف من أخبارها الا القليل .

مثلا صدرت مجلة تدعى : . . . . .Revue de progrès de L'Algérie (مجلة التقدم الجزائرية) في أول يناير عام1850 بالعاصمة وكانت شهرية . وصدر العدد الثاني منها في شهر فبراير شباط وعند هذا الحد توقفت أخبارها . كان لها مدير يدعى

س/ جرمـان اينـي . . C. Germein Aine. لم نعـرف ما اذا كانـت رسالتهـا الصحافية ؟؟ . . .

وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ صدرت مجلة أخرى عام1860 بعنـوان La Revue Agricole de L'Algéerie «المجلة الزراعية الجزائـرية» كانـت هذه المجلـة تهتم بالزراعة حسب ما يدل عليه عنوانها . وهي وان كان لها رقم في المكتبة الوطنية (9961)كسابقتها الا أننا لم نعثر لها الا على مجموعة عام1861 التي أشرنا لها في دراستنا لهذه المجلة ومن المعتقد ان تكون مجموعتهـا موجودة بالمكتبـة الـوطنية الفـرنسية بباريس .

ثم تبعتها مجلة زراعية أخرى عام1864 اتت على آثارها الأيام . بعد هذا نطوي السنين لنصل الى عام1868 لنجد أنفسنا وجها لوجه مع مجلة فلاحية أخـرى هي «الجزائر الفلاحية» وسنتعرض اليها في حينها .

REVUE AGRICOLE IT HORRICOLE

كانت هذه المجلة تصدر باشراف استاذ في التاريخ الطبيعي بمدرسة الطب بمدينة الجزائر ويدعى شارل بوليي .Charles Bourlier وقـد كان هذا الأستـاذ عضـوا في الجمعية الفلاحية .

صدر العدد الأول منها في عام1860 لكن أعدادها ضاعت بالنسبة لهذه السنة(1) إلا انني عثرت على مجموعة من اعداد عام1861 وقد كانت تصدر مرتين في الشهر أي في اليوم العاشر والخامس والعشرين من كل شهر . (2)

وكان حجمها لا يتجاوز حجم الكراس وعدد صفحاتها16 صفحة في أوراق عادية وغلاف أزرق . (3)(4)

---

1 - جمعت اعدادها في مجلد واحد مع16 صورة وكان يباع بـ9 فرنكات .

2 - كان سعر الاشتراك فيها بالجزائر وفرنسا12 فرنكاً .

3 - كانت تقدم لقرائها مع العدد الصادر في اول الشهر رسماً ملوناً ومع العدد الصادر في آخر الشهر رسماً عادياً لآلة من آلة الحراثة .

4 - كان مكتبها برقم8 نهج موقادور(Mogador) وتباع في جميع مكتبات الجزائر وبإحـد المكتبات البـاريسية

استهل صاحبها العدد الأول من سنة 1861 بافتتاحية توجه فيها الى قرائه وكانت بالعنوان التالي :

الى قرائنا :

إننا عندما أنشأنا مجلة (المجلة الفلاحية الجزائرية) امتثلنا الى رغبة القيام بعمل ما نافع أكثر من امتثالنا الى فكرة معينة كاتساع ميدان الخدمة التي تقدمها مثل هذه النشرة .

وان التجربة المتسمرة لسنة من صدورها ، والقضايا الهامة التي حاولنا مناقشاتها معا ، والمشاركة النشيطة التي قدمت لنا لخدمة المعمرين والاستيطان كلها مبررات نجعل منها واجبا لأستمرار عملنا . ثم انها تحتم علينا توسيع نطاق الاطار وتناول المسألة الفلاحية بأكملها .

ومنذ الآن فصاعداً فان مجلة الهورتيكول ستكون مجلة «الفلاحة والهورتيكول الجزائرية» وأنها ستظهر في اليوم العاشر والخامس والعشرين من كل شهر .

ما هو ميدانها : ؟

ميدانها .... الهندسة القروية الميكانيك ، القرض الفلاحي ، فلاحة الحبوب مشاتل العلف ، والصناعة ، ..... الأسمدة ، المياه ، والغابات .

كل هذه الميادين تهتم بها الواحد بعد الآخر ...»

هكذا يشرح صاحبها قصة انشائها والاغراض التي تخدمها والميادين التي تتعرض لها بالدراسة والاهتمام .

وهذه الافتتاحية وان كانت بمناسبة العام الجديد الا أنها تعتبر المنهج والبرنامج الذي تسنه أي جريدة لنفسها يوم ولادتها ودخولها في عالم الصحافة والنشر .

وبالاضافة الى ما سبق من الاهداف فانها الزمت نفسها على أنها ستسجل الارشادات الضرورية للفلاحين فيما يخص التكييف اللازم لتربية الحيوانات وأنها ستولى هذه الارشادات كل العناية اللازمة مع التذكير بها وتكرارها دون انقطع .. لأن التجربة في نظرها هي وحدها التي تحمي من الأخطاء .

أما بالنسبة للطقس الجزائري فهي ترى أنه غير معروف لدى الجميع في المناطق ،

ولذلك فمن الضروري التعريف به للمعمرين وتقول : «أن أهمية معرفة هذا الطقس من طرفهم لا يجهلها أحد . وخاصة معرفة سرعة الفصول في بلاد أجنبية عنهم . . . » .

ويبدو ان صاحبها كانت له ثقة بنفسه ، وبما سيقدمه لقرائه كل شهر من المعلومات عن نواحي كثيرة في هذا الميدان ـ ميدان الفلاحة ـ لم تدرس حتى ذلك الحين .

وفي وعوده لقرائه لا ينسى معرض الصحف الفلاحية الذي سيقدمه في تعليق ملخص مجمل كل شهر يبين فيه مدى ما وصل اليه التقدم الفلاحي نتيجة تأثير مزدوج :

ـ التشجيع الحكومي من جهة .

ـ والمبادرات الخاصة من جهة ثانية .

مع تقديم أسعار المزارع والاعلانات الخاصة بالفلاحة .

ولقد حاول صاحبها أن يجعل منها مجلة كاملة الأركان شاملة للميادين الفلاحية وبكلمة وجيزة أرادها أن تكون مجلة عملية . . . PARTIQUE ومن كثرة ثقته بنفسه (1) وبمستقبل مجلته يؤكد قائلا :

إن هذه المجلة ستجد غذاءها الضروري في عرض الخبرات القيمة التي جمعت ضمن العمل خلال الثلاثين سنة الماضية .(2) .

إن الاحصائيات الواعية الفلاحية التي قدمت وتستمر .

وإن عرض الظروف المختلفة التي قدمت فيها تجارب فلاحية ، يجب أن تكون الدليل المضمون للفلاحين الأوروبيين القادمين في المستقبل والدليل الذي يسطر لهم الطريق التي يجب اتباعها بدون خطر والذي يسير عليه الاستيطان بخطى ثابتة . »

وبعد عرض البرنامج ، وتقديم النصائح ، وتأكيد التزام المجلة بما وعدت ليستخلص قوله قائلا :

---

(1) كان يدعى شارل بورليي Charles Bourlier

(2) راجع افتتاحية العدد الصادر يوم10 فبراير شباط1861 الموجود بالمكتبة تحت رقم9961

«أنه بتقدير عادل للنتائج المتحصلة . .. سنعرف بسرعة ما إذا كانت الجزائر ـ هذا المخزن الكبير لمزارع البحر الأبيض المتوسط ـ ممكن أن تكون هكذا جديدة لفرنسا أو تبقى بكل تواضع مثل ما كانت لروما المخزن الكبير الذي تأخذ منه خبزها بثمن بخس : »

زرع الجزائريون التبغ منذ القديم

ومن خلال مقالاته التي كان يتعرض فيها الى المواد الفلاحية التي كانت تزرع في الجزائر نجده يتعرض للتبغ ومعرفة العرب لفلاحته منذ القديم فيقول :

إن العرب كانوا يزرعون التبغ في الجزائر للاستهلاك المحلي قبل عام 1830 بكثير ولقد كانت لهم معرفة كبيرة متقدمة في هذه الفلاحة . ولقد كانوا يملكون سهولا كبيرة منها سهول أولاد شبال التي كان أنتاجها معطرا ومحبو با عند الأتراك . (1)

انتاج الحصان العربي

في هذه الفترة من تاريخ الاحتلال الفرنسي ، وقد خيل للغزاة والدخلاء أن الشخصية الجزائرية للشعب الجزائري العربي المسلم قد فرغوا من القضاء عليها إلا في بعض الجزئيات ومنها الحصان العربي الذي ثارت حوله ، وفي أوساط الفلاحين والمهتمين بالخيول ـ مناقشات تهدف الى تغيير شكله بالادماج واختلاط الدماء . . .

وتدخل المسيو شارل بورلي Charles Bourlier في النقاش القائم ليقول كلمته ـ وهو المختص ـ فكتب مقالا (2) عارض فيه بشدة المحاولات التي تقول وتطالب بتحوير الحصان العربي وتغيير شكله ، لا لأنه حباً في ابقائه كما هو ولكن لأن ذلك مستحيل . وتمنى «أن يجهز جيش الخيالة الفرنسيين وحداته بالخيول العربية القوية . . . »

وتأكيدا لقوله من أن الخيل العربية قوية عرفت بشكلها وقامتها . .

ولقد كان عندما يقدم مقالا عن النباتات الفصلية والأشجار يصحبه برسم أو صورة حجرية

---

(1) راجع نفس المصدر صفحة ٨ .

(2) 8

كما أنها كانت تنشر صورا حجرية (*) للآلات الفلاحية كآلات الحرث والحصاد وتهتم بالاحوال الجوية باستمرار .

وعلى هذا الخط استمرت في الصدور الى عام 1862 وهو ما تأكد لنا من مراجعة بعض أعدادها . وبعد هذا التاريخ لم نعرف ماذا كان مصيرها بالضبط .

فريقهـــا الصحـــفي :

الحقيقة لم يكن لها فريق صحافي بأتم المعنى . وغاية ما هناك أن كتابها كانوا من الشخصيات المتخصصة في ميادين أخرى غير الميدان الصحافي البحث باستثناء واحد منهم أو اثنين .

Doeteur. Charles. Bourlier مديرهـا ورئيس تحريرهـا . وكان اختصـاصي في التاريخ الطبيعي بمدرسة الطب بمدينة الجزائر .

Docteur. Varnier يكتب فيها المقالات المختلفة . وكان طبيبا ورجل سياسة حيث تولى منصب شيخ بلدية الجزائر في السبعينات .

A. Berrbrugga من كتابهـا الدائمـين وقـد تعـرض في حلقـات الى مادة قصـب السكر . . Cane A sucre, في بلاد المغرب الكبير . وهو عالم كبير من علماء الحملة الأوائل . وصحفي شهير سبق له أن ترأس تحرير جريدة الممر ن الجزائري في أيامها الأولى . وترأس تحـرير المجلـة الأفـريقية . وكتـب في الصـحف الجزائـرية ذات الاختصاص . وقد سبق الحديث عنه في الصفحات السابقة .

---

* انظر الرسم والصورة المنشورين مع الموضوع

مكتبة المركز الثقافي
امين المكتبة
فلاوسن
13620

الجـــزائر الفلاحـــية

ونتنقل الآن بالحديث عن مجلة «الجزائر الفلاحية» التـي أشرنـا اليهـا في مطلـع الحديث . تلك المجلة التي عمرت طويلا وسارت في حياتها من حسن الى أحسن في المضمون والاخراج والشكل والتحرير والطبع .

ولقد عاشت وعاصرت التطور الفلاحي الجزائري خلال الأربعين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر وبعض السنوات من مطلع القرن العشرين .

مجلة «الجزائر الفلاحية» L'Algérie Agricole

كان هذا هو عنوانها الرئيسي مع العنوان الفرعي التالي :

BULLETIN GENERAL DES COMICES

كانت هذه النشرة في بادىء الأمر تصدر شهريا في16 صفحة من ورق رهيف(*) وكان لها مراسلون في الجزائر وفي فرنسا وهم من الأوساط الزراعية أو الأطبـاء أو الخبراء في شؤون الزراعة ، كانت تهتم كثيرا بالفلاحة ، وبشؤون التغـذية ، وبأسعار المنتجات ، التي تنشر لها جداول يبعث لها بها المزارعون من المقاطعات .

صدر العدد الأول منها في شهر مايو أيار عام1868 ، وكان دون مقدمة افتتاحية ولا اعـلان ـ ظهـرت في ورق عادي رهيف واخـراج عادي لم تتحـدث ولـم تشر الى المجلات والنشرات الفلاحية التي سبقتها الى الوجـود كما أنهـا لـم تحـدد أهدافهـا رسالتها كما تفعل الصحف والمجلات التي تظهر لأول مرة للوجود .

إلا انه يمكن معرفة أهدافها من عنوانها ، ومما كانت تكتب .

فبالاضافة الى اهتمامها بالزراعة وشؤون التغذية وأسعار المنتجات في الأسـواق . فانها كانت تهتم بالمعمرين والاستيطان وبتوزيع الأراضي على المهاجرين وتنصيب المعمرين في كل مكان .

---

* تقسم صفحاتها الى عمودين . وتوزع على المشتركين في الهيئة سعرها سنويا6 فرنكات .

وتأسيسا على ما سبق فانه يمكن تحديد رسالتها في خدمة الاستيطان وتوزيع الأراضي على المعمرين .

وتبعا لهذه السياسة وهذا المنهج فان جمعيتها .Comicès. D.`Alger قد كتبت كتابا بعنوان La Colonisation De la Kabylie par L'immigration «احتلال القبائل بواسطة الهجرة» ووزع على نطاق واسع بطريقة الاكتتاب مع تخفيض سعر الإشتراك في المجلة لمن يشتريه ثم نشرت حلقات إعلانية عنه . كان ذلك عام 1871 -1872 وفي هذه السنة(1872) وتمشيا مع سياستها الاستيطانية ، غيرت عنوانها الفرعي فأصبح كالآتي L'Algétie Agricole bulletin de. la Colonisation . Publier sous La Direction Du Comice D:Alger وهكذا انطلقت تصدر مرة كل شهرين . استمرت هذه المجلة تصدر في ثوب نشرة بسيطة كل شهرين إلى عام1880 فتحولت إلى مجلة حقيقية تصدر مرتين في الشهر أي في أول الشهر وفي الخامس عشر منه . مع تحوير خفيف في العنوان الفرعي . (1)

فريـــق التحـــريـر

اشترك في إصدارهافريف تحرير اللجنة الفلاحية لعمالة الجزائر واللجنة الفلاحية لوادي الشلف . وكانت لها فرقة تحرير قوية متكونة من :

ليانطاند وهو مديرها Docteur Liantand Directeur .

- شارل ريي رئيس تحريرها............ Charles Riy Redacteur en Chef
- بونزوم متعاون......................... Bonzom Collaborateur
- شاباس................................. Chabasse
- بلاسيل................................. Blasselle (2)
- غي.................................... Guy
- أودو................................... Oudot

1- انظر الصورة المنشورة للعدد... لشكلها الجديد .

2- كان هذا الشخص شيخاً لبلدية الجزائر بعد إعلان الجمهورية وكان عرضة لانتقاد الصحف وخاصة جريدة... Solidarite الأمر الذي ادى بالوالي العام شانزي إلى إعلان حالة الطوارىء بالعاصمة ومنع هذه الجريدة من الصدور .

- لاماري .... Lamary

ديجور وهو متصرفها. .... : ...... (1) . . DuJour Administrateur

هكذا سارت على خط مستقيم حتى مطلع هذا القرن .

وطبقاً لسنة الله في أرضه فقد تجدد فريق تحريرها حيث ذهب البعض ومات بعض آخر وبقي القليل من القدامى وجاء فريق آخر .

كان حجمها في هذه المرحلة كحجم مجلة المصور القاهرية . وكانت مادتها مقسمة إلى عمودين . وتصدر في 16 صفحة

أهـــدافها:

أهدافها هي خدمة المعمرين والهجرة . إذ قالت في أحد اعلاناتها المتكررة :

«بهدف تشجيع الهجرة . وتعمير الجزائر بالعنصر الفرنسي فإن مجلة الجـزائر الفلاحية تقـدم خدمتها مجاناً الى كل ملاك فلاحي يكون في حاجة الى مستخدمين فلاحين (2) » .

وفي هذا التاريخ ـ 1901 ـ كانت جميع الصحف والمجلات تخصص صفحتها الاخيرة للاعلانات الفلاحية ، وكانت تارة تضع صورة حصان مع ارشادات لتربية النسل وتارة تضع صورة لآلة فلاحية .

اما اعلاناتها فكانت مخصصة للمواد الكيماوية الفلاحية .

وانقطعت اخبارها في مطلع القرن ـ 1901 ـ ولا نعرف ما إذا عمرت طويلاً بعد هذا التاريخ ام توقفت .

على كل حتى هذا التاريخ فانها عاشت 34 سنة .

---

(1) كان مقرها بدار بلدية الجزائر وهو مقر اللجنة الفلاحية Comice Agricle

(2) راجع عدد 217 صفحة 377 ج . 2 والاعداد لعام . 1901

ـ لاماري .... Lamary

ديجور وهو متصرفها.................(1) . . DuJour Administrateur

هكذا سارت على خط مستقيم حتى مطلع هذا القرن .

وطبقاً لسنة الله في أرضه فقد تجدد فريق تحريرها حيث ذهب البعض ومات بعض آخر وبقي القليل من القدامى وجاء فريق آخر .

كان حجمها في هذه المرحلة كحجم مجلة المصور القاهرية . وكانت مادتها مقسمة إلى عمودين . وتصدر في 16 صفحة

أهـــدافها:

أهدافها هي خدمة المعمرين والهجرة . إذ قالت في أحد اعلاناتها المتكررة :

«بهدف تشجيع الهجرة . وتعمير الجزائر بالعنصر الفرنسي فإن مجلة الجزائر الفلاحية تقدم خدمتها مجاناً الى كل ملاك فلاحي يكون في حاجة الى مستخدمين فلاحين (2) » .

وفي هذا التاريخ ـ 1901 ـ كانت جميع الصحف والمجلات تخصص صفحتها الاخيرة للاعلانات الفلاحية ، وكانت تارة تضع صورة حصان مع ارشادات لتربية النسل وتارة تضع صورة لآلة فلاحية .

اما اعلاناتها فكانت مخصصة للمواد الكيماوية الفلاحية .

وانقطعت اخبارها في مطلع القرن ـ 1901 ـ ولا نعرف ما إذا عمرت طويلاً بعد هذا التاريخ ام توقفت .

على كل حتى هذا التاريخ فانها عاشت 34 سنة .

---

(1) كان مقرها بدار بلدية الجزائر وهو مقر اللجنة الفلاحية Comice Agricle

(2) راجع عدد 217 صفحة 377 ج . 2 والاعداد لعام . 1901

فريــق تحــرير ها لعام 1901

charles Revieie كان رئيساً لتحريرها .

في هذه الحقبة كان يكتب فيها مجموعة من الاخصائيين وعلى رأسهم Charles Reviere وهم :

Charles Raviere كان رئيساً لتحريرها .

Blasselle : وهو من القدامى .

Clivier

Le Cop

Bouzom : وهو كذلك من المحررين القدامى .

Gustave

Guy : وهو من الفريق القديم .

Barbien

Chouillion

Docteur Gaucher

Langlois

Sebastien الخ .

وبالاضافة الى هؤلاء الاخصائيين كانت تشارك في اعدادها اللجان النقابية بالشلف ، والقليعة وتلمسان والرويبة ، والجزائر .

الفصل الرابع

جريدة بريد الجزائر

(جريدة مصالح الاستيطان)

1 ديسمبر 1861

البحث الثامن

بريـــد الجـــزائر

خــطة البحــث :

يحتوي هذا البحث على دراسة لجريدة هامة صدرت بمدينة الجزائر في مطلع الستينيات من القرن التاسع عشر بعنوان «كوريي دولا لجيري» . COURRIER DEL' ALGERIE .

قسمت هذه الدراسة إلى خمسة أبواب .

سأتحدث في الباب الأول عن :

1 ـ المميز الزماني لنشأتها وتوقفها عن الصدور .

2 ـ المميز المكاني لظهورها ونطاق نشاطها .

3 ـ العوامل التي ساعدت على استمرارها .

4 ـ المصاعب التي عرفتها .

5 ـ استقلالها عن كل من الادارة والمعارضة .

وأتحدث في الباب الثاني عن :

1 ـ مميزات فريقها الصحافي .

2 ـ منهجها السياسي .

أما الباب الثالث فسأخصص الحديث فيه عن :

1 ـ الرأي .

2 ـ المقالة السياسية .

3 ـ موقف الصحف منها .

4 ـ الخبر .

وفي الباب الرابع يكون الحديث عن :

1 ـ الاعلانات .

2 ـ الجانب الأدبي في الجريدة .

أما الباب الخامس والأخير فأخصصه للحديث عن :

1 ـ أشهر صحافي عرفته هذه الجريدة .

2 ـ الخلاصة .

بالحديث عن جريدة بريد الجزائر «كوريي دولا جيري» ندخل في الستينيات من القرن التاسع عشر ، ويستحسن قبل المضي إلى الأمام ، أن نضع بين يدي القارىء ملخصاً لقائمة الصحف التي صدرت في مدينة الجزائر في العشر سنوات الماضية ـ1850-1860 ـ والتي سبق لي الحديث عن بعضها ـ وهي التي عثرت على نسخ منها في مكتبتنا الوطنية ـ والاشارة إلى أخرى ـ وهي التي لم أعثر لها على أثر إلا ذكرها في بعض المراجع . وأقدمها حسب الترتيب الزماني :

1- le Progre de L'Algerie كانت تصدر في شكل مجلة صدر العدد الأول منها يوم أول يناير كانون الثاني عام1850 . لم أعثر لها على أثر .

2- L'Algerien كانت تصدر في شكل جريدة ، صدر العدد الأول منها يوم25 أبريل نيسان عام1852 .

3 - Lagazette Medicale كانت تهتم بالشؤون الطبية ، أنشأها طبيب يوم25 فبراير شباط عام1856 . كانت تصدر شهرياً .

4 - Revue Africaine أنشأتها «الجمعية التاريخية الجزائرية» برئاسة العالم الفرنسي A. Berbrouger صدر العدد الأول منها في شهر اكتوبر «تشرين الأول» عام1856.

5 - Les Petites Nouvelles Algerienne كانت تصدر عام1856 . لم نتمكن من معرفة تاريخ صدورها ولا تاريخ توقفها . وهل كانت مجلة أم جريدة ؟؟

6- DERBOUKA كانت تهتم بالفن والمسرح وتصدر في شكل جريدة صدر

العدد الأول منها يوم 18 اكتوبر 1856.

7 - L'Algerine Nouvelle صدر العدد الأول منها يوم الاثنين 16 ديسمبر (كانون الأول) عام 1858 . وكان شكلها شكل جريدة .

8 - Le Tiralleur Algerien صدر العدد الأول منها يوم 1 نوفمبر تشرين الثاني عام 1858 . وكان صدورها في شكل جريدة تهتم بشؤون الفن . .

9 - La vigie Algerienne كانت تصدر بالعاصمة قبل إنشاء L'Algerie Nouvelle عام 1858 . وكانت تهتم خصوصاً بالاعلانات لم أعثر لها على أثر في المكتبات الجزائرية .

10 - La Barbarie Nouvelle صدر العدد الأول منها في غرة يناير (كانون الثاني) عام 1858 وتوقفت عن الصدور في مارس (آذار) من نفس السنة .

11 - Blagwemar جريدة كانت تصدر في نفس المدة التي كانت تصدر فيها la Barparie 1859 . لم يترك لها الدهر أثراً . .

12 - Rere de l' Algerie Agricole أنشئت عام 1858 ؟ وأنشئت مجلة أخرى بنفس الاسم تقريباً عام 1860 ؟ عنوانها l' Algerie Agricole

الغالب عن الظن أنها مجلة واحدة صدرت في فترات متقطعة وهي وان كان لها رقم بالمكتبة الوطنية فهي معدومة الوجود تماماً .

13 - l' Algerien هي جريدة أعلن عنها صاحب le tira illeur Algeien عند توقف هذه الأخيرة في شهر مايو أيار عام 1860 . فهي بذلك تختلف عن l' Algerien التي صدرت عام 1852 .

أذكر هذه الصحف ولا أزعم أنني قدمت وذكرت كل الصحف التي صدرت في هذه المدة الزمنية بل ممكن أن تكون هناك جرائد أنشئت ثم ماتت لحينها في هذه الفترة ولم أتمكن من العثور عليها . ولقد اردت أن أذكر هذه القائمة ، قبل المضي إلى الأمام ، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

وبعد هذه الوقفة القصيرة نعود إلى حيث تركنا الحديث ونستأنف الطريق مع جريدة «كوريي دولا لجيرى» Caurrier de L'Algerie التي نعيش معها بداية الستينيات

تمـيزها الزمـني

أولاً :

أنشئت هذه الجريدة في أواخر سنة 1861 بالجزائر العاصمة وقد صدر العدد الأوّل منها يوم الأحد أول ديسمبر 1861 وتصدر ثلاث مرات في الأسبوع أيام الثلاثاء ، والجمعة ، والأحد . وتظهر في أربع صفحات بحجم جريدة الشعب الجزائرية . وبذلك كانت تعتبر من كبريات الجرائد اليومية يومئذ ـ نظراً لبطء تطور الصحافة وعدم وجود كثرة القراء(*) يومذاك في الجزائر ـ وهي من هذه الناحية تعتبر جريدة هامة .

استمرت في الصدور من هذا التـاريخ ، متعرضـة للصعوبـات تارة ولقـرارات الادارة بالحجز تارة أخرى وللجدال الصحافي مرات عديدة .

....

....

إلى أن حلت محلها جريدة الجزائر الفرنسية عام 1870 L'Algerie Francaise التي انطلقت تصدر يومياً ، سوف نتحدث عنها في حينها لأنها تعتبـر الوارثـة الشرعية لجريدة (بريد الجزائر) أو تعتبر هي نفسها لكنها ظهرت في ثوب جديد .

هذا بالنسبة للمميز الزمني .

ثانيـاً : المميـز المكانـي .

بالنسبة لمميزها المكاني ، فإن نشاطها الصحافي ، بناء على كونها ولدت في مدينة الجزائر ، فانه كان مقتصراً على نشاطات الأوروبيين القاطنين بالعاصمة ، وكذلك توزيعها كان مقتصراً على منطقة العاصمة وأنها لم تصل إلى المدن المجاورة لمدينـة الجزائر مثل شرشال ومليانة والبليدة والمدية . . . وإن كانت قد جعلت من نفسها المدافع عن المعمرين في كل مكان بالجزائر .

(*) يلاحظ أن عدد الأوروبيين في الجزائر بلغ عام 1860 حوالي 200.000 أوروبي تقريبا .

ويبدو أن أصحابها قد حاولوا توزيعها في الجزائر بأكملها وحتى في فرنسا خاصة عن طريق الاشتراكات(*) .

ثالثا : العوامل التي ساعدت على استمرارها .

من العوامل التي ساعدت على استمرارها أذكر أهمها وباختصار :

أ ـ من بين العوامل التي ساعدت على إنشائها وعلى استمرار صدورها سنوات عديدة ـ الطابع الجماعي ـ وذلك ، أن هذه الجريدة قد أنشئت بمشاركة المساهمين الذين جعلوا من أنفسهم جمعية عامة ضمت كل المشاركين في إنشائها . ثم عينت هذه الجمعية خمسة أشخاص من أعضائها في مجلس أسسته خصيصاً لمراقبة نشاط الصحيفة والسهر على استمرارها .

ب ـ العامل الثاني ، إن هذه الجريدة قد اتخذت منهجاً حيادياً في حياتها ، الأمر الذي جعلها تكتسب أصدقاء كثيرين من رجال السياسة والرأي ، يضاف إلى ذلك أسلوب التعقل الذي استعملته في طريقة نقد الادارة ، حيث حددت لنفسها طريقة خاصة ، في تناولها بالحديث للأمور العامة ، منها مثلاً :

- انها تلاحظ الأشياء من علو .
- انها تتحدث إلى الجمهور بهدوء متجرد من كل عاطفة

ج ـ العامل الثالث الذي أكسبها أنصاراً عديدين هو :

سياستها الاستيطانية ، إذ أنها تعهدت ووفت بعهدها في الحياة العملية ، بأنها ستطالب من السلطات الادارية جعل الاستيطان هدف كل اهتماماتها . . وتبسيط الاجراءات المفروضة على عالم أراضي (الدومين) الدولة .

رابعاً : العناصر التي كانت مصدر متاعب لها

نذكر منها ما يلي :

أ ـ عدم الاعتراف لها قانوناً من طرف الادارة ، بحق نشر الاعلانات الشرعية الشيء الذي سبب لها مضايقة مالية . ولو لم يكن أصحابها من الملاكين الأغنياء لتوقفت عن الصدور في الأشهر الأولى من حياتها .

(*) كان مكتبها يقع في الغرفة التجارية بنهج البحرية بمدينة الجزائر وكانت قيمة الاشتراك فيها بالنسبة للجزائر : 30 فرنكا عن سنة و15 فرنكا عن ستة أشهر و8 فرنكات عن ثلاثة أشهر . اما بالنسبة لفرنسا : 34 فرنكا عن سنة و 17 عن ستة أشهر و 9 عن ثلاثة أشهر .

ب ـ تصدت لها الادارة بانذارات عديدة بل وتعطيلها عن الصدور وأهم هذه العراقيل قرار التعطيل الصادر ضدها في شهر ابريل نيسان عام 1863 الذي قررت الادارة العامة بمقتضاه تعطيلها عن الصدور لمدة شهرين متتالين ، على أثر نشر مقال لأحد صحافييها .

. . . .

. . . .

ولقد ترتب عن هذا القرار عدة نتائج :

ـ النتيجة الأولى هي تعطيل الجريدة عن الصدور مدة شهر كامل وهو تعطيل فقدت معه الكثير حيث ألحق بها أضراراً مادية ومعنوية .

ـ النتيجة الثانية وهي أهم من الأولى ، هو انسحاب أهم العناصر المكونين لفريق تحريرها . ومنهم رئيس تحريرها ومديرها وكذلك سكرتير تحريرها .

وإذا قدر لهذه الجريدة أن عاشت سنوات طوال فالفضل يرجع لا محالة إلى مهارة رئيس تحريرها الذي غداها بطاقته الفكرية وفرضها بين صحف العاصمة .

ـ النتيجة الثالثة : تتمثل في تعيين مدير جديد لها(*) وجمع فريق جديد من الصحافيين لاستئناف صدورها .

خامساً : استقلالها عن كل من الادارة والمعارضة .

أ ـ «كيف تكون مستقلة ؟» :

رغم أنها أكدت استقلالها سواء بالنسبة للادارة أو بالنسبة للمعارضة ، فإن مديرها ورئيس تحريرها قد أبدى تخوفه علانية من القوانين المنظمة للصحافة في الجزائر يومذاك وما تخول هذه القوانين للادارة من سلطة واسعة في تطبيق العقوبات على الصحف والصحافيين لتوقف أي نقد موجه للادارة عند حده . ووفقاً لهذا التخوف وضع نقطة استفهام قائلاً : كيف تكون مستقلة ؟ . .

والحقيقة أن كلمة «الاستقلال» التي نعني بها استقلال الصحف عن الإدارة . . . . قد سال من أجلها حبر كثير ، وتفلسفت حول فكرتها أقلام

(*) صدر القرار بتعطيلها يوم 22 ابريل نيسان 1863 وبعد محاولات وتدخلات من طرف أصحابها لدى الادارة العامة ، وافقت على الترخيص لها مرة أخرى . راجع قرار اعادة الترخيص لها بالصدور في (بريد الجزائر Courier de L'Algerie الصادر يوم 20 مايو ايار 1863 ص 1 ع 1 . ويتضمن في ذات الوقت تعيين مدير جديد لها .

عديدة ، وكثر النقاش حولها طويلاً ، ولكنها بقيت لغزاً بدون حل . الأمر الذي جعل «شارل دوغيرل» يتساءل ، كيف يمكن لصحيفته أن تكون مستقلة مع القوانين المشددة التي تنظم الصحافة في الجزائر مثلاً بل أكثر مما تنظمها في فرنسا ؛ ويضاف إليها خصوصاً السلطات الواسعة الممنوحة للإدارة العامة في اتخاذ كل اجراء لايقاف كل انتقاد لا يعجبها .

ب ـ موقفها من الإدارة :

وبناء على ما سبق من تخوفات ، وبالرغم مما قيل من أفكار ونظريات حول مسألة «استقلال الصحف» فقد رد رئيس تحريرها معلقاً على هذه الأفكار قائلاً :

«إن إجابتنا على هذه الأفكار الخجولة هي أننا متفائلون أحسن منهم بعدالة الإدارة ، ومؤمنون بتصريحاتها المتكررة القائلة بأنه لاتمنع أية حرية أساسية في المستعمرة ، وأن الميدان سيبقى فسيحاً حتى للمعارضة عندما تدخل في إطار المحابات والتعقل .

ولنا حجة أخرى تؤكد بأننا سنبقى مستقلين . . . . وهي أننا سنبقى مخلصين في استقلالنا ، لأنه ليس لنا سوء نية .

إلا أننا لا نسكت عما نعتقد أنه فاسد أو بتأييدنا على ما نؤمن به صالحاً .

إننا نعلم أن الرجال الموجودين على رأس السلطة يحبون ويفضلون السكوت على أن تناقش أعمالهم . بيد أننا نؤمن بأن المدح ـ . يهينهم أحياناً وأما النقاش النزيه وان كان يقلقهم فإنه أهون من ذلك . . . وأن المدح ليس مفيداً حتى للإدارة نفسها (*) .»

وينتهي في موقفه هذا بتأكيد خضوع الرأي العام في الجزائر بما فيه أفكار الحكام والمحكومين على السواء ـ إلى التيارات المتضاربة المختلفة في فرنسا . وأن رياح الحرية القادمة من الضفة المقابلة للبحر الأبيض المتوسط ستوجه الرأي العام في الجزائر ، مما يجعل الإدارة تخضع لاحترام الحرية الصحافية ، واحترام التعبير النزيه .»

(*) راجع النص في (كوريي دو لاجيري) عدد1 بتاريخ 1 ديسمبر كانون الأول 1861 ص1. عمود1 .

ذلك هو موقف هذه الجريدة من الإدارة .

* تارة الثقة بما تصرح به الإدارة .

* وتارة الاعتماد على ما تفرضه رياح الحرية وتيارات الأفكار القادمة من فرنسا على الإدارة لاحترام الحريات العامة .

(2) الفريـــق الصحـــافي

لم يكن لهذه الجريدة عند نشأتها فريق أو مجموعة من المحررين بل اكتفى منشؤ وها بتعيين متصرف لها وكان يدعى «شار دوغيرل» سنتحدث عنه في فصل مستقل ويساعده سكرتير تحرير يدعى «جامي» Jamet ولكن ابتداء من 10 يناير كانون الثاني عام 1862 ، وبعد أربعين يوماً من تاريخ صدورها ، قررت جمعية المساهمين في إنشائها تعيين تسعة أشخاص من بين أعضائها ، أعضاء في هيئة تحريرها . وكان ذلك في نفس الوقت الذي عينت فيه خمسة من أعضائها ليكوّنوا مجلساً للرقابة والسهر على مصير الجريدة .

والجدير بالإشارة أن هؤلاء الأشخاص المعينين في هيئة التحرير لم يكونوا كلهم من الصحافيين . . . إلا أنهم أختيروا من الشخصيات المرموقة في الوسط الأوروبي بمدينة الجزائر وقتئذ ، ولكن لم يعلن عن أسمائهم(*) .

إلا أننا نلاحظ بأن الجمعية المذكورة قد عينت المسيو «شارل دوغيرل» Cherles de guerle ـ الذي كان متصرفاً ورئيس تحرير للجريدة على رأس هذا الفريق المكون من تسعة أشخاص ، ومع احتفاظه بمنصب المدير المُتصرف .

ثم أقرت الجمعية شخصاً آخر كان يقوم بمهام سكرتير التحرير في هذا المنصب وهو المسيو «جامي» Jamet ، الذي سبقت الإشارة إليه .

(*) راجع نفس المصدر عدد 10 يناير كانون الثاني 1862 .

ثم عرفنا بعض أفراد هذا الفريق الصحافي الذين كانوا يكتبون وذلك من خلال مقالاتهم على صفحاتها وهم :

Chares de guerle Redacteur en chef

Jamet secretaire de Redaction

Dradar Journaliste

Audrieux journaliste

ثـم تخصص أعضـاء هذا الفـريق بعضهـم Charles de guerle في السياسـة الأوروبية . وبعضهـم Jamet في المراسـلات البـاريسية وآخـرون Dradar و Audrieux في الشؤ ون المالية والاقتصادية وبعض آخـر في الـروايات المسلسلـة . وهلم جرا .

وعلى هذا التركيب انطلق هؤلاء يكتبون ويعلقون وينتقدون طيلة سنة ونصف تقريباً ـ أي من يناير 1862 إلى أبريل 1863 ـ وفي شهر أبريل نيسان عام 1863 وفي الوقت الذي كان مجلس الشيوخ الفرنسي مجتمعاً لمناقشة قضايا الجزائر (المستعمرة) ثار الجدال واشتد النقاش بين الصحف حول مداولات هذا المجلس وحول القضايا الجزائرية المدرجـة في جدولـه ومنهـا وأهمهـا قضية الهجـرة الأوروبية للجزائـر ، ومشكلة مد خطوط السكك الحديدية وتنصيب الأوروبين فوق الأراضي الجزائرية وقانـون المـلكية الخـاص بالأهـالي (السينتـوس كونسيلت) (*) . LE SENATUSCONSULT

ونظراً لمواقف هذا الفريق الصحافي من هذه القضـايا وخاصـة مقالاتهـا في هذا الشهر أدت إلى أن يتخذ الحاكم العام قراراً بتعطيلها لمدة شهرين متتاليين ابتداء من 22 أبريل نيسان عام 1863 .

وعلى أثر صدور هذا القرار انسحب من هذا الفريق أهم محرريها ومن بينهم رئيس

(*) من بين الوسائل التي استعملتها هذه الصحيفة وفريقها لاقناع مجلس الشيوخ الفرنسي بأن يولي المستعمرة اهتماما خاصا وعلى الخصوص الهجرة اليها بعثت الى نوابه بلوائح موقعة (يوم 9 مارس آذار 1863) من طرف الاوروبيين الموجودين بالعاصمة الجزائرية وكانت تقوم بجمع الامضاءات .

تحريرها ومديرها العام ومعه سكرتير التحرير . وعينت الجمعية شخصاً آخر ليحل محل رئيس التحرير والمدير المتصرف فكان هذا الشخص يدعى «أ. مولوA. molot» وضمت إليه بعض الصحافيين الآخرين فظهر فريقها الثاني وعلى رأسه «أ. مولو» الذي كان محرراً بجريدة الأخبار(1) وبذلك صار فريقها الجديد مركباً كالتالي :

A. Molot Directeur geraut

A. Pouvre Editorialiste

A. Revue de La Presse

G. Andrieux Etudes

A. Bertheiaud Diveis

وبتركيب هذا الفريق الجديد . وبعد شهر تقريباً من اصدار قرار التعطيل تقدمت الجمعية بطلب إلى الحاكم العام ليرخص لها استئناف صدور الجريدة فاستجاب الحاكم بالنيابة لطلبها وأصدر قراراً بالترخيص لها باستئناف الصدور(2) وتزكيته للفريق الجديد .

واستأنفت الصدور في نفس المستوى مع الأخبار ، مع منحها حق نشر الاعلانات .

---

(1) كان هذا الصحافي A. MoLot محررا بجريدة الأخبار وعندما توفي صاحبها الميسوBourget يوم10 فبراير شباط 1862 عين مديراً لها لمدة أشهر قبل أن يحصل اتفاق بين زوجة الفقيد ورئيس تحرير هذه الجريدةBlame خولت له الادارة الجريدة والاشراف على تحريرها .

(2) نص القرار :

الحاكم العام للجزائر .

بناء لقرارنا الصادر يوم22 ابريل نيسان الماضي والخاص بتعطيل جريدة (بريد الجزائر) عن الصدور لمدة شهرين .

ونظراً للطلب الذي تقدم به مسيو (مولو) المتصرف لمصلحة ملاك الجريدة ونظراً للمذكرة التوضيحية الموجهة إلينا من طرف صاحب المقال المشار إليه في القرار السابق .

ونظراً لتقرير مستشار الدولة المدير العام للشؤون المدنية .

يقرر ما يلي :

المادة الأولى : التعطيل المعلن ضد جريدة «بريد الجزائر» قد رفع ابتداء من هذا اليوم .

المادة الثانية : عامل الجزائر مكلف بتنفيذ هذا القرار

(3) مايو ايار1863 الامضاء المرشال بيليسيPelissier .

ثانياً : المنهج السياسي :

الآن وبعد أن أتيت على المميزات الخاصة بهذه الجريدة وقبل الحديث في الأبواب أو الأركان القارة التي اعتنت بها جريدة «بريد الجزائر» أرى من الأحسن أن أتحدث أولاً عن المنهج السياسي الذي سطرته لنفسها .

والمنهج السياسي لأية جريدة كانت ، يعرف بواسطة مصدرين لا ثالث لهما .

* المصدر الأول هو بطبيعة الحال الافتتاحية المنهجية التي تصدر بها عادة الصحيفة يوم صدورها وتوزيعها على القراء . ففي هذه الافتتاحية يتحدثمنشؤوا الصحيفة عن السياسة التي ستتبعها في حياتها المقبلة وعن رسالتها وأهدافها .

وقد تحافظ الجريدة على ما جاء في افتتاحيتها المصدرة وقد تغير البعض ، وقد يكون التغيير رأساً على عقب بعد حين .

* المصدر الثاني هو ما كتبته وما تكتبه الجريدة بعد انطلاقها في ممارسة الحياة العملية واجتيازها مراحل عديدة تصادمت فيها بمصاعب ومتاعب من كل نوع .

وبناء على هذه الاعتبارات فإن المصدر الثاني يعتبر المعيار الحقيقي لمعرفة المنهج السياسي الذي سلكته الجريدة . وأنه لا يحكم في اعتقادي على الجريدة أو أصحابها من خلال اعلان التصدير الأول لأنه قد يكون ذراً للرماد في العيون حتى تنطلق . . . . . ولكن يحكم عليهم من خلال مواقفهم اليومية وما يكتبون على مر الأيام والشهور .

- ونظراً لما في المصدر الأول من اعلان عن منهج سيتخذ في المستقبل
- ونظراً لما في المصدر الثاني من تأكيد أو تكذيب لذلك الاعلان .

فإنني أعتمد في دراستي للمنهج السياسي لهذه الجريدة على المصدرين معاً والمقارنة إذا أمكن بين الاعلان وما كتب فيما بعد ذلك .

التصـــدير الأول

«إن مهمة الوصول إلى جمع عدد كبير من الرجال من أجل عمل مشترك واقناع من كانت مشاركته ضرورية والذي تحتم عليه مصلحته الخاصة توحيد طاقته بإرادته إلى طاقة الآخرين ـ هـذه المهمـة الاجتماعية ليس هنـاك من يستـطيع القيام بهـا سوى صحيفة . فهي وحدها التي تستطيع أن تقدم أفكاراً مختلفة ، وفي وقت واحـد تكون المستشار الذي يتحدث يومياً وباختصار عن المصالح المشتركة ، دون أن تقلق أحد في مصالحه الخاصة .»

هكذا أراد مديرها أن يقدمها للناس بأنها الوحيدة التي تستطيع جمع الرجال حول هدف مشترك حتى ولو كانت أفكـارهم مختلفة ومتضاربة المهم أن تكون أهدافهم مشتركة ومطالبهم واحدة .

فهو يحدد رسالتها في بادىء الأمر على جمع طاقات الرجال حول عمل موحد وخدمة مصالح مشتركة فيما بعد . وهذه المصالح يحددها كما يلي :

«إن مصالحنا المشتركة في الجزائر نعرفها جميعاً وهي :

- تقدم مستعمرتنا الكبرى .
- القضاء على العراقيل التي تقف في طريق تطورها .
- ضمان العدالة للمعمرين في كل مكان . . . وتشجيع القادمين من أوروبا .
- تنظيم بلدياتنا حتى حدود المناطق العسكرية . . . وهي التي تمكن هؤلاء الرجال من التجمع لاختيار أماكن أسواقهم وكنائسهم(*) .
- القضاء على الأسعار التي تعطل التصدير وتجارتنا .
- تجمع الأهالي الذين أصبحت ملكيتهم فردية وأصبحوا أحراراً في بيع أراضيهم لمن أرادوا .
- احلال الضرائب العقارية محل الزكاة والعشور .
- تكميل خطوطنا الحديدية التي ما أن تبتدئ حتى تتوقف . . .» .

(*) من الملاحظ أن معظم الصحف الفرنسية التي صدرت في الجزائر حتى هذا التاريخ اذ لم تكن كلها جعلت من مبدأ الهجرة والمعمرين هدفا رئيسيا من أهدافها ومطلبا أساسيا من مطالبها .

هكذا عدد المدير مصالح الأوروبين المشتركة الذي نادى بتجمع الرجال حولها وهي مصالح ، كما عبر عنها ، يعرفها الجميع . ولكن لا يستطيع الدفاع عنها إلا جريدة تتجمع حولها طاقات العديد من الرجال . وبالتالي فإنها تعتمد على طاقات هؤلاء الرجال وهم يرتكزون عليها في الدفاع عن هذه المصالح المعروفة لدى الجميع ـ وتحقيقها .

ثم يؤكد لقرائه بأن جريدة بريد الجزائرية Courrier de L'Agerie قد جاءت من أجل هذا كله ولتناصر هذه الأفكار والآمال والأمنيات بكل حرية التعبير . ولكن هذه الأفكار والأمنيات لكي يطلب تحقيقها بالحاح فعلى الرجال الشرفاء من كل مهنة ، فلاحيّة كانت ، أم تجارية أم صناعية ، أم مهن حرة ، أن يتجمعوا ويوحدوا طاقاتهم ليقدموا إلى السكان الجزائريين جريدة مخلصة في الدفاع عن حقوقهم ومصالحهم .

ويلاحظ مما سبق أن أصحاب هذه الجريدة كانوا يهدفون إلى تكوين تجمع سياسي أو جمعية من أصحاب الرأي وهذا يتجلى من الحاح مديرها في افتتاحية التصدير على ضرورة تجمع الطاقات البشرية لتحقيق المصالح المشتركة السابقة الذكر .

وفعلاً فإن المصالح ـ التي سبق ذكرها والتي بلغ عددها ثمانية ـ تصلح لأن تكون قاعدة برنامج لحزب سياسي أو جمعية . . . لأنها تفوق امكانيات جريدة ما لا يتجاوز تأثيرها حدود منطقة العاصمة بكثير .

ثم إن صاحبها لايخفي فكرة انشاء تجمع يخضع لمبادىء «وأفكار إيجابية» تجمع له تيار ورأي مشترك فهو يؤكد ذلك بصريح العبارة .

«إن ما يهدف إليه بريد الجزائر هو تمثيل تيار كبيرمن الأفكار دون رأي مشترك ناتج عن تفكير وتجربة ونقاش عام . يكون مجموعة من المبادىء الايجابية القوية ، تؤثر في مختلف مراحل التطور . وليس أفكار رجل واحد لما فيها من ضعف وتقصير ، الذي لا يخلو منه أي عقل ، مهما كان ، إذا بقي منعزلاً» .

وهنا أيضاً يظهر لنا عنصراً آخر تميزت به هذه الجريدة وهو أنها لم تكن تستهدف القيام برسالة صحافية عادية بل أنها كانت تستهدف من جمع الأفكار وطاقات الرجال والحصول على مبدأ السلطة والنفوذ مع الاحتفاظ بمبدأ الاستقلال .

الــرأي

في هذا الباب نتحدث عن الأبواب أو الأركان القارة التي اعتنت بها هذه الجريدة التي نحن بصدد دراستها . ونبدأ الحديث عن أساليب تحريرها .

أولاً - بريـد الجـزائر جـريدة رأي :

إذا أردت تصنيف جريدة بريد الجزائر بين صحف الرأي والصحف الأخبارية أو الصحف المتخصصة ، فإنني ارتبها بدون تردد بين صحف الرأي ، أي الصحف السياسية .

إنها صحيفـة رأي ، والـدليل بسيط في ذلك . فإذا رجعنـا إلى نشأتهـا نجـد أن منشئيها ارادوا من تأسيسها جمع طاقات الرجال وأفكارهم المختلفة المبعثرة حول هدف واحد وخدمة مصالح مشتركة .

كذلك إذا رجعنا إلى مواقفها في حياتها العملية فإننا نجدها صحيفة رأي سياسية . ولكي نعرف بشيء ملموس لا بد من ذكر بعض النماذج .

الحـديث إلى الجـمهور

في مطلع سنة1862 ، وبعد أن اكتمل تأسيس جمعية الأعضاء المساهمين في انشاء الجريدة أراد رئيس تحريرها أن يشرح مرة أخرى وبالتفصيل برنامجها وأنه بالاطلاع على هذا البرنامج يتضح جلياً أن هذه الجريدة كانت جريدة رأي بدون منازع .

ونظراً لأهميته أوجزه في النقاط التالية :

· لكي تقوم الجريدة برسالتها يجب أن تكون كل أفكارها متجهة إلى المصالح العامة للبلد ، واستعمال حق البحث عن الشيء الصالح الذي يجب عمله ، وامكانيات تصحيح الفساد الذي يمكن أن يقع ، ثم الابتعاد عن تشخيص الأمور .

· إن واجبها أن تلاحظ الأشياء من علو . والحديث إلى الجمهور بهدوء متجرد من كل عاطفة الغيرة أو المصلحة الخاصة . . .

وهذه المهمة لن تكون صعبة علينا لأن «بريد الجزائر» Gourrier de l'Algerie لم تكن أقل من جريدة معارضة أو جريدة رسمية . . .

* إن هدفنا الوحيد هو مطالبة التحسين الذي نعتقده ضرورياً للبلاد والاشارة إلى الأخطاء التي يمكن أن تقع . وهذا واجب نأمل ,الا نحيد عنه .

* وسنتناقش بنزاهة مع زملائنا في القضايا التي تمس الصالح العام ولا نعير اهتماماً للخصومات الشخصية ، أو خصومات المنافسة التي لا تهم القراء في شيء

وإن خصومنا في الجدال لن يكونوا بالنسبة لنا كأعداء بل أننا نعتبرهم كالمتعاونين في عمل واحد ، اخذوا عن طيب قلب طريق مخطىء للوصول إلى نفس الهدف .

هكذا نعتقد ونعمل في الميدان الصحافي . »

وإذا كانت « كوري دو لاجيري » جريدة رأي سياسية فليس معنى هذا أنها ليست جريدة اخبارية بل أنها كانت تستعمل الأخبار وتنقلها عن غيرها من الصحف سواء الصادرة في الجزائر أو الصادرة في فرنسا وأوربا (1) الا أنها امتازت بمقالاتها السياسية عن مقالاتها الاخبارية . وبذلك فهي جريدة رأي .

وفيما يلي أقدم بعض النماذج لمقالاتها السياسية ومواقفها السياسية العديدة .

- المــقالة الســياسية :

من المواقف السياسية العديدة التي اتخذتها هذه الجريدة ، موقفها من فرض الضرائب على الملاك المعمرين أي ملاك الأراضي . وكان موقفاً أدى بها إلى الجدال الصحافي والأخذ والرد مع عميدة الجرائد وقتئذ «الأخبار» .

وبسبب موقفها السياسي هذا هو أن «الأخبار» نشرت مقالين طويلين لأحد صحافييها تعرض فيهما إلى وجوب فرض الضرائب على الملاك الاروبيين في الأراضي المدنية (2) بالجزائر .

(1) كانت تنقل الأخبار المحلية على الجرائد التالية L'INDEPENDANT القسنطينية Zeramena السكيكدية LA SEYBOUSE العنابية L'ECHO D'ORAN الوهرانية وكانت تنقل الأخبار الاوروبية عن الصحف الفرنسية التالية LE SIECLE و JOURNAL DE DEBATS أما الصحف الاوروبية فكانت تنقل بالخصوص عن L'INDEPENDANT BELGE وهي جريدة بلجيكية شهيرة . . . . الخ .

(2) من المعروف ان الجزائر كانت مقسمة الى مناطق مدنية وأخرى عسكرية

ولقد أحدثا هذان المقالان قلقاً كبيراً في أوساط المعمرين يومذاك الأمر الذي جعل جريدة «كوري دولا جيري» تدخل في جدال صحافي كما قلت مع جريدة الأخبار بعد تردد وتحفظ لأنها كانت تعتبر الحديث عن هذا الموضوع ومناقشته لم تكن ظروفه مناسبة .

وتساءلت كيف يناقش هذا الموضوع الآن بعد أن مرت المستعمرة بثلاث سنوات من اليبس والجفاف ؟ أدت إلى مضايقة المعمرين مضايقة شديدة ، ذكرتنا بما عرف من جفاف وقحط في عامي 1847 - 1848 . والملاحظ أن القحط والجفاف بالنسبة للجريدة لم يعرفه إلا المعمرون أما الجزائريون فلم تشر إليهم حتى الاشارة وكأنهم كانوا في مأمن من القحط والجفاف .

وبعد أن اعترفت بأن الأمور تسير من حسن إلى أحسن ستؤدي إلى تطور حقيقي للمستعمرة . . تساءلت مرة أخرى قائلة :

لكن هل هذا يكفي إلى بذر القلق ونشر الخوف بين سكاننا بالحديث عن كلمة الضرائب الممقوتة ؟

وهي تقصد بهذا التساءل المقالين المذكورين لجريدة «الأخبار» وجريدة «الأخبار» التي طالبت بفرض الضرائب على الملاكين الأروبيين قد قدمت المبررات والعوامل التي تحتم ذلك (1) . فقالت :

إن احتياجات البلد ، وضرورة تنفيذ الأشغال العامة الكبرى ، وايجاد القروض وضمان دفع أرباحها ، وخلق مصادر للبلديات ، كل ذلك يتطلب إنشاء الضرائب على العقارات . .

هذه النغمة لم تعجب «بريد الجزائر» (كوري دولاجيري) فوضعت نفسها في محل المدافع على مصالح المعمرين وتعهدت بأن ترد على مبررات الأخبار لا بالكلمات النظرية ولكن بالأرقام في اليد . وقبل أن تقدم لقرائها الأرقام المذكورة حاولت مناقشة آراء الأخبار النظرية حسب زعمها وقد اعتمدت في ردها لتنفيذ مبررات الأخبار على العناصر التالية (2) .

---

(1) راجع الأخبار والاعداد الصادرة بين (?2620) يناير كانون الثاني 1860.

(2) راجع بريد الجرائد عدد 26 ليوم 28 يناير 1862 ص 2 عمود 4 وما بعده وراجع نفس المصدر عدد 27 ليوم 13 من نفس الشهر ص 2 عمود 3 وما بعده .

أولاً : إن اللجنة المعينة من طرف الحاكم العام لدراسة قضية فرض الضرائب على العقارات يبدو أنها قدمت مقترحاً ينصح بإنشاء هذه الضرائب ابتداء من عام1870 مع استثناء بعض المزارع الريفية وأن جريدة (كوري دولاجيري) تفضل هذا الاقتراح على اقتراح جريدة «الأخبار» لأن اقتراح اللجنة يعطي متسعاً من الوقت (8 سنوات) لمناقشة مشروع هذه القضية الخطيرة .

والملاحظ أن هذه اللجنة المعينة من طرف الحاكم العام لم تهتم ولم تكلف بالنظر أو اعادة النظر في الضرائب المفروضة على الجزائريين بالرغم من ثقلها وشدة وطاتها على الفلاحين الجزائريين الذين لم تستثنيهم سنوات الجفاف التي احتجت بها (كوري دولاجري) كمبرر لمنع فرض الضرائب على المعمرين .

ثانياً : أما العنصر الثاني الذي حاولت أن تجعل منه أحد مبرراتها لمنع فرض الضرائب ، قولها بأنه لا يمكن ذلك إلا بعد اعادة النظر في نظام الأراضي وهو عمل يطول وقد يستغرق سنتين أو ثلاثة .

ثالثاً : أنه ما دامت الدولة هي التي تقدم ميزانية الجزائر فلا داعي إلى انشاء ضرائب عقارية . وحتى لو كانت لنا مجالس بلدية أو مجالس عامة منتخبة تشرف على تسيير الأمور مع السلطة الادارية واعداد الميزانية العامة والعمالية والبلدية ـ لايمكن لنا أن نوافق على الضرائب العقارية ولكن العكس هو المعمول به .

وفي هذا السير أيضاً نراها تشترط فصل ميزانية الجزائر عن ميزانية الوطن الأم للقبول بالضرائب العقارية وهي نزعة انفصالية بدأت طلائعها تظهر عند الأوربيين بالجزائر في هذا الوقت المبكر والتي لم يعلن عنها أصحابها بصورة علنية إلا ابتداءً من السبعينيات .

رابعاً ـ وهي لا توافق «الأخبار» في مواقفها لأنها حسب زعم (كوري دولاجيري) ليست من السياسة في شيء ثم استطردت قائلة . متسائلة ففي الوقت الذي تسعى فيه بريطانيا والبرتغال الى كسب الهجرة لاستيطانها في الهند وفي جنوب افريقيا مع اعفائها من دفع الضرائب بل وبيعها الأراضي بأثمان زاهدة واعطائها منافع عديدة . هل من الحذر اقتراح انشاء الضرائب في الجزائر ثم أعقبت مقترحة إن الاعفاء من

دفع الضرائب لمدة طويلة هو وحده يمكن من جلب الأموال والأيدي الأوروبية للجزائر» واستشهدت في قولها بالولايات المتحدة الأمريكية التي كانت لا تأخذ الضرائب الا على البيع العقاري .

ولم يكتف صاحب المقال في رد تفنيد مبررات الاخبار «في اقتراحها فرض الضرائب على الملاك الأوروبيين - بمبرراته الأربعة السابقة بل تقدم باقتراح يعوض به أخذ الضرائب العقارية من المعمرين . وهو أخذ مثل هذه الضرائب من العرب بدلاً من أن نأخذ العشور والزكاة وذلك شيئاً فشيئاً خلال تجمعهم ، وهي طريقة ليس هناك ما هو أحسن منها وليس هناك ما هو أكثر منها شرعاً وأكثر منها عدلاً . »

وعلى هذا الأساس فهو يرى من المستحسن ومن العدل والشرعية أن تلقى كامل الأثقال على كاهل العرب . وأن يعفى الأوروبيون من كل التزام بل تقدم لهم جميع الفوائد والامتيازات .

وعلى هذا الأساس أيضاً فهو لا يتفق ، مع جريدة الأخبار التي لاحظت في المقالين المذكورين .

إن العرب سينسون كل حقد في حالة ما إذا فرضت الضرائب على الأوروبيين لحساب الأهالي فإن هذا مما لا شك فيه ستنشرح له صدورهم . ولكنهم لم يعترفوا بالجميل ولن يحبوننا أكثر» .

إن وحدة الضرائب لا تعمل شيئاً للادماج .

إن هناك أهالي أعضاء في المجلس العام قد تقدموا ببعض المطالب في هذا الموضوع لكن قدمت لهم الحجج على أن الأهالي يدفعون ضرائب أقل من ضرائب الأوروبيين - ضرائب مباشرة أو غير مباشرة .

و(جريدة الأخبار) تزعم بعدم طلب انشاء ضرائب جديدة ، فهذا يمكن أن يصدق على الأهالي باحلال الضرائب العقارية محل الزكاة والعشور . ولكن ما هي الضرائب التي تثقل كاهل الأوروبيين حالياً والتي يجب حذفها مقابل احلال الضرائب التي اقترحتها ويلاحظ القارىء من هذا النص بكل سهولة أن عصبية هذا الصحافي قد

ورطته في تناقض مفضوح بين ما قاله في الفقرة الأولى من النص المذكور . ومما يعترف به في الفقرة الثانية .

في الفقرة الأولى وبقطع النظر عن موقفه الحقود ضد العرب يحاول بأن يؤكد بأنه أثبت للمستشارين الجزائريين الأعضاء في المجلس العام الذين طلبوا بتخفيض الضرائب على بني جلدتهم ومساواتهم مع الأوروبيين - بل هؤلاء يدفعون أكثر من الأهالي للخزينة .

وفي الفقرة الثانية يحاول الرد على الأخبار فيتورط ويعترف دون أن يشعر بان اقتراح «الأخبار» يمكن أن يطبق على الجزائريين باحلال الضرائب العقارية محل الزكاة والعشور (الذي يدفعه الجزائريون طبقاًلشعائرهم الروحية) وليس ممكناً تطبيقه على الأوروبيين الذين ليس عليهم ضرائب يستبدلونها بضرائب عقارية ثم قال مستغرباً .

ما هي الضرائب التي تثقل كاهل الأوروبيين والتي يجب حذفها وتعويضها بما اقترحت الأخبار» .

وتجنباً لاي لبس يجدر بنا أن نبدي الملاحظة التالية

بالنسبة للضرائب التي أشار إليها قائلاً بأن الأوروبيين يدفعون أكثر من الأهالي وهي . (ضرائب مباشرة أو غير مباشرة) فهذه الضرائب غير عقارية ، ولسنا في حاجة للتأكيد بأنه في هذا التاريخ (1862) قد بلغ عدد الأوروبيين في الجزائر حوالي 200000 استولوا على كل شيء في البلاد من ادارة وصناعة وتجارة وتعليم الأمر الذي أدى إلى طرد الجزائريين من هذه الفروع من الحياة العامة . . . فكانت بنتيجة ذلك الضرائب التي تدفع عن هذه القطاعات خارجة عن نطاق الأهالي .

أما بالنسبة لملاكي العقارات الريفية فلم يكونوا يدفعون شيئاً ومع ذلك فقد طلبت باعفائهم من الضرائب طوال النصف الثاني من القرن الماضي .

هكذا كانت مقالاتها السياسية ونظرتها تجاه العرب .

ثالثاً : موقف «الأخبار» منها :

في عام 1861 وقد بدأ النقاش حول انشاء بلديات للمعمرين في المراكز التي تجمعوا فيها حتى ولو كان عددهم قليلاً في بعض هذه المراكز . تناولت الصحف هذه المسألة

بالنقاش فمن هذه الصحف من كانت مؤ يدة ، ومنها من كانت معارضة . وكانت (كوري دولاجيري) «جريدة الجزائر» من المعارضة وكانت الأخبار من الصحف المؤ يدة ، إلا إذا تجاوز عدد السكان الألف.

لذلك شنت عليها بريد الجزائر هجوماً عندما لم توافقها في وجهة نظرها حول إنشاء مثل هذه البلديات الصغيرة .

وردت الأخبار على هذا الهجوم بتعليق لرئيس تحريرها(*) المسيو Blawe جاء فيه قوله :

نحن جناة بسبب جريمة كبرى . لقد كان خطؤ ناالذي لا يغفر هو اننا لم نكن على وجهة نظر واحدة مع بريد الجزائر ، وفي خصوص طريقة انشاء البلديات في الجزائر .

لقد كتبت هذه الجريدة في لائحتها لمجلس الشيوخ بأن البلدية لا تكون شرعية الا في اليوم الذي يبلغ فيه عدد سكانها الف نفس . ونحن نرى في هذا الاجراء ظلم حقيقي . بمعنى انه يهدف الرفض حتى للمراكز الهامة بمطالبة حقوقها ، في الكيان البلدي . ثم وضع سكان البادية في الدرجة الثانية بالنسبة لسكان المدن وهذا جارح لكرامتهم وماس بمصالحهم» .

ثم اختتم مقاله باقتطاف بعض الفقرات من اقوال جريدة «بريد الجزائر» وان دل هذا الرد على شيء فانما يدل على ان جريدة «بريد الجزائر» كانت تزاحم «الاخبار» في هذه الفترة من تاريخ الصحافة في الجزائر . وكانت تنافسها في توجيه الرأي العام ، والاخبار والعمل الصحافي .

رابعاً : الخـــبر :

اهتمت بالاخبار اهتماماً نسبياً اذا ما قورنت بالنسبة للمواد الاخرى مثل : الرأي والمقالة السياسية ؛ والاعلانات ، والمراسلات ، . .

---

*) راجع جريدة «الأخبار عدد 3401 الصادر في 16 مارس آذار 1862 ص 1 عمود 4 .

وانظر «الأخبار» العدد الصادر يوم الخميس 13 مارس آذار 1862 .

فاذا ضفنا المراسلات فانها تعتبر اخبارية واذا استثنينا الاعلانات التي لها طابع اجتماعي محض . فاننا نستطيع ان نحكم بأن اهتمامها بالاخبار كان يأتي في الدرجة الثانية . وبالنتيجة لذلك يدخل تحت هذا الركن : 1 مراسلاتها الجزائرية . 2 مراسلاتها الباريسية . 3 ما تنقله من اخبار عن الصحف الصادرة بالجزائر او في اوربا . 4 الاخبار المتنوعة .

ولنذكر بعض الأمثلة عن اهتماماتها بالاخبار .

اولاً : بالنسبة للجزائر :

في عام 1862 وعندما وضعت ميزانية الجزائر رفعت السلطات الفرنسية نسبة البند المخصص للهجرة الاوربية في هذه الميزانية . فهللت هذه الجريدة عند انتشار الخبر من باريس ونشرته في الاولى بخط بارز (*) ثم علقت عليه مادحةً لحكام الجزائر الذين توصلوا الى اقناع «حكام الوطن الأم» بأهمية الهجرة الاوربية الى الجزائر الامر الذي جعلهم يخضعون مبالغ اضافية للبند الخاص بالهجرة في ميزانية الجزائر .

خبر وتعليق

* اهتمت كوري دولالجيري بالمعرض الدولي بلندن سنة 1862 . خاصة لمشاركة الجزائر فيه وكان المارشال Randon ، في هذه الحقبة من تاريخ الاحتلال الفرنسي لبلادنا ، حاكماً عاماً للجزائر . وكانت الادارة قد طلبت من المنتجين الفلاحين والصناع المشاركة في هذا المعرض بعرض عينات من منتجاتهم . ولما لم تتحصل الادارة على مشاركة عدد كبير من الفلاحين وغيرهم ادلى المارشال راندون Randon بتصريح حث فيه المنتجين على المشاركة بقوله «ان فرنسا تعتمد على الجزائر في مناصرة الكفاح الى جانب المستعمرات الاجنبية والجزائر مدينة الى الوطن الأم ومدينة لنفسها بالاجابة الى هذه المظاهرة بكل شرف . . . »

نشرت هذا الخبر ـ خبر عدم المشاركة الكافية في المعرض ـ في الصفحة الاولى ، ثم

*) من الملاحظ ان الصحف التي كانت تصدر في الجزائر حتى عام 1870 لم تكن تستعمل «المنشطات» الكبار ولعلها لم تصل الى اختراع هذا الأسلوب بعد ، ولم تكن تستعمل العناوين لمقالاتها باستثناء بعض المقالات . . . لقد كانت تكتفي بعنوان الركن ثم تصب المادة بدون عنوان فرعي حتى ولو كان المقال يغطي صفحة بأكملها .

علق سكرتير تحريرها شاكراً الادارة على مبادراتها هذه لاظهار الجزائر وتعريفها في المحافل الدولية وبالتالي اظهار ما صنعت فرنسا في هذا البلد فقال :

«علينا الا نترك النور تحت (الاقذار) وان نعرف استغلال الفرص التي تعترضنا لنعرف للجميع هذا الشيء الغريب ؟ اذ يبدو ان الكثيرين يجهلون ان هناك على مسافة يومين من أوربا ، ينتشر بلد غني من الغابات والاراضي الخصبة تلك الاراضي التي تحتضن في بطنها خيرات من المعادن النفيسة والرخام الرفيع وألف مادة للتعمير والتصنيع التي تستقاها وتستوردها فرنسا من الخارج .

علينا ان نقدم لكل واحد حصته متطوعة في اشهار امكانيات البلد ، فالجزائر ستتقدم يوم ان تكون معروفة . (*)»

يمكن لنا ان نضيف الى ركن الخبر المتنوعات التي تنشرها الجريدة وهي عبارة عن طائفة من الاخبار الاجتماعية مثل السرقات ـ الاعتداءات ـ والاغتصابات والقتل ـ والحرائق ـ والأوبئة ـ واسفار المراكب ـ وتقلبات اسعار المواد ـ ومواسم الحرث والحصاد ـ والمحاكم . . وهلم جرا . وفوق هذا كله واهم من هذا كله انها كانت تنشر اخبار اعتداءات الجيوش الفرنسية على اراضي «كشن شين» بآسيا نقلاً عن الاخبار الواردة من مدينة سنغافورة .

ثانياً : بالنسبة للمراسلات الأوربية :

كان لها ـ الجريدة ـ ركن خاص بالمراسلات الاوربية يشرف عليه سكرتير تحريرها وكان هذا الركن قاراً ويحتل بالنسبة للمواد الاخرى المرتبة الثانية . وكانت تنشر تحت العنوان التالي مراسلات خاصة من باريس Correspondance Particuliere كان مراسلوها من باريس يهتمون بما يدور في البرلمان الفرنسي وبتنقلات الساسة وتصريحاتهم وكذلك مفاوضاتهم .

(*) راجع عدد ٩ (كوري دولاجيري) ص ١ ع ٤ ليوم 1862,12,20 .

قرار 25 يوليو 1860
سجلته بكل سرور

ودائماً في نطاق الخبر :

في 25 يوليو 1860 صدر قرار نص في مادته 23 على اعطاء سلطات واسعة لعمال العملات[1] ورؤساء المناطق العسكرية تمكنهم من اتخاذ قرارات تتنازل الادارة بمقتضاها عن الاراضي التي وضعت تحت اشراف «الدومين» الدولة ، بعد ان حجزت من ايدي اصحابها الشرعيين - وتملكها الى المعمرين القادمين الى الجزائر . . ولكن هذا القرار وخاصة مادته 23 لم يحصل العمل به طيلة سنتين . ويمكن ان يكون سبب هذا التعطيل زيارة نابليون الى الجزائر .

ولكن في شهر فبراير 1862 اعلنت الادارة عن الشروع في تنفيذه والعمل بمقتضى المادة 23 التي تنص على اعطاء الصلاحيات الواسعة لعمال العملات .

ولما كان هذا القرار يتماشى مع سياستها التي تطالب بوضع جميع التسهيلات تحت ايدي المعمرين الحاضرين او القادمين فانها نقلت خبر تنفيذه بكل غبطة وسرور معلنة ، بأنها تسجل هذا الخبر بكل سرور مع شرح التعطيلات التي تنتج عن انتظار اصدار مثل هذه القرارات من طرف الحاكم العام . هذا الانتظار الذي يأخذ وقتاً طويلاً بحيث تترتب عليه آثار وخيمة سواء بالنسبة للمعمرين او بالنسبة للتطور العام للمستعمرة ولقد اثبتت التجربة . »(2)

ثم تابعت تعليقها على هذا الخبر قائلة :

ان اعطاء المبادرة للسلطات المحلية ستمكن من ربح الوقت والتقليل من الاجراءات الادارية كما تمكن من تنصيب «الكولون» فوق الاراضي بسرعة . وان اموالهم التي كانت تصرف في الانتظار ستصبح تنتج مباشرة . »

(1) عمال العمالات هو إصطلاح قديم معناه : محافظو المحافظات

(2) نفس المصدر عدد 26 - ليوم 1862/2/4 .

الاعــلانات أو «الحـياة الاجـتماعية»

أولاً : الحـياة الاجتماعية

هذا الركن كان قاراً في صفحاتها وكانـت تخصص له صفحـة ونصف صفحـة (الصفحة الاخيرة بأكملها ونصف الصفحة الثالثة) .

كانت تملأ هذا المكان الشاسع باعلانات مختلفة متنوعـة ممثلـة للحياة الاجتماعية الاوربية يوم ذاك . اقول تمثل الحياة الاجتماعية للجالية الاوربية ذلك لان الشعب الجزائري ولا حتى سكان العاصمة الذين يحتكون بالصحافة يومياً لم يكن لهم حظ في احتلال مكان بهذه الجريدة .

في هاتين الصفحتين تطالعك اعلانات من كل نوع في اخراج متنوع وبحـروف مختلفة بعضها كبير وبعضهـا صغير الحجـم . تجـد اعلانـات لمحـلات الملابس ـ ودكاكين القبعات النسائية ـ بيع المنازل والعمارات ـ اعلان عن كتب جديدة صدرت عن الجزائر ـ اعلان عن بضاعة بالميناء مستوردة ـ اعلان عن عقد زواج ـ اعلان عن حكم بالطلاق ـ اعلانات مكاتب الموثقين بالجزائر العاصمة ـ وبمدن الولاية اعلانات عن الخمور العتيقة . . الخ .

كانت تنتشر هذه الاعلانات الخاصة في الوقت الـذي لم يرخص لها من طرف حكومة الولاية العامة . بنشر الاعلانات الشرعية .

ثانياً : الجـانب الادبي

اذا بحثنا في الجانب الادبي والفني لهذه الجريدة فإننا نجده لا يتعـدى «الـرواية المسلسلة» التي تنشر مع كل عدد تقريباً في اسفل الصفحة الاولى مع بقية في اسفل الصفحة الثانية .

وبالاضافة الى هذا الركن القار ، تنشر من حين لآخر أخبار مسرحية لبعض الفرق أو الاعلان عن تقديم عروض في دار المسرح . كما تعلق عن الكتب التي تصدر من حين لآخر في الجزائر او في فرنسا .

ـ بالنسبة لركن الرواية المسلسلة كانت تنشر فيه روايات قصيرة مختلفة بتسلسل لا تتجاوز حلقاتها خمس او ست حلقات . مع اقتطاف بعض القصص من كتاب البؤساء للكاتب الفرنسي الشهير فيكتور هيغو Victor Hugo

ولقد كان هذا الركن مقسماً داخلياً ، فكان ينشر فيه مرة في الشهر تلخيص عن النشاط الفلاحي . بعنوان «مجلة فلاحية» . وتنشر تلخيصاً آخر نصف شهري تستعرض وتعلق فيه على اهم الاحداث الداخلية بما فيها قضاء المحاكم وكان هذا التلخيص بعنوان «مجلة نصف شهر» . وتنشر كذلك في هذا الركن انطباعات بعض المتنزهين في ضواحي العاصمة وذلك بعنوان «ركن من العاصمة» اما بالنسبة للشعر فلم تطالعني الا قصيدة واحدة نشرت بمناسبة انتهاء السنة(1862) ومطلع سنة 1863 وكانت في مكان غير مكان الروايات المسلسلة .

المؤلـــفات

أما المؤلفات فكانت تهتم بها . فتنتقدها وتعلق عليها .

مثلاً : كتب أحد الضباط الفرنسيين كتاباً درس فيه الوسائل التي كانت تستخدمها القوافل المتوجهة الى الديار المقدسة وحج بيت الله الحرام سنوياً منطلقة من البلاد الاسلامية الافريقية .

ومن خلال دراسته لهذه القوافل(*) وجدها انها وسيلة ناجعة لتوسيع التجارة في هذه البقاع لانها كانت تستعمل على نطاق واسع .

وعلقت (كوري دولاجيري) بقولها «ان الهدف من وضع هذا الكتاب هو تعريف كيف نستطيع استغلال القوافل السودانية المتجهة الى مكة في فائدة التجارة والسياسة الفرنسية» .

ثم استشهدت بالفقرة التالية من الكتاب .

ففي كل سنة ينطلق من كل البلاد الاسلامية عدد كبير من المسلمين للحج الى المدن المقدسة والاحتفال بالعيد الكبير .

*) كان هذا الضابط يدعى HENRI DU CAPITAINE وكان عضوا في الاكاديمية الوطنية الفلاحية وعضوا في جبهة الاحصائيات العالمية .

هؤلاء الحجاج يتجمعون في قوافل من نقطة الانطلاق حتى نقطة الوصول وفي خلال الطريق يلتحق بهم عدد آخر .

ففي عام 1860 انطلق من دمشق 10000 حاج في بداية الطريق وعند وصول القافلة الى مكة بلغ عددهم 25000 رجل .

يجب ان نعمل مثل هذا في الجزائر ، واحيائه وتشجيعه واستغلاله لفائدة تجارتنا ونفوذنا .

يجب اعادة ايجاد هذه الطرق الى المشرق بواسطة القوافل .. هذه الطرق المؤدية الى مناطق الذهب والعاج والتي فتحها من قبل القرطاجيون ثم استغلت من طرفهم ومن طرف الرومان بعدهم ..»

ثم اعادت الجريدة الى الذهن مذكرة للسلطات الادارية بأن مثل هذه الافكار واحياء مثل هذه القوافل قد طلب بها الجنرال دوماس Domas عام 1844 .

لكن الجريدة وصاحب الكتاب نسيا انهما كانا ينظران الى القضية من الناحية الاقتصادية والتجارية .. في حين ان الادارة كانت تنظر اليها من الجانب السياسي اذ انها كانت لاتريد من الجزائريين وقوافلهم اجتياز الصحراء والتوجه الى المشرق العربي لان في اتصالهم به وبأخوانهم هناك خطر على الوجود الفرنسي في الجزائر . لذلك فهي تفضل العزلة والانكماش ولو كان ذلك على حساب التجارة والازدهار الاقتصادي .

وفي آخر التعليق تأسفت الجريدة على كون افكار هذا الضابط ومعارفه لمشاكل البلد لم تستغل في الجزائر وبقيت مهملة في احدى الحاميات الفرنسية(*) .

---

*) صدر في هذه الحقبة من الزمن :

كتاب : دراسات عن القوافل الى مكة . لشخص يدعى HENRI OUCAPI TAINE ثم : القبائل LES KABYLES لنفس الشخص او كابيتان ثم كتاب آخر بعنوان وضع الجزائر الجغرافي حاليا . لشخص يدعى ACHILLE BLLIAS ثم كتاب المكاتب العربية أمام المحكمة .

«شـارل دوغـيرل» ـ ألمع صحـافي
عرفتــه هذه الجريدة

أولاً «شارل دو غيرل» ـ ألمع صحافي عرفته هذه الجريدة :

يحب الصحافة بسبب منعها للمظالم اكثر مما تقدم من محاسن .

سبق لنا الحديث عن فريق تحريرها وقلنا ان من بين مميزاتها ان الجمعية التي انشأتها عينت لها فريق من تسعة اشخاص محررين تخصص كل واحد منهم في ميدان . الا ان اشهرهم جيعاً هو مديرها ورئيس تحريرها «شارل دوغيرل» Charles de guerle

لقد كان هذا الصحافي واسع الاطلاع عارفاً بخفايا السياسة الاوربية ومتتبعاً لتطوراتها كما كان عارفاً بالوضع الذي كانت تعيشه الجزائر ومطلعاً في ذات الوقت على اسرار سياسة الحكومة العامة بالجزائر .

كان يكتب افتتاحية الجريدة باستمرار وكان يخصصها للحديث عما يدور في بلاطات الملوك وقصور الحكومات الاوربية . وكان وهو يكتب عنها كأنه كان يعيشها مثل ما كان يكتب عن احداث الجزائر التي كان يعيشها فعلاً ، وكان يعنون الافتتاحية دائماً بالعنوان التالي : «نشرة سياسية» Bulletim Politique

كانت له آراء نيرة فيما يتعلق بحرية الصحافة . فقد كان لا يرى فرقاً بين الحرية الصحافية وسيادة الشعب فهما عنده شيئان متناسبان تماماً لذلك دافع عن هذه «الحرية الصحافية» بقلمه مراراً . واهم ما كتب في هذا الموضوع مقالاً له يوم 6 ديسمبر كانون الاول عام 1861 . وكان بمناسبة اعلان الحكومة العامة عن احترام حرية الصحافة . .

كتب «شارل دوغيرل» مقاله هذا ، وكان بعنوان : «حرية الصحافة مناسبة للسلطات الادارية» حاول ان يظهر فيه ما للسلطة الادارية من فوائد كما حاول مقارنة حرية الصحف في فرنسا بحرية الصحف في دول اوربية او امريكية .

ونظراً لما في هذا المقال من افكار نيرة تخص عالم الصحافة والصحافيين فقد رأيت من الاحسن ترجمة النص ونقله كله وان كان طويلاً وانا اعتقد بأن ما فيه من افكار حية تجعله غير ممل للقراءة ولا طويل . وانني استبدل عنوان هذا المقال الذي اختاره صاحبه وهو (حرية الصحافة مناسبة للسلطات الادارية) بالعنوان التالي الذي اراه مناسباً :

سيادة الشعب وحرية الصحافة

هما

شيئان متناسبان تماماً

قال شارل دوغيرل : CHARLES DE GUERLE

لو سئلنا لماذا نحب حرية الصحافة يمكن أن تكون إجابتنا كمايلي :

نحب حرية الصحافة بسبب منعها للمظالم أكثر من حبنا لها لما تقدم من محاسن .

انها فعلاً :

- هي التي بعينيها المفتوحتين دائماً ، تفضح اسرار السياسة والادارة
- انها هي التي تحتم على رجال السلطة ان يتقدموا امام محكمة الرأي العام .

انها هي التي توحد المصالح حول بعض المبادىء .

وانه عندما تتوحد بعض الصحف المختلفة الى الاتفاق والسير في طريق واحد فإن نفوذها يصبح لا يقاوم .

وهل الخوف من الوصل الى مثل هذا الاتفاق وتوسع مثل هذا النفوذ هو الذي يدفع دائماً بالسلطة الحاكمة الى التقليل والتضييق من حرية الصحافة ؟ .

يجب الاعتقاد بذلك

ولكن اذا تأملت ـ السلطة الحاكمة ـ في هذا الامر بعمق فإنها ستجد نفسها تخسر اكثر مما تكسب بعرقلتها للكتاب في اظهار افكارهم . وهذا يبدو لنا مؤكداً مما يحدث حالياً في أمريكا اذا قارناه بما هو موجود عندنا .

ان انشاء جريدة في الولايات المتحدة مسألة سهلة بسيطة اذا لا تتطلب هناك

رخصة لاصحاب المطابع ولا وجود هناك لشروط الطوابع ولا تسجيل الجرائد . وليس هناك ضمان مالي يدفع مسبقاً .

وبناء على هذه الحرية الواسعة فان عدد النشريات الدورية التي تصدر هناك ـ شيئاً لا يصدق اذ ليس هناك مدينة في الولايات المتحدة الامريكية لا تملك جريدة .

ونظراً لهذه الكثرة فان الصحف هناك لا تملك للصحافيين المقتدرين والاكفاء ـ الضروريين لكل جريدة ـ فغالباً ما تكون الجريدة في يد واحدة . وقد ادى هذا الامر بالقراء الى عدم الاهتمام بما يكتب هؤلاء الصحفيون الذين لم يكن لهم ثقل في نظر القراء وان هؤلاء لا يبحثون في اعمدة الصحف الا عن الاعلانات .

اما في فرنسا ، فالعكس تماماً ، لما هو موجود في الولايات المتحدة ، فان الصحف لا توجد بكثرة وان سلطتها لا تتعدى المكان الذي تصدر فيه . . واذا كان صحيحاً بأن كل سلطة تزيد في قوتها بتمركز لقيادة قواتها فاننا نفهم من ذلك بأنه عندنا في عالم الصحافة يجب ان يكون هذا التمركز اوسع ، عندئذ تتقوى سلطتها بالعدد القليل من المعبرين اي اصحاب الصحف . وعندئذ يتحتم على الحكومة ان تعمل بكل الوسائل لاضعافها وعقد السلم معها ـ اي مع الصحافة ـ او تعلن الحرب . .

وهناك اعتبار آخر بقطع النظر عن المصالح الخاصة بسلطة الحكام والتي يمكن منحها للرجال الذين يحكمون الامم التي ينتشر فيها مبدأ سيادة الشعوب . هذا الاعتبار هو منعهم من المس باستقلال الكتاب

هكذا يشرح صاحبنا وضع الصحافة والصحافيين في فرنسا وامريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ويبين كيف كانت الحكومات تعاملها وكيف كانت تحاربها ولاتسمح لها بالتطور . وفي اعتقادي ان وضعها هذا ما زال حتى الآن هو كما كان عليه أيام ذاك وان كان الزمان يفصل بيننا وبينه بمسافة شاسعة تقدر بقرن ونصف .

وان تحليل «شارل دوغيرل» لوضعية الصحافة مع الحكام يمكن ان ينطبق حالياً على وضعية الصحافة في كثير من الدول .

ان «شارل دوغيرل» يسترسل في كشف مزاعم الذين يحكمون الامم التي ينتشر فيها مبدأ سيادة الشعب ـ بأنهم يحترمون هذا المبدأ وهم في نفس الوقت يزجرون ويضطهدون حرية التعبير والفكر . ثم يعود للحديث عن موقف حكام فرنسا من هذا المبدأ ـ سيادة الشعب ـ وحرية التعبير والفكر ـ حرية الصحافة ـ فيقول :

«عند ما نسمح لأضعف المواطنين الفرنسيين بحق حكم المجتمع ، وتأسيس ـ بالانتخاب ـ الدستور ، والأسرة المالكة ، والأمبراطورية . يجب الاعتراف له في نفس الوقت بالقدرة على ان يختار رأيا من بين مختلف الآراء المنتشرة حوله وان يقدر الأعمال التي يمكن ان تقوده .»

ويختتم مقاله بهذه العبارة البليغة .

«إن سيادة الشعب وحرية الصحافة هما شيئان متناسبان تماما .

وإن عبودية الفكر المطبوع والتصويت العام هما شيئان يختلفان ولا يمكن ان يلتقيان طويلا في الدستور السياسي لشعب واحد(*) .

هذه آراءه في الصحافة وفي دستورها وما هو واجب الاعتراف لها به . وما هي منافع الحكام وخسارتهم في كبتهم لحرية الصحافة والصحافيين والكتاب .

تأثيره في الجريدة وفي الرأي العام

أولا : في الجريدة :

اثر في الجريدة بإعطائها طابعا مستقلا يختلف عن بعض الصحف الصادرة ايامها في العاصمة مثل «الأخبار» التي لم يكن لها خط سياسي مضبوط حيث كان صاحبها المسيو بورجي .Bourget وفريق تحريرها يتجه بها تارة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال وأحيانا في طريق ليست له معالم .

* جعل من مواقف هذه الجريدة وعلاقتها بالصحف الأخرى علاقة محترمة . وانه وهو المؤمن بحرية الصحافة ، جعل نقاش هذه الجريدة وجدالها مع زميلاتها جدالا نزيها . واعتبار هذه الأخيرة متعاونة في عمل واحد .

* اثر في الجريدة تأثيرا كبيرا بمقالاته العديدة وكتاباته الافتتاحية بنفسه دائما .

(*) من أراد الاطلاع على نص المقال باللغة الفرنسية فليراجع هذا المقال بجريدة «بريد الجزائر» ليوم 1861/12/6 ص1 عمود4 .

ثانيا : في الرأي العام :

كان تأثيره في الرأي العام كبيرا بسبب الأهداف التي كان يدافع عنها طوال حياة الجريدة وطوال عمله الصحافي . ويمكن تلخيص هذه الأهداف التي اثر بهـا على الرأي العام الاوروبي في الجزائر لأنها كانت تعبر عن رغباته وطموحه . في هذه الديار يمكن تلخيصها فيما يلي :

وكما عبر عنها هو نفسه بالحرف الواحد : «ان افكارنا في القضايا التي تكون ما نسميه السياسة الجزائرية انها ستكون طبعا . . . : التعبير عن الرأي العام للجمهور ـ ولسنا في حاجة الى القول باننا لا نعمل لخلق أفكار أخرى .

1* اننا سنطالب بأن يكون الاستيطان هدفا لكل اهتمامات السلطة . لكي يكون عالم اراضي الدومين مبسطا وسريعا ، يخضع أقل ما يمكن الى الاجراءات الادارية هذه الاجراءات التي حكم عليها بالفشل في كل مكان .

2* لنهتم بالسرعة وبالتنفيذ للأشغال العامة التي تخص احتياجات المستعمرة

3* يجب ان تدخل الى منظماتنا القضائية التطورات والاصلاحات التي تتطلبها مصلحة المتقاضين .

4* يجب ان تستفاد الجزائر بطريقة خاصة بثرواتها لتكون لها ميزاتها الخاصة منها واليها .

5* يجب أن تتحرر موانينا ومنتجاتنا من كل العراقيل التي تعترض طريق الهجرة الاوروبية من جهة وتطوير تجارة المستعمرة من جهة ثانية .

6* يجب ان نشجع المبادرات الفردية بكل حرية من عدة أوجه ، فلاحية وصناعية ، وأخلاقية .

7* وأخيرا نطالب بتطوير وتشجيع المؤسسات البلدية التي هي مصدر كل حرية . واحلال البلدية المتطورة محل المحافظ المدني والضابط العسكري»

واستخلص قوله مؤكداً بأن هذه الأشياء أي المطالب والأهداف ليست جديدة على أحد فهي موجودة في أفكار الجميع وان فضل الجريدة وفريق تحريرها لا يرجع الى خلقها وانما الى الاستماتة والمثابرة في الدفاع عنها . وهذا صحيح .

هذا صحيح إذ يرجع تأثيره في الرأي العام الى الدفاع عن هذه المبادىء التي تمثل أغراض الاوروبيين في الجزائر .

فبدفاعه عنها استطاع ان ينصب نفسه وقتئذ ركيزة من ركائز الصحافة والفكر الموجه للرأي العام .

ولقد نجح في ان يضع قلمه على اهم اهتمامات الرأي العام مثل قضية الاستيطان ـ والاجراءات الادارية البطيئة ـ والقضاء الغير المنظم ـ وطموح الاوروبيين في ان تكون لهم ميزانية خاصة ـ والقيود الجمركية المفروضة على التجارة الجزائرية والاهتمام بالبلديات ـ إلى آخره . كل هذه المسائل كانت تمثل الشغل الشاغل للجالية الاوروبية في الجزائر . ولما كان هذا الصحافي يملك ذكاء حادا استطاع أن يلخصها في النقاط السابقة الذكر .

والملاحظ ، أنه يمكننا ان نستنتج من هذه الآراء ان صاحبنا قد ابرز شيئا جديدا من مطامع الاوروبيين وهو فكرة فصل الجزائر المستعمرة عن الوطن الأم تدريجيا ويبدو لنا ذلك في النقطة الرابعة التي تطالب بتمكين الجزائر من الاستفادة بطريقة خاصة من ثرواتها لتكون بها ميزانيتها الخاصة منها واليها .

كما يمكننا ان نستنتج ايضا فكرة أخرى وهي المطالبة ـ بطريق مستتر ـ باحلال الحكم المدني ـ المجالس البلدية ـ محل الحكم العسكري وذلك ما ظهر في النقطة السابعة التي تطالب بتشجيع وتطوير المؤسسات البلدية . . حتى تحل محل المحافظ والضابط العسكري .

ثانياً : الخلاصـــــة

هذا هو المسيو «شارل دوغيرل» الصحافي الذكي الذي قال عن نفسة (هكذا اعتقد وهكذا أعمل في الميدان الصحافي) وأخيرا انني وان كنت لم أعثر على تاريخ ميلاده ولا مكان ولادته الا انه من المؤكد ان هذا الرعيل من الصحافيين الفرنسيين الذين اشرفوا على انشاء الصحف في الجزائر في الثلاثين سنة الأولى من الاحتلال قد ولدوا بالضفة الشمالية من البحر الابيض المتوسط أي بأوروبا ثم امتهنوا فن الصحافة في الجزائر بعضهم لأول مرة وبعضهم عرفها في أوروبا قبل أن يقدم الى الجزائر مع

افواج الهجرة الاوربية لهذا البلد . وعلى كل فان هذا الموضوع موضوع الصحافيين الفرنسيين في الجزائر يستحق دراسة عميقة مفصلة واذا ساعدني الوقت سأخصص لهم دراسة مستقلة .

أما صاحبنا «شارل دوغيرل» فانه لم يستمر طويلا في هذه الجريدة بل انسحب منها بعد سنة ونصف من صدورها بعد ان عطلتها السلطات الفرنسية في شهر ابريل نيسان عام 1863 لمدة شهرين .

وعندما استأنفت الصدور أشرف عليها شخص آخر يدعى «مولو» Molot وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

أما جريدة بريد الجزائر فانها عاشت سنوات بعد ذلك لم نعرف بالضبط تاريخ توقفها الا أن بعض المراجع تشير الى ان صدور جريدة «الجزائر الفرنسية» عام 1870 كانت على انقاض جريدة بريد الجزائر وكان ذلك على اثر تدخل المسيو «الكسندر لامبير» الصحافي الجمهوري الفرنسي الشهير لدى الحاكم العام بالجزائر .

أما المحفوظات فلم تحافظ لنا إلا على مجموعة ثلاث سنوات التي توجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية .

المراجع

اعتمدت في هذه الدراسة على العديد من الوثائق :

- مجموعة الجريدة المعنية بالدراسة لسنوات. 1861 — 1862 — 1863
- مجموعة جريدة «الأخبار» لنفس المدة وحتى سنوات السبعين
- مجموعة جريدة «الممر ن الجزائري» لسنة 1862.
- الوثائق الجزائرية لسنة 1947.
- وطائفة كبيرة من الوثائق المختلفة .

الفصل الخامس

جريدة المراقب البليدة

البحث التاسع

جريدة المراقب البليدية

(1861 — 10 — 1)

L'OBSERVATEUR BLIDIEN

خطة البحث :

أولاً : عرض عن الفن الصحافي في المدينة ـ البليدة ـ.

ثانياً : تاريخ نشأتها ومكان نشاطها وتاريخ توقفها .

ثالثاً : مواقفها من الادارة وحرية الاعلانات .

رابعاً : رسالة الوداع من صاحبها (بيهاغل) .

خامساً : صاحبها (بيهاغل) أمام المحكمة .

سادساً : الرد على الحكم باستعمال الوثائق .

سابعاً : تعاليق الصحف حول توقفها .

ثامناً : صحف المدينة «المتيجة» «الاقتصاد البليدي» .

تاسعاً : نشاط صاحبها الصحافي .

الخلاصة ـ والمراجع .

المراجع

- مجموعة جريدCourrier de L'algerie بريد الجزائر1861-1863 .
- مجموعة «الأخبار» Akhbar لعام1861, 1862, 1863 .
- مجموعة جريدة الممرن الرسمية الحكومية1862 .

مديــنة البليــدية وظهور الصحافة فيها

أولاً : عرض عن الفن الصحـافي فـي المديـنة

ننتقل بحـديثنا عن تاريخ الصحافة في الجزائر ، من مدينة الجزائر إلى مدينة البليدة التي تبعد عن العاصمة بحوالي خمس وأربعين كيلو متراً ، كانت هذه المدينة تحتل مكانة هامة عند الفرنسيين (1) لا من الناحية الاستراتيجية العسكرية فحسب ولكن من الناحية الاقتصادية والفلاحية أيضاً ، حيث استوطنها الكثير من الأوروبيين في وقت مبكر ثم انتشروا حولها في سهل المتيجة الفسيح .

لذلك عرفت هذه المدينة فن الصحافة في الأربعينيات من القرن الماضي ، ولقـد سبقت الاشارة إلى ذلك عند حديثنا عن صحف العاصمة في الجزء الأول ، من هذه الدراسة (2) .

وإذا عرفنا مما سبـق بأن هذه المدينـة ـ البليدة ـ قد عرفـت فن الصحافـة قبـل الخمسينيات ـ مثل الرائد ـ Le Precurseur والديمقراطي البليدي . Le Démocrate Blidien فإننا لم نعرف ما إذا صدرت فيها جرائد أو مجلات ما بين عامي 1850 و 1860 ، ولكن ابتداء من 1860 أوجدت في هذه المدينـة صحف سياسية نشيطـة سايرت تيار الصحف الأخرى في أسلوب الجـدال العنيف ، بحيث كانـت تتأثـر بالصحف الصادرة في الجزائر وبما كانـت هذه الأخيرة تتعـرض له من مصاعـب ومتاعب على يدي الادارة وهـي متاعـب ناتجة عن قرارات الادارة في حجـز هذه الجريدة أو تلك أو منع هذه الجريدة أو تلك عن الصدور أو حرمانها من حق نشر الاعلانات الشرعية .

وكما كانت صحف البليدة تتأثر بصحف العاصمة فإنها كانت تؤ ثر بدورهـا في تلك الصحف التي كانت تنقل عنها المقالات أو تقتطف منها الفقرات المعبرة عن وجهة نظر سياسية .

---

(1) احتل الفرنسيون البليدة في عهد «كلوذال»

(2) راجع فصل : عشرون سنة . . . . . في الجزء الأول من كتاب تاريخ الصحافة في الجزائر . للمؤلف

وسوف نرى ، من خلال حديثنا عن بعض هذه الصحف ، ما كان لصحف البليدة من تأثير ، خاصة وقد كانت تمثل مصالح المعمرين في المتيجة .*

ومن بين هذه الصحف التي ظهرت في هذه الحقبة من التاريخ جريدة «المتيجة» و«الملاحظ» و«التل» L'Observateur la Metidja و Le Tell سنتناولها بالحديث الواحدة بعد الأخرى بنفس الطريقة والأسلوب الذي استعملناه حتى الآن .

جريدة المراقب L'OBSERVATEUR

هي جريدة بليدية امتازت بالجرأة ، وعند توقفها أحدثت دعوة قضائية

ولنبدأ الحديث عن جريدة L'observateur ونطلق عليها منذ الآن الترجمة الآتية : «المراقب» ، وقد فضلت ترجمة المراقب على الملاحظ ، لأن الملاحظ لا يقول شيئاً . . أما المراقب فهو الذي يسعى إلى اصلاح أي اعوجاج وجده في طريقه ولذلك فهو يلتقي بالجريدة ورسالتها الصحافية .

أولاً : البحث عن الجريدة

بحثت عن هذه الجريدة في المكتبة الوطنية بشارع الدكتور سعدان فلم اعثر على مجموعتها ولا على حتى نسخة من اعدادها وبحثت عليها في مكتبة البليدة فلم أعثر على شيء كذلك .

وأمام فقدانها في المكتبات . . . . توجهت للبحث عن أخبارها في الوثائق وفي الصحف التي عاصرتها ، ومن خلال هذه الوثائق تمكنت من معرفة تاريخ نشأتها وتاريخ توقفها عن الصدور .

ثانياً : تاريـخ نشـأتها ومكان نشـاطها

أنشئت هذه الجريدة في شهر اكتوبر تشرين الأول عام 1861 بمدينة البليدة ، وكان انشاؤها بطريق شركة مساهمة . . ثم انتهت ملكيتها بعد أشهر قلائل إلى رئيس تحريرها وكان يدعى «بيهاغل» Behaghal وكان من الصحافيين الكبار في حينه .

---

* المتيجة ، اسم لسهل خصب جنوب الجزائر العاصمة يمتد على طول ١٠٠ كلم وبعرض متوسط قدره 25 كلم .

ظهر أول عدد لهذه الجريدة يوم أول اوكتوبر تشرين الأول عام 1861 ، وبما أنني لم أعثر على نسخ منها فإنني لم أتمكن من معرفة أيام صدورها ولا طريقة اخراجها ولا أسلوب تحريرها وان ما سنعرفه عن هذه الجريدة سوف يكون عن طريق نشاط رئيس تحريرها .

استمرت هذه الجريدة في الصدور بمدينة البليدة من هذا التاريخ اكتوبر 1861 إلى الخامس من شهر اكتوبر 1862 حيث قرر صاحبها توقيف صدورها لأسباب مادية .

وفي هذه السنة التي عاشتها جريدة «المراقب» البليدة ، كانت توزع في مدن المتيجة وفي مدينة الجزائر .

ولقد كانت الصحف العاصمية تنقل عنها الأخبار وتقتطف من مقالاتها الفقرات .

وإذا أخذت هذه الصحيفة شهرة صحافية فإن ذلك يرجع إلى نشاط رئيس تحريرها المسيو «بيهاغل» .

ثالثاً : صحيفة المراقب والادارة :

في عام 1861 وفي الوقت الذي صدرت فيه جريدة المراقب البليدية كان وضع الصحف وعلاقتها بالادارة في حالة تأزم بسبب تشدد هذه الأخيرة من جهة وتحيزها لبعض الصحف من جهة ثانية ، وذلك بتفضيل هذه عن تلك في نشر الاعلانات الشرعية والقضائية ، مما جعل بعض هذه الصحف تهاجم الادارة بشدة وعنف ومنها الجرائد التالية :

صدى وهران

- السيبوس

- بريد الجزائر

ولقد كان رد الفعل لدى الادارة مقلقاً بحيث وجهت انذاراً لجريدتي «صدى وهران» و«السيبوس» .

وفي هذا الأثناء انشئت «جريدة المراقب» البليدية لتنضم إلى هذه الصحف فكانت

جريدة جريئة شجاعة وكان صاحبها يتحدى الادارة وسلطاتها الواسعة على الصحافة في الجزائر ، من ذلك أن الصحف الصادرة في العاصمة يومئذ مثل «الممرن» الرسمية و«بريد الجزائر» و«الأخبار» كانت تنقل عنها بعض مقالاتها .

ونظراً لما كان للصحافة من تأثير على الرأي العام والادارة المحلية الفرنسية فإن هذه الأخيرة تراجعت عن تشددها مع الصحف ورقابتها لها . وأصدرت قراراً في شهر نوفمبر تشرين الثاني عام 1861 امتاز هذا القرار باللين وباعطاء الصحف نوعاً ما من الحرية للتعبير .

وتعليقاً على هذا القرار الصادر من الولاية العامة كتبت المراقب تعليقاً قالت فيه :

«يسرنا أن نلاحظ ، أن رأينا الذي كتبناه في عددنا الصادر يوم 14 نوفمبر 1861 على الاجراءات التحررية التي اتخذها سمو الدوق «دو مالاكوف» DUC DE MALAKOV والمدير العام للمصالح المدنية الخاصة بالصحافة الجزائرية .

إن تقرير المسيو MALAKOV يحد من حرية الرقابة لأعمال الادارة . . . . ولكننا نحب أن تتأكد هذه الحرية بتصريح رسمي» .

بعد هذا تهنىء جريدة المراقب نفسها ، والصحافة أجمع باصدار هذا القرار معلنة أن الصحافة اليوم بالجزائر تعلم بأنها تستطيع أن تقوم وهي واعية بمهمتها ، ودون الاهتمام بالعراقيل التي يمكن أن تعترض طريقها ، تلك العراقيل التي قد تحدث من طرف الادارة المحلية .

ثم تضيف قائلة :

إنه في حالة ما إذا تعرضت الصحف - إلى مضايقة في مصالحها المادية ، وهي تقوم بالعمل ضمن الحقوق التي تنازلت لها عنها الحكومة تستطيع أن تنادي الادارة المركزية وتطمأن لرعايتها العادية وتدخلها .

إن هذا القرار تقبلته كل الصحف في الجزائر بالرضاء والارتياح ، وكأن ما جاء فيه من اجراءات تتسم بالحرية كان خاصاً لكل منها .

وزاد في تأثير الصحافة بهذا القرار قراراً آخر اصدرته الولاية العامة في حق السيبوس وصدى وهران لاعفائها من الانذار السابق الذي وجه إليها .

وبناء على هذا الارتياح الذي عم الصحف استخلصت «المراقب» الفكرة التالية :

«إن هذه الصحف سترى في قرار 21 نوفمبر تشرين الثاني 1861 دليلاً على التعقل والثقة التي تشرّف الادارة حالياً ، والتي تضمن لها اخلاص الصحف ومساعدتها . .»(*)

هكذا تقبلت هذه الجريدة قرار الولاية العامة باطلاق الحرية للصحف .

ولكنها كلما ارتكبت الادارة خطأً إلا وتهاجمها جريدة المراقب بشدة.

ولقد حدث ذلك ذات مرة عندما أخذت الادارة قراراً بترخيص نشر الاعلانات لبعض الصحف العاصمية دون الصحف الأخرى الموجودة بالعمالة* وكان هذا القرار يخالف نص القانون الذي يشترط على الوالي أن لا يتخذ مثل هذا القرار إلا إذا كانت احدى الدوائر خالية من أية صحيفة فعندها فقط له الحق أن يمنح لاحدى الصحف الصادرة بالعمالة* لتنشر فيها ، الاعلانات العدلية القانونية .

وكان هذا القرار قد اتخذه عامل الجزائر - في شهر ديسمبر 1861 - متجاهلا فيه الترتيبات العدلية فثارت ثائرتها وكتبت تقول :

يمكن لقرائنا أن يتعجبوا من الاشارة ، في القرار المنشور ، لنفس مادة المرسوم الصادر في 17 -2 -1852 والتي تنص على أنه لا يجوز للعامل أن يعين جريدة أو اثنتين - تنشر فيها الاعلانات العدلية - إلا إذا لم يوجد في الدائرة جريدة .

لقد ارتكز فعلاً على مادة من القانون لاتخاذ قرار يعارض تماماً نص المادة وهو يبدو لنا عمل خارق للعادة .

ونحن نعلم أن القانون في الجزائر لا يعتبر إلا قليلاً ولكننا اعتقدنا حتى يومنا هذا بأن أي عمل مهما كان طالما يجب أن يظهر ببعض المظاهر الشرعية ، وأن لا يصطدم وجهاً لوجه مع نص القانون .

ويمكن أن نتعجب أيضاً من أن القرار تجاهل تماماً وجود جريدة في دائرة البليدة ، مع أن الجريدة الرسمية الحكومية في عددها الصادر اليوم قد نقلت عنا بعض

---

* راجع موقفها هذا في «بريد الجزائر» عدد1 / الأول ديسمبر كانون الأول 1861 ص2 عمود1 - نقلاً عن جريدة المرن الرسمية . .

* المحافظة .

،الملاحظات حول انتخاب المجالس البلدية كما أنها نقلت عنا منذ أيام الأفكار التي اقترحناها لقرار الوالي حول تسليم الانذارات .

فإذا كنا لم نعد كجريدة للدائرة ، فلماذا هذا النقل ؟ ولماذا يدخلون في حساباتهم ـ الحكام ـ هذا الرأي أو ذاك والمعبر عليه في أعمدة صحيفتنا ؟ .

وتعقيباً على هذا التعليق تساءل سكرتيير تحرير L'Obsevateur عما إذا كانت جريدة المراقب تعلم بأن الادارة تعتمد فيما تتخذ من قرارات على مجلس الدولة الذي يخول لها الاعتراف بوجود جريدة في الدائرة أم لا ؟ ثم أضاف أن جريدة المراقب وإن كانت تعلم ذلك إلا أنها تتحدث عن المبدأ ونحن معها ونسير على دربها .

ولقد رأت بعض الصحف بأن هذا القرار الصادر من طرف الولاية العامة قد يخلق مشاكل بين الادارة والقضاء ، وذلك في حالة ما لو تمسك سكان البليدة بالقانون الصادر عام1852 ونشروا اعلاناتهم في الجريدة المحلية «المراقب» وإن لم ترخص لها الادارة بذلك ويضربون بقرارها عرض الحائط ، فكيف يكون موقف القضاء يا ترى ؟ وكيف يكون موقف الادارة في حالة اصدار حكم من المحاكم بالتمسك بنص القانون ، مثل ما فعلت كثير من المحاكم في فرنسا ؟ .

ورداً على هذه الأسئلة تجد الجواب في تعبير جريدة المراقب التي قالت إن القانون في الجزائر لايعتبر إلا قليلاً . هكذا كانت مواقفها من الادارة ، وهكذا كانت مكانتها بين الصحف الفرنسية التي تقود الرأي العام في تلك الأيام ، فكانت صحيفة رأي مسموعة الكلمة بين الأوروبيين ، لكنها تعرضت إلى هزات مادية ومجادلات صحافية ومضايقات اداربة ومع ذلك فإنها استمرت في الصدور سنة كاملة وبعدها قرر صاحبها توقيفها عن الصدور لأسباب مادية من جهة وتنافس صحف العاصمة معها في البليدة بعد فتح الخط الحديدي الرابط بين مدينتي الجزائر والبليدة ، من جهة ثانية .

وإن تفاصيل هذه الأسباب والعوامل التي أدت إلى توقفها سيشرحها لنا صاحبها بعد قليل .

رابعاً : رسالة الوداع من صاحبها «بيهاغـل» :

يبدو أن المسيو بيهاغل Behaghel قد تعرض لمضايقات مالية جعلته يعجز ماديا عن الاستمرار في اصدارها ، ولذلك فبعد مثابرة دامت أكثر من سنة أعلن في آخرها عن قراره بتوقفها في بيان بتاريخ 5 أكتوبر 1862 نشره في ملحق خاص لجريدة المراقب وفي هذا البيان شرح العراقيل والعوامل التي أدت به إلى اتخاذ مثل هذا القرار .

فقــال :

مر عام يوم أول اكتوبر تشرين الأول على صدور أول عدد لجريدة Observateur ولقد كانت مدينة البليدة كمركز هام للمناطق الفلاحية وكذلك مسافتها من مدينة الجزائر هي التي برزت لنا ضرورة وجود جريدة خاصة بها .

وبقيا منا في هذه الظروف فإننا لم نهمل أية وسيلة للاتصال بالمعمرين وكان هدفنا الـوحيد دائما هو احـداث تحسينـات في المنطقـة تلك التحسينـات التي تبـدو لنـا مستعجلة .

وانه مما لا شك فيه إننا قد نكون في بعض الأحيان أخطأنا أو على الأخص أو قعونا في خطأ، إذليس هناك معصوم ، ولكن يكفينا أن نصرح علانية بأن الصراحة كانت دائما دليلنا ، وأنه في هذه السنة قد قدمت تضحيات جدية من أجل مناصرة نشرتنا ولكن هذه المجهودات المنعزلة قد بقيت بدون جدوى .

نحن نعلم أن رقم الاشتراكات قد بقي أقل بكثير مما كان يجب أن يكون ويمكن أن نرجع ذلك إلى عوز واحتياج سكاننا بالبادية ، والتجارة المحلية .

ومع هذا لقد كنا ننتظر نتائج حسنة للمستقبل ، ولكن الظروف الجديدة الناتجة عن انشاء خط السكك الحديدية لربط مدينة البليدة بمدينة الجزائر ، لم تسمح لنا بتحقيق هذا الحلم .

فالبليدة توجد على مسافة سير ساعتين من مدينة الجزائر التي تصدر فيهـا ثلاث جرائد كبار ، تلك الجرائد التي تصدر في أوقات متقاربة وفي شكل وحجم أكبر من شكل وحجم جريدة observateur .

فالمصالح غير متساوية والظروف الحالية ليست ظروف السنـة الماضية ، لوجود نشرة محلية مثل observateur بالبليدة .

فالخط الحديدي يوحد المدينتين ، ويقارب بين سكانها وبين مصالحهم وانـه على جرائد الجزائر أن يهتموا أحسن من الماضي بشؤ ون مدينتنا .

إن هذا الاعتبار سيقلل تأسفنا ، لأنه إذا نحن وجدنا في وضع توقفت فيه نشرتنا لعدم الامكانيات فإننا نستطيع أن نقول أن مدينـة البليدة سوف لا تنقصهـا بهـذا السبب منافع الأشهار والنشر لأنه سيتولى آخرون الدفاع عن مصالحها .

ولقد تحصلنا على التزام مبدئي من إحدى جرائد مدينة الجزائر (1) ـ الأخبار ـ التي قبلـت بتـزويد المشتـركين ـ بجـريدة L'Observateur ـ دون زيادة في ثمـن الاشتراك ، وذلك بالنسبة لجميع الاشتراكات التي لم ينته موعدها بعد .(2)

هكذا شرح المسيو (بهاغل) الأسباب والعوامل التي أدت به إلى توقيف جريدته عن الصدور ، ويعد قراءه بأن مصالحهم ستدافع عنها جريدة من مدينة الجزائر وهي جريدة «الأخبار» ، تلك الجريدة التي لعب فيهـا دورا رئيسياً فيما بعـد ، بعـد أن اشتبك معها في أيام جريدته في معارك قلمية .

- ولم يكن المسيو «بيهاغل» يدري أن قراره هذا بايقاف هذه الجريدة سيحدث ضجة كبرى في أوساط أعيان البليدة ، ثم تتحول الضجة شيئاً فشيئاً إلى مطالبة عدلية ، وتدخل القضاء في الأمر لفض النزاع ، فكانت المحاكمة وكان اصدار الحكم ضده .

واليكم القصة كما روتها الصحف حينذاك .(3)

خامساً L'observateur و بيهاغل أمام المحكمة :

على أثر صدور البيان وتوقف الجريدة عن الصدور ، تقدم المساهمون إلى المحكمة بالبليدة مطالبين المسيو «بيهاغل» بالتعويض عن الضرر الذي لحق بهم وقدره 10,000 فرنك وكان عدد المساهمين فيها حسب قول محاميهم يبلغ 17 شخصاً .

ولقد ركز هؤ لاء دعوتهم ضده على عنصرين :

(1) «بريد الجزائر» و «الأخبار» و «المصر».

(2) ولزيادة في توضيح العوامل التي أدت إلى توقفها والمصائب التي لا قا ها صاحبها فإنني تصرفت في ترجمة نص هذا البيان بالاضافة في الشرح وحذف ما لم يكن مناسباً .

(3) راجع نص البيان في جريدة بريد الجزائر عدد 163 ص 1MyM4 وص 2 / ع / 2 ليوم 26 أكتوبر تشرين الأول عام 1862

الأول : توقيف الجريدة عن الصدور .

الثاني : بيع الجريدة L` observateur إلى جريدة من مدينة الجزائر .

حيثيات القضية :

وأمام محكمة البليدة تدخل محامي المدعين وكان يدعى - باجيس Pagès - فشرح حيثيات القضية وقصة حياة الجريدة فبعد مقدمة تحدث فيها عن كواليس البليدة وتدخلات بعض الشخصيات الرسمية قال :

«أما جريدة المراقب L`observateur(*) فإنها أصبحت ملكاً لشركة مساهمة وضعت على رأسها كمدير متصرف المسيو بيهاغل رئيس تحريرها . ولقد نجحت الجريدة في بادىء أمرها حيث كانت تصدر بطريقة مرضية .

وعندما انطلقت «المراقب» في جدال مأسوف بدأت تفقد هي قيمتها نظراً لتطرفها .

وبعد أن رأى فريق التحرير أن تطرفها محارب من طرف المحاكم لم يوافقوا على ذلك ، وكانت هذه المجادلات بين الأخبار والمراقب .

وبدأ المساهمون يتساءلون عن مصير هذه الجريدة وماذا ستؤول إليه . وفي هذا الأثناء أجابهم المسيو بهاغل باصدار عدد خاص ، بل ملحق دون موعد مسبق وبلا تاريخ وكان يحمل عنوان المراقب .

وكان هذا الملحق قد طبع في مطابع بالمي Balmé رئيس تحرير جريدة «الأخبار» العاصمية بالجزائر .

وفي هذا الملحق أعلن قراره السابق الذكر لسكان البليدة ، الذين اندهشوا لا بالنسبة لتوقيف جريدة المراقب عن الصدور ولكن أيضاً للمبررات التي قدمها وخاصة منها مبرر انشاء خط السكك الحديدية بين العاصمة والبليدة وهو إن سهل الاتصالات بين المدينتين إلا أنه جعل من جريدة المراقب عاجزة عن الاستمرار في الصدور بسبب منافسة صحف العاصمة لها .

---

* أعطي لجريدة observateur الترجمة التالية : المراقب .

أما المساهمون فكانت دهشتهم أعظم لأنهم كانوا يعتقدون أن المراقب لم تكن في وقت مضى أحسن مما هي عليه يومها وأنها ستتطور في اتجاه أحسن قبل منتهى السنة . »

ولقد أضاف محامي المدعين إلى التهم السابقة قوله :

«الغريب ما في الأمر أن المسيو «بيهاغل» لم يعلم المشاركين بأي حساب وإن هذا الموقف المفاجىء قد اتخذ من طرف المدير المتصرف الذي يتقاضى أجراً ودون مشاوراتهم .

وإن أول خبر وصلهم عن ضرورة إيقاف النشرة التي تملك كل العوامل لبقائها ، أو تقديم حصص جديدة إذا دعت الحاجة إليها ـ هو الخبر الذي وصلهم من مطبعة بالمي Balmé بالجزائر . »

وكان المسيو «بيهاغل» قبل إعلان بيانه السابق بأيام انضم إلى أسرة تحرير جريدة «الأخبار» دون انتظار تصفية وضعية جريدته، الأمر الذي أدى إلى أن جعل أعداؤه من ذلك حجة على أنه باع هذه الجريدة قبل أن يلتحق بفريق تحرير الأخبار .

لذلك توجه محامي المدعين إلى قضاة محكمة البليدة بقوله : «أيها السادة ألا ترون أن كل هذه العناصر مدبرة .

ـ فعدم وجود جمعية عامة للمساهمين .

ـ وغياب كل حساب .

ـ ثم قرار ايقافها الصادر في مدينة الجزائر .

ـ ودخول المسيو «بيهاغل» الغير المنتظر والمعجل إلى فريق تحرير الأخبار(*)

كل هذا يؤكد العكس ، وإن هناك في أعماق القضية اتفاق سري ، بمقتضاه ولمصلحة خاصة ، باع المسيو «بيهاغل» الجريدة أو على الأقل قضى على نشرة لم تكن ملكاً له . »

وفي تدخله هذا حاول هذا المحامي أن يثبت للمحكمة أن المسيو «بيهاغل» قد اختلس الجريدة وباعها وهو لم يكن يملك فيها شيئاً وإنما هو مدير متصرف ورئيس

* في الوقت الذي كان النزاع قائماً شهد المسيو «بيهاغل» يكتب مراسلات من البليدة إلى جريدة الأخبار وكانت بعنوان مراسلات البليدة وفيها يتحدث عن المجالس العامة ويقدم بعض القرارات الصادرة من المجلس البلدي ـ راجع الأخبار 18 و26 اكتوبر وما بعدها .

تحرير مدفوع الأجر وأن تصرفه هذا تصرف تدليس واختلاس ، وهذا التدليس والاختلاس لم تنطل حيلته على أحد ولم يقع في فخّه حتى من كان بعيداً عن هذا الميدان .

إن هذه المحاكمة لم يقع في تاريخ الصحافة الجزائرية مثلها من قبل وحتى هذا التاريخ .

حيث لأول مرة يحاكم صحافي لأنه قرر توقيف صحيفة كان يشرف عليها ويحررها ويوزعها بنفسه .

ولأول مرة يقع التنافس على ملكية جريدة بين رئيس تحريرها وجماعة من المساهمين ، نظرياً ، في إنشائها .

ولقد أحسن هؤلاء اختيار محاميهم في هذه القضية فكلفوا محامياً ذكياً استعمل كل ذكائه لادانة المسيو «بيهاغل» وجعل من وقف الجريدة المذكورة عملية كوميدية تقررت فصولها بين «الفوضة والجبن حول غداء حضرة ثلاث أشخاص ولسنا في حاجة إلى ذكر من هما الاثنان الآخران فقد احتملتهما أما الثالث فهو من سكان البليدة . . . . وإن وضعيته الاجتماعية تجعلني لا أعلن عن أسمه .

ولما لم يعلن عن اسم الشخصية البليدية نظراً لوضعيتها الاجتماعية ارتفعت، الأصوات من القاعة محتجة على ذلك ومع هذا استأنف المحامي دفاعه محاولاً اقناع أعضاء المحكمة بالتهم الموجهة إلى السيد «بيهاغل» .

«والعملية لقتل «المراقب» أولاً : تم الفن الصحافي المحلي ، ثانياً : فإنها قد انضمت فعلاً ، ولكن الحقيقة لم تخف وأنها ستظهر عارية طال الزمن أو قصر ونأمل أن نجاح هذه المناورات لن يذهب بعيداً كما يعتقد عادة .»

وقبل أن يختم تدخله حاول أن يشبه عمل «بيهاغل» مع جريدة المراقب بعمل أبناء يعقوب بأخيهم يوسف فقال :

«أما السيد «بيهاغل» عندما سُئل عما فعل بجريدة المساهمين أجاب تقريبا مثل أخوة يوسف الذين رجعوا الثياب إلى الدار ملطخة بالدماء وكان ذكياً .

لقد أكلها الحيوان . .»

هذا بالنسبة لجانب المدعي .

أما بالنسبة للمدعي عليه ـ بيهاغل ـ أو محاميه فقد فند قول هؤلاء قائلاً بأن الشركة المذكورة لم تكن إلا مشروعاً فوق الورق لم ينفذ وأن أغلب أعضاؤها لم يدفعوا أقساطهم .

وإن عقد30 ديسمبر كانون الأول1861 لم يكن إلا مشروعاً بدوره وأنه بعد اتفاق بينه وبين «برانسا» المطبعي البليدي قد أصبح «بيهاغل» مالكاً للجريدة .

اكتفى بهذا محاميه وترك المحكمة تتخذ قراراتها وذلك بطلب من «بيهاغل» الذي رفض الدفاع عن نفسه أمام المحكمة الابتدائية ، ليرفع القضية إلى محكمة الاستئناف بالعاصمة وكان ذلك .

فحكمت المحكمة بأن :

تعتبر الشركة قائمة المفعول وأن وجودها كان وجوداً فعلياً .

وإن العقد يؤكد تأسيس الشركة لمدة خمس سنوات .

وفرضت عليه تقديم حساب أعمال الجريدة للمحكمة أو للخبراء المتفق عليهم من طرف المتخاصمين .

أما بالنسبة لطلب التعويض10,000 فرنك أجلته حتى تتحصل على تقرير من خبير يقوم الأضرار التي تعرضت لها الشركة والشركاء .

والجدير بالملاحظة أنه لم يحضر المحاكمة ولم يسمح لوكيله بالتدخل في الدفاع .

سادساً : الرد على قرار المحكمة :

وبعد صدور قرار المحكمة الذي علقت عليه الصحف العاصمية رد المسيو بيهاغل على هذا الحكم بمقال بل برسالة نشرها في جريدة «بريد الجزائر» مع نشر قرار الوالي العام بالنيابة الذي رخص له بالعمل الصحافي والاشراف على جريدة المراقب مكان المطبعي (بروك) البليدي الذي تنازل له عن ملكية الجريدة ، وما يتبعها .

ونشر مع الرسالة ، وقرار الوالي العام بالنيابة ، نص التنازل الذي وقع بينه وبين صاحب امتيازها الأول والذي سجل عند الموثق .

وهذا ملخص الرسالة التي بعث بها إلى جريدة بريد الجزائر :

سيدي المدير،نشرتم في العددالصادر هذا الصباح عرضاً بدون توقيع ، ذكر فيه أسمي عدة مرات ، وحكم صدر ضدي .

وإنني اتكل على نزاهتكم ، وأطلب منكم نشر هذه الرسالة في إحدى اعدادكم القادمة ، والهدف من نشرها تجنب قراءكم من الوقوع في خطأ ، من السهل الوقوع فيه .

ان نص العرض يوحي بأنني فندت حجج الخصم وبأنني أجبت على هجوماته في حين أن محاميّ قد اقتصر على وضع الخلاصة المكتوبة التي أرسلتها له من الجزائر والتي أكدت فيها وجوداً حقيقياً لشركة واعلان الملكية الخاصة على جريدة «المراقب» .

ثم يؤكد بأنه طلب من محاميه أن يتغيب عن أي رد انتظاراً إلى تحويل القضية أمام محكمة الاستئناف بطلب منه عندما يبلغه الحكم وعندئذ يفاجىء الجميع بالحقائق الكاملة عن الشركة والاكتتاب والرقم الحقيقي للمشتركين في هذه الجريدة .

ويقدم وعداً على أنه سيكشف أشياء مدهشة على أصل وطبيعة المصادر والامكانيات التي عاشت بها «المراقب» حتى تاريخ 5 اكتوبر تشرين الأول ، وكيف استرجع بعضهم اكتتابه قبل أن تتوقف الجريدة عن الصدور .

اقتصر المسيو «بيهاغل» رده على الحكم بهذه الرسالة ثم قدم للجريدة ـ بريد الجزائر ـ نسخة من قرار الوالي السابق عام 1862 وكذلك نص الموثق وهو مسجل بتاريخ العاشر من نفس الشهر وطلب من مدير الجريدة نشرهما . (*) وهذا نص قرار الوالي . «نظراً لمرسوم 17 فبراير 1852 ».

نظراً للطلب المقدم من طرف المسيو بيهاغل بتاريخ 17 يناير كانون الثاني 1862 للحصول على رخصة احلاله محل المسيو بروك صاحب ومتصرف الجريدة السياسية البليدية المراقب في الصفة والحقوق والمنافع التي تنازل له عنها هذا الأخير ، بقرار من الحاكم العام بتاريخ الثالث من اغسطس الأخير .

ونظراً للتنازل الاختياري من طرف المسيو (بروك) إلى فائدة المسيو (بيهاغل) يقرر ما يلي :

(*) قرار الحاكم العام . .

المادة الأولى : المسيو «بيهاغل» رئيس تحرير الجريدة السياسية المراقب ، قد حل محل المسيو (بروك) بصفة مالك ومتصرف للجريدة المذكورة ، طبقاً لما نص عليه القانون واللوائح التنظيمية الخاصة بنظام الصحافة .

المادة الثانية : الرخصة الممنوحة سابقاً للمسيو بروك قد وقع تمديدها .

حرر بالجزائر يوم25 يناير 1862
الامضاء دومان تنحبر

ملاحظة : ولقد نشر نص التوثيق المسجل بالبليدة والذي تنازل بمقتضاه Brock بروك إلى بيهاغل مع قرار حاكم الجزائر .

سابعاً : تعاليق الصحف حول هذه القضية :

فاذا كانت صحيفة المراقب قد أحدثت ضجة بتوقفها عن الصدور ودهشة في أوساط البليديين محلياً ، فانها قد أحدثت ردود فعل في عالم الصحافة على مستوى الوطن ، الأمر الذي أدى إلى تعاليق صحافية مختلفة في شرق الجزائر وغربها .

بالنسبة لجريدة «المستقبل» (L' independant) القسنطينية ، علقت في مقال لها حول هذا الموضوع قائلة بتهكم :

(قال لافونطين «لا شيء انها امرأة اغرقت نفسها» انها نشرة جزائرية هي ـ المراقب البليدية ـ وضعت حداً لصدورها بنفسها وتركت بالتقريب هذه الوصية (لا شيء انها جريدة للبحر) .

انه بالتأكيد ليس لنا الحق ان نظهر أكثر اسفاً من صاحب جريدة المراقب البلدية ، ولكن أليس من اللازم أن نلقي بعض الورود على هذا الضريح ونطلب من هذا المتطوع كل تجاربه ؟(*) .

متطوع ! ماذا قلنا ؟

(*) نقلاً عن جريدة «بريد الجزائر» التي نقلت هذا المقال عن زميلتها «المستقبل» القسنطينة يوم26 أكتوبر تشرين الأول عام1862 .

ان زميلنا شرح انسحابه بكل وضوح لكن لا نخطئ في الأسباب التي أدت إلى ذلك واليكم كلمة الوداع :(*)

ثم نشرت كلمة الوداع واستخرجت بعض الملاحظات التي استحقت منها التعاليق التالية :

آلة البخار تقتل الصحافة والفكر

(أليس من المستغرب ، بأن فقدان الجريدة البليدية يرجع إلى إنشاء الخط الحديدي الرابط بين هذه المدينة ومدينة الجزائر ؟ ومعنى ذلك فان الآلة البخارية التي يجي بخارها كل شيء ، بدأت بخنق (المراقب) وقتل الحرية والفكر .

لكن الحقيقة أن الخط الحديدي كان يمكن أن يطور التعبير والفكر لو وجد في البليدة عدد كبير من الرجال الأذكياء لفهم ضرورة وجود نشرة محلية في البليدة .)

نرى جريدة المستقبل تستغرب من حجة الخط الحديدي الذي كان من بين العوامل التي أدت إلى توقف المراقب عن الصدور ، وترى أن البليدة ليس بها عدداً كبيراً من الرجال الشاعرين بضرورة وجود جريدة ومع ذلك كانت هذه الجريدة ترى بأنه من الممكن ولو بقليل من الرجال المتكونين أن ينشؤوا جريدة وصحافيين للدفاع عن مصالحهم المستعجلة :

ولقد ارتفعت أصوات الصحف الأخرى لتعلق على مصير هذه الجريدة ومن بين صحافة الجزائر التي أهتمت بقصة المراقب جريدة صدى وهران L'echo D'oran فكانت نفسها متشابهة مع جريدة «المستقبل» القسنطينية في إبراز قيمة هذه الجريدة الشهيدة في عالم الصحافة وقيادة الرأي العام .

لن يكون صحافياً إلا رجل شجاع

ولقد اكتسبت جريدة المراقب هذه السمعة لدى زميلتها بمقالاتها الرنانة الشهيرة ومواقفها من الادارة والسياسة ، ومن جملة مواقفها انها كانت داعية ومطالبة لابدال مقر العمالة* من مدينة الجزائر إلى مدينة البليدة .

(*) راجع كلمة الوداع (L'Independant) الصادر في يوم 10/٪ 1862 ص 1 / ع/4.

* المحافظة

ونظراً لمقالاتها المركزة قالت فيها جريدة المستقبل (منذ بعض الوقت كتبت «المراقب البليدية» مقالاً من أروع ما كتب من المقالات مطالبة بابدال مقر العمالة للبليدة وانها نظرة تستحق الدفاع وقد وجدت من يناصرها) .

أما بالنسبة لتوقف المراقب عن الصدور ومن سيخلفها من الجرائد فتسأل الجريدة القسنطينية عن التنافس الذي سيقع بين كل من جريدة : (الممرن) الجريدة الرسمية وبريد الجزائر وجريدة الأخبار التي وقع التنازل لها عن هذا الميدان . مؤكدة بأنه من يعتقد بأن «الممرن» و «بريد الجزائر» سيتركان المكان «للأخبار» يكون مخطئاً في اعتقاده ، ثم تدعو إلى تشجيع من يقوم بمحاولة إنشاء جريدة فتقول :

(يجب جمع بعض القلوب وبعض الطاقات من أجل مناصرة نشرة ضرورية ومن أجل اعانة الرجل الشجاع الذي يحاول خلقها ومتابعة اصدارها . ان مثل هذه الجهود تبدو أكثر من طاقات البليدة .

ولقد أعطت مراكز الاستيطان المثل الصالح للاقتداء ، وانه دون الرجوع كثيراً إلى الوراء يمكن أن نذكر (الجزائر الجديدة) التي كانت تموَّن لمدة طويلة من طرف اصدقائها .(*)

لقد ماتت وهذا صحيح ولكن تحت الصواعق الحكومية . بعد هذا يحاول صاحب المقال مقارنة الصعوبات التي تعرضت لها جريدة المراقب والعراقيل التي عرفتها زميلتها المستقبل (L'ndepenaant) التي لو لم يساعدها اكتتاب سكان قسنطينة لتعرضت لنفس المصير ، لذلك كان يرى من الضروري أن تلتقي بعض القلوب وتتوحد بعض الطاقات من أجل إعانة رجل شجاع لاصدار نشرة ضرورية .

وبالرغم من أن صاحب المقال ـ المسيو مارل (Marle) كان قاسياً في تعليقه هذا على المسيو بيهاغل إلا أنه ألقى المسؤولية على الجميع لعدم مد يد المساعدة لهذا الأخير ، ثم اختتم تعليقه قائلاً : (ونقول باخلاص إن البليدة ليس لها أن تندم لمشاهدة جنازة جريدة المراقب ، وانه في جميع الحالات فان هذه النشرة تستحق مصيراً أحسن) .

أما بالنسبة لصحف العاصمة ولنأخذ رأي (بريد الجزائر) فانها وان كانت نشرت تعليق «المستقبل» إلا أنها رفضت التسرع بالحكم لا على المدعين ولا على المدعى

(*) أنظر «بريد الجزائر» التي نشرت هذا التعليق في أوكتوبر 1862 نقلاً عن المستقبل القسنطيني .

عليه ، وتركت أمر الدفاع وشرح أسباب توقف الجريدة لمن يهمهم الأمر ، ولذلك علقت على تعليق المستقبل قائلة : (اننا بنقلنا لهذا المقال لزميلنا القسنطيني ، نعتقد اننا نؤكد له بأن الأمور لم تسر كما كان يتصور وأنها قد تكون أحسن من ذلك .

كما أنه يكون من الأحسن للرجال الأفاضل الذين أسسوا وناصروا «المراقب البليدية» أن يشرحوا دفاعهم . هذا الدفاع الذي لم نتسلم منهم مهمة القيام به وعلى كل حال فان الحالة الوحيدة التي يمكن أن نتهمهم بها هي الضياع أو اللامبالاة بالجريدة ـ شارل دوغيرل .)

هكذا علقت الصحف في حينها وكان لكل صحيفة رأي . وإذا عرفنا من خلال هذه الصحف وجود جريدة باسم المراقب كانت تصدر بالبليدة وعاشت سنة من الزمن فاننا لم نعرف ماذا كان حكم محكمة الاستئناف بالعاصمة على النزاع الذي قام بين رئيس تحريرها وبين بعض المساهمين في إنشائها .

تلك هي جريدة المراقب وذاك هو رئيس تحريرها .

البحث العاشر

صحف المدينة

أولاً جريدة المتيجة (Metidja)

ومادمنا نتحدث عن جريدة بليدية ـ المراقب ـ يستحسن أن نعرج بالحديث على جريدة أخرى بليدية أيضاً كانت تصدر بنفس المدينة وفي نفس التاريخ هي جريدة «المتيجة» (Metidja) .

كانت هذه الجريدة تصدر بالبليدة وفي طابع غير الطابع السياسي(*) .

وفي شهر اكتوبر تشرين الأول 1863 تحصلت على رخصة لتتحول إلى جريدة سياسية ذات الملكية الخاصة ـ أي مؤسسة خاصة تكونت من مساهمين ـ وكان يديرها ويشرف عليها فرنسي يدعى غريباس إلا أن عهدها لم يطل لأن الأمور لم تستمر كما كانت بل تغيرت شيئاً فشيئاً وما كاد يصل شهر ديسمبر من نفس السنة حتى تغيرت الأوضاع ـ أوضاع الجريدة ـ بسبب تدخل شبه رسمي لشخصية بليدية هامة ، وعلى أثر هذا التدخل وافقت المتيجة على أن توقف صدورها وقتياً ، ولسنا ندري ما إذا استأنفت الصدور بعد هذا التاريخ أم لا ؟ .

أما الذي أؤكده هو أنها كانت تصدر أيام صدور جريدة المراقب وقد أشار إليها المحامي (باجيس Pagès) محامي خصوم «بيهاغل» رئيس تحرير المراقب عند محاكمته أمام محكمة البليدة الابتدائية .

أشار إليها ضمن تدخله أثناء مداولات المحكمة في شهر اكتوبر عام 1862 .

(*) لم أتمكن من الاطلاع على مجموعتها ولا على نسخة منها ولا على تاريخ صدورها أو توقفها . وإنما اعتمدت في جمع المعلومات حول هذه الجريدة مما كتب عنها في الصحف التي عاصرتها في كل من مدينة الجزائر العاصمة ومدينة البليدة .

أما بالنسبة للتوزيع والانتشار في هذا التاريخ فقد كانت جريدتا «الممرن» و «الأخبار» وحدهما يوزعان 3000 نسخة على مشتركيهما وكانت جريدتا المتيجة والمراقب البليديتان توزعان على مشتركيهما 300 نسخة فقط .

ثانياً ـ جريدة الاقتصاد الفرنسي : L'economie Francaise

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى جريدة ثالثة اختصت بشؤون الاقتصاد . ولذلك فهي تدعى «الاقتصاد الفرنسي» . صدرت هذه الجريدة في أواخر شهر سبتمبر ايلول أو في مطلع اكتوبر 1862 .

ولقد أشار إليها رئيس تحرير المستقبل في مقاله حول توقف جريدة المراقب ، ولكنه لم يذكر مكان نشأتها . إلا أنه لاحظ بأن صاحبها ويدعى ديفال (Duval) قد أنشأها وطلب لها الاكتتاب من المستوطنين الفرنسيين وتمنى أن يجيبوا على هذا النداء الموجه اليهم * وشجعهم على هذا الاكتتاب بقوله :

(ففي أمريكا وبريطانيا وبلجيكا وسويسرا يناصرون بعضهم بانشاء الشركات التي لا تتراجع أمام أية تضحية عندما يكون الأمر نشر مبدأ أو فكرة حقيقية) .

وحتى هذه الجريدة أيضاً لا نعرف مكانها ولا تاريخ صدورها أو توقفها عن الصدور ، وان غاية ما تأكد لنا هو انها صدرت بالفعل في مكان ما بل في مدينة ما البليدة ؟ بأرض الجزائر .

والغالب على الظن أنها أنشئت بمدينة البليدة وبعنوان الاقتصاد البليدي (L'observateur) de Blida

ونتساءل أخيراً لماذا هذه الضجة الكبرى حول توقف صحيفة بقرار من صاحبها ؟

وجوابنا على ذلك هو أن هذه الضجة ان دلت على شيء انما تدل على أنهم ناس كانوا يعرفون ما للصحافة من أهمية ، الأمر الذي دفع بهم إلى المطالبة بالاكثار من انشائها بين المستوطنين حتى تصبح في كل مدينة جريدة ، وهو أمر توصلوا إلى تحقيقه بعد حين .

(*) راجع «المستقبل» أو «بريد الجزائر» التي نقلت عنها في شهر أكتوبر تشرين الأول عام 1862 .

ثالثاً ـ بهاغل ونشاطه الصحافي

«بهاغل» هذا الصحافي المغامر أنشأ بالاشتراك مع جماعة صحيفة في البليدة وهي الصحيفة السابقة التي تعرضنا لها بالدرس (L'observoteur) ثم انسحبوا عليه وتركوه وحيداً ، وكان عليه وهو وحيد أن يواجه جبهتين في آن واحد :

· جبهة المصاعب المادية التي تخلقها طبيعة هذه الجريدة .

· وجبهة أعدائه من السياسيين والرأسماليين وعلى رأسهم الاستعماري الكبير موغان (Mougin) ، ومع ذلك استطاع أن يخوض المعارك وحده ضد هاتين الجبهتين مدة سنة كاملة ، ثم اضطر إلى توقيف جريدته والانتقال إلى مدينة الجزائر لينضم إلى فريق تحرير جريدة «الأخبار» ليأخذ فيها بعد حين مكان الصدارة .

انضم هذا الصحافي إلى جريدة الأخبار ابتداء من شهر اكتوبر تشرين الأول عام 1862 وكتب فيها المقالات والتعاليق الطوال ، ولقد كان يتطرق إلى السياسة الأوروبية في كثير من افتتاحياته بالجريدة المذكورة ، كما كان يتطرق إلى المشاكل الداخلية مثل الضرائب ، وهي قضية تعرض لها باسهاب وطلب بتشجيع المشروع الذي يعده الدوق دومالاكوف(1) وقال ان توحيد الضريبة بين الأوروبيين والأهالي أمر من شأنه أن يقيم العدالة بين السكان ، وأن الضريبة العربية التي ما زالت حتى الآن ما هي إلا من مخلفات ما فرضه الغالب على المغلوب(2) .

ورأى بأنه إذا توحدت الضريبة بفرضها على الملاكين من معمرين وعرب ، سيستفاد من ذلك المعمرون من جهة وينضم الينا العرب من جهة ثانية لأنهم ينظرون إلى الضرائب العربية بكثير من الاشمئزاز .

ولقد أثار موقفه هذا ضجة كبرى في بعض الصحف ومنها صحيفة «بريد الجزائر» (3) التي انتقدته بشدة في مقالات عديدة ، وكان رده عليها بأسلوب المؤمن بما يقول

---

(1) كان مالاكوف حاكم للجزائر وكان بصدد إعداد مشروع يقضي بتوحيد الضرائب على الأملاك العقارية بما فيها الملاكين الأوروبيين .

(2) راجع جريدة الأخبار ليوم30 أكتوبر1862 ص1 ع4 وص2 ع1

(3) راجع ما كتبناه عن هذا الموضوع في جريدة «بريد الجزائر» . في الفصل الثالث البحث الثامن

الواثق من نفسه ، لذلك رد على الجريدة المذكورة بتعليق صغير مع نشر مقال طويل نقلاً عن جريدة (النّقاش)(Dèbats) الباريسية الذي ملأ نصف الصفحة من صفحات الأخبار الكبيرة الحجم وكان هذا المقال عبارة عن دراسة عميقة للضرائب في الجزائر اعتمد فيه صاحبه على الأرقام الرسمية والواقعية .

ومن خلال قراءة النص نعرف أن «بيهاغل» أراد من نشره ، تفنيد منتقديه من صحفي «بريد الجزائر» .

وهكذا كان هذا الصحافي . . . إلى أن أعلنت الجمهورية في فرنسا فاستدعى من طرف النظام الجديد إلى فرنسا ثم عين عاملاً* على أحد العمالات الفرنسية وأثار هذا التعيين حملة من الاحتجاجات من طرف أعدائه في الجزائر وخاصة من طرف عدوه الكبير(Mougin) ومن هذا التاريخ 1871 انقطعت عنا أخباره .

وخلاصة القول : ان هذا الصحافي كان من أكبر قادة الفكر بين أوساط الجالية الأوروبية في الجزائر ، ولقد كتب في كثير من الصحف التي صدرت في الجزائر أو التي كانت تصدر في المدة ما بين1855 و1871 .

---

* محافظا على إحدى المحافظات الفرنسية .

البحث الحادي عشر

جريدة التـــل « LE TELL »
جــريدة الســياسة ومصــالح المعمرين
(1850 — 1963)

التـل جـريدة بليديـه عمـرت طويلاً حتى احتلـت منصـب «عميـدة» صحف ولاية مقاطعـة الجزائـر عاشـت حوالي تسعـين سنة

كانت تصدر في مدينة البليدة ، مثل جريدة «المراقب» التي سبق لنا الحديث عنها .

فلقد ظهرت هذه الجريدة الى الوجود ، في الوقت الذي امتد فيه خط السكك الحديدية الرابطة بين مدينة الجزائر ومدينة البليدة عام1862 ، اثر توقف جريدة «المراقب» التي كان يشرف عليها الصحافي الشهير «بيهاغـل» وكذلك إثر توقف صحيفة «المتيّجة Le Metidja» وقد أنشأها في مدينة «الـورود*» فرنسي يدعى «أ ـ

* مدينة البليدة تسمى أيضاً مدينة الورود لكثرة انتشار الزهور فيها

موغان A. Mauquin » وقام بتمويلها نفس الشخص(1) خدمة لسياسة ومصالح المعمرين بالمنطقة .

ظهر العدد الاول منها عام 1863(2) ثم انطلقت تصدر بانتظام مرتين في الاسبوع أي يومي الاربعاء والسبت من كل اسبوع . منطلقة من مكتبها في ساحة الاسلحة ـ ساحة الشهداء حاليا ـ بالبليدة وتوزع في كل قرى ومدن سهل متيجة الواسع الأطراف ، ومدينة الجزائر(3) .

ولقد كانت هذه الجريدة ككل الصحف المعاصرة تصدر في أربع صفحات مقسمة الى أربعة أعمدة . والصفحة الأخيرة مخصصة للاعلانات ، والاشهار ، من كل نوع . أما الصفحات الداخلية فقد خصصت في السنوات الاولى من عمرها الطويل الى السياسة والتعاليق ، والمسائل القضائية . وكان حجمها في السبعينات كحجم جريدة الشعب الجزائرية اليومية حاليا . أي الحجم العادي للصحف اليومية . وإذا كان منشؤها هو الاستعماري الكبير «موغان Mauguin » فان رئاسة تحريرها قد اسندت الى صحافي مقتدر يدعى «مارطو Marteau » أي «المطرقة» . ولقد كان بالفعل مطرقة في ميدان الرأي .

وبفضل هذا النفوذ الواسع الذي اكتسبه نتيجة لتلك الأموال تمكنت جريدة التل ان تأخذ طريقها في عالم الصحف مطمئنة على مستقبلها من العواصف التي كانت وما تزال تهوي بالصحف الى الهاوية .

---

(1) موغان A. Mauquin أحد غلاة الاستعمار في المتيجة كان ملاكاً كبيراً يحتكر المزارع والمخازن والتجارة في مدينة البليدة ومنطقتها ، وكان يملك مطبعة كبيرة لطبع الجريدة المذكورة من جهة ولطبع المطبوعات الإدارية المختلفة . وبالإضافة إلى هذا فلقد كان موغان من بين الشخصيات الاستعمارية البارزة في عمالة الجزائر حيث كان نفوذه واسعاً الأمر الذي جعله يصل إلى احتلال مقعد في مجلس الشيوخ الفرنسي كنائب عن الجزائر . وذلك بفضل هذه الأموال الطائلة التي استحوذ عليها بطرق غير شرعية .

(2) لم أتمكن من معرفة اليوم الذي صدر فيه أول عدد ولا الشهر بالضبط ، لأن مجموعتها غير موجودة لا بالمكتبة الوطنية ولا بالمكتبة البلدية بالبليدة . وغاية ما هنالك أنني عثرت على أعداد من سنة 1870 ومجموعة 1874 وقد مر على صدورها أحد عشر عاماً ، وأخيراً عثرت على مجموعة نسخ للأشهر الأخيرة من سنة 1950 وقد مر على صدورها سبع وثمانون عاماً من الزمن .

(3) كانت الاشتراكات فيها لمدة سنة : بالجزائر والبليدة 15 فرنكاً ، وفي فرنسا والخارج 20 فرنكاً .

ولقد كانت جريدة التل ذات طابع محلي جهوي لا يتعدى نفوذها حدود عمالة العاصمة.ومع ذلك فقد كان لها مراسلون هنا وهناك وكان أحدهم يراسلها بانتظام من العاصمة الفرنسية حيث كان يكتب لها باستمرار مقالات تمكن قرائها من القاء نظرة على التطورات التي حدثت وتحدث في أوروبا . وبالاضافة إلى ذلك كان يقدم عرضا للصحافة الباريسية كما كانت تعلق على أهم القضايا الراهنة .

الاداريــون يكرهــون الصحــافة

واذا كنا لم نعرف مواقفها السياسية من القضايا العامة في السنوات العشر الاولى من حياتها فاننا بناء على موقفها من قضية «جريدة التضامن Solidarité » والانذار الموجه إليها عام1867 من طرف الادارة على اثر مقال ندد فيه صاحبه بتقصير الادارة في اسعاف العرب خلال المجاعة الكبرى (1863—1867) التي كان سببها الاستعمار والاحتلال والتي أودت بحياة نصف مليون جزائري ـ نستطيع أن نرتب فريق تحريرها بجانب المستقلين ذوي الميول التقدمية وفي مقدمة هذا الفريق رئيس تحريرها «مارطو Marteau » الذي كتب معلنا ان الاداريين الفرنسيين في الجزائر يكرهون الصحافة ويدعم قوله هذا بالاجراءات الادارية الصارمة التي اتخذتها الادارة ضد الصحف والصحافيين .

وكانت الادارة في هذه السنة بالذات قد اتخذت عدة قرارات بحجز بعض الصحف ومنعها من الصدور . والسبب في ذلك هو ان الادارة الفرنسية نظمت الانتخابات للمجالس البلدية ودخلت الصحف في معارك الانتخابات كل واحدة حسب ميولها وما تدافع عنه من مبادىء . وفي هذا الإطار هاجمت الصحف بعض المترشحين وكان الهجوم شديداً على مترشح لمنصب شيخ بلدية الجزائر وكان يدعى «بلاسيل Blasselle » .

جــريدة تتسبب في اعلان الطوارىء

وكانت من الجرائد التي شددت حملاتها عليه جريدة تدعى «Solidarité التضامن»(*) فأسرعت الإدارة لحمايته باتخاذ قرار : يمنع الجريدة المذكورة من

(*) «Solidarité» هي جريدة تمثل عدة اتجاهات جمهورية وقد انشئت على أثر ادماج عدة صحف ـ كانت ناطقة بلسان هذه الاتجاهات ـ في صحيفة واحدة باسم «Solidarité » وكان من بين كتابها صحفيين مشاهير .

الصدور من جهة ، واعلان حالة الطوارىء من جهة ثانية . وهو قرار لم يسبق للصحافة أن عرفت مثله عبر مراحل تاريخها الطويل .

وكانت إدارة الاحتلال ـ وعلى رأسها الجنرال «شانزي Chanzy» تعتقد أنها ستقضي ، أو على الأقل ، ستوضع حداً لتلك الحملات الصحافية عليها وعلى مترشحيها ، لكن النتيجة كانت عكس ذلك أي أن الصحف تضامنت مع جريدة «Solidarité» كل حسب نظرتها إلى الرأي العام وحرية الصحافة . فكانت جريدة «التل» في مقدمة هذه الجرائد ، فناصرت بشدة موقف رئيس تحرير جريدة «Solidarité» وكان يدعى «لورو» وموقف جريدته.وهاجمت بدورها ، وبأسلوب عنيف ، شيخ بلدية الجزائر وسياسة الجنرال شانزي ، الحاكم المدني بالجزائر ، في مقال طويل بعددها الصادر يوم 8 ابريل (نيسان) عام 1874 . وكان هذا المقال العنيف بقلم رئيس تحريرها «مارطو» الذي قال ان الصحافة لم تعرف في عهد غيدون «Gueydon» والامبراطورية ما عرفته في عهد شانزي Chanzy والجمهورية .

وبالفعل فإنه أي شانزي هو الذي أحدث محاكم من 5 خمسة أعضاء تقرر بالأغلبية الحكم النهائي على الصحافة .

واستعمل «مارطو» في انتقاده اللاذع ضد شانزي صاحب قرار اعلان حالة الطوارىء على مدينة الجزائر بسبب هجوم الصحف على شيخ بلديتها ـ فقارن بين ما كان الوضع عليه في عهد المرشال غيدون وما أصبحت عليه الصحافة في ظل حكم هذا الوالي في عهد الجمهورية .

ونظراً لخطورة قرار الوالي الذي قد يمثل سابقة خطيرة بالنسبة لحرية الصحافة ـ تدخلت في الموضوع الصحافة الصادرة في فرنسا وعلى الخصوص الصحافة الباريسية وأخذت بالتعليق «اعلان حالة الطوارىء» ضد الصحف في الجزائر ، فكانت تعاليقها كثيرة .

وتساءلت كل من جريدة (Le Rappel et l'égalité) قائلتان (كنا نعتقد بأنه يوجد في الجزائر عدالة وقضاة ، وان الصحف تخضع لها في حالة تجاوز القانون ـ لكن ما ظهر أخيراً يدعو إلى التساؤل : اما أنه ليست هناك عدالة واما أن الصحف ليست ظالمة ، فلم تتدخل العدالة ، واتخذ الحكام مثل هذا القرار ؟

بعـض الصحـــف

أما بالنسبة لرئيس تحرير جريدة التل Le Tell فإنه لم يتساءل يومها مثل L'Egalité و Le Rappel انه لاحظ بأن الإدارة قلقة من قرار حالة الطوارىء فاضطرت إلى البحث عن مبررات لاجراءاتها هذه .

ونكاية في الإدارة ـ على موقفها كتب مقالاً تحت العنوان السابق نختصر منه ما يلي :

«السيد الجنرال شانزي قلق جداً كما نعلم من جراء حالة طوارئه ، لأروقة «مالاكوف» : والذي اضطر إلى طلب ابقائها . ويحاول من حين لآخر تبرير موقفه الذي لم يوافقه عليه الكثير من رجال الفكر ، ان غرفة التجارة بعنابة احتجت ضد هجومات بعض الصحف الفرنسية . فاغتنم السيد الجنرال الفرصة ليبرر موقفه باعترافه ببعض الشتم الموجه إلى المعمرين والتهم الكاذبة فقال :

إنني لا أستطيع إلا أن أقف بهذه المناسبة وأندد بهذه الهجومات الموجهة ضد كل سلطة . إن هذه الانتقادات لهي ضد التقدم . وان هذه الخصومات ستحول الحقيقة . . .

هناك جزء من الصحافة الجزائرية هي التي تلقي القدح على الوطن الذي كان عليها أن تعرف به وتحببه ، ونظراً لذلك ، وقبل كل شيء فإنها الوسيلة الشرعية والمضمونة وإن الصحف التي أقصدها كانت تكون الأولى التي تقدم التعقل في لهجتها والاخلاص في تقديرها . وانني سأكون سعيداً إذا استعملت الغرفة التجارية التي حافظت على المصالح الكبيرة ـ نفوذها لتحقيق هذا الهدف وانها ستعين على تهدئة الخواطر التي أسعى إليها ، والتي أريد تحقيقها بالاقناع بدلاً من استعمال الوسائل الزجرية ، ولكن مع ذلك ألتجأ إليها من أجل مصلحة البلد الذي ألقيت على مسؤ وليته عندما يتطلب الأمر تحقيق الأمن وابعاده عن الخطر .

إن الصحافة هي سبب كل مرض يحدث وهي التي تقدح في الوطن وليست حالة الطوارىء» .

بيد أننا نستطيع أن نرد بأن الجرائد الجزائرية لا تقرأ في فرنسا إلا على نطاق ضيق أو مجهولة تماماً في أوروبا . أما حالة الطوارىء التي تقيدنا فإنها لم تكن مجهولة في أي

مكان اللهم إلا جريدة واحدة والفضل في تعريفها يرجع للمسيو الجنرال شانزي فقد تحصلت على بعض الشهرة وهي La Solidarité ولكننا لم نحظ بقراءتها فعندما أحببنا ذلك جاءت حالة الطوارىء واحتجزتها» .

هكذا نرى المسيو «مارطو» ينقل بأمانة أفكار الحاكم العام المدني وتخوفاته واتهامه للصحف ومحاولة ايجاد المبررات والتأييد ولو من تصريح لا قيمة له صادر عن غرفة تجارية ، ثم يرد عليه مؤكداً أن الصحافة لم تضر الوطن ولم تمس بسمعته مثل ما ألحقت حالة الطوارىء من ضرر بسمعة هذا الوطن . وفي الوقت الذي لم تعرف فيه أوروبا شيئاً عن الصحافة في الجزائر عرفت الكثير عن «حالة الطوارىء» وهو في أسلوبه هذا يقارن الحجة بالحجة والدليل بالدليل ويقارن ما لهذا وما لذاك من أضرار على الوطن .

ثم يعقب حديثه هذا بالحكم على ان الاداريين الفرنسيين يكرهون الصحافة لأنها تكشف عن اغلاطهم واخطائهم على حسابها

ومن تحليله للوضع الراهن يرجع الى الوراء إلى سنوات مضت ليأتي منها بأدلة تأكيدا على ما يقول . لذلك يؤكد بأنه في عام 1867 تعرضت جريدة بريد الجزائر Courrier de L'Algérie إلى محاكمة بالسجن وبغرامة . لأنها تحدثت عن الجوع والمجاعة وكانت جريدة التل Le Tell أسعدها حظا يومئذ لأنها لم تتعرض إلا لانذار جاءها في صورة اشعار من طرف الجنرال قائد المنطقة وهو انذار جاءها على أثر نشرها خبر مفاده ان العرب يموتون جوعا في شوارع البليدة وقالت ان الاربعمائة الف التي خصصت لهم في البليدة لا تسمن ولا تغني من جوع وطلبت من الهيئة التشريعية النجدة السريعة لتلك العائلات لكن الجنرال فيمبفن winpffen وجد في هذا الخبر تجريحا للادارة الاستعمارية الأمر الذي جعل هذه الادارة توجه للجريدة وصاحبها انذار على التجريح وافشائه هذا السر .

ان المسيو (مارطو) رئيس تحرير جريدة (التل) بمقاله هذا يكشف لنا سرا من اسرار تاريخ الادارة الاستعمارية في الجزائر وتثبيت مسؤولياتها الكاملة في ضياع خمسمائة الف جزائري أيام المجاعة الكبرى . وانه بهذا المقال الذي كتب بعد المجاعة بثمان سنوات لا يترك مجالا للشك بان الادارة الفرنسية إدارة الاحتلال كانت عارفة وعالمة ـ

بالكارثة والدمار المحدق بشعبنا ولكنها لم تحرك ساكنا لتقديم المساعدة والعون للعائلات الجزائرية الجائعة المريضة وعندما تثور انسانية بعض الصحف مثل «التل» «وبريد الجزائر» احتجاجا على هذه المعاملة اللاانسانية ترد عليها الادارة اللعينة بالانذارات والمحاكمة والسجن والغرائم .

وكأنها كانت تقول للصحف دع المجاعة ، تكفينا مهمة القضاء على هذا الشعب المقاوم لنتمكن من احلال شعب آخر أوروبي محله . ودليلنا في هذا التحليل هو ما اشتهرت به هذه الفترة بالذات من محاولات عديدة لتغليب العنصر الاوروبي على أهل البلاد الاصليين وقد اعتبر ذلك من طرف الجميع بما فيهم الصحف هو الشرط الاساسي لابقاء الوجود الفرنسي في الجزائر الى الابد .

ولقد كانت الادارة تريد ؟ وكانت الصحف تريد ؟ وبين ما تريده هذه وما تسعى اليه تلك بون شاسع جعل كل منها تحتفظ على مركزها تجاه الثانية . وبقى الصراع مستمرا ولذلك قال (مارطو) ان سلف الجنرال شانزي كان ايضا يتشكى من هجومات بعض الصحف . وان ذلك ما هو الا كليشيهات مكررة ثم ينصح الجنرال شانزي بكتابة رسالة اخرى يوضح فيها للصحف التي يقصدها . وانه بلاشك لم يقصد جريدة التضامن Solidarité لأنها محجوزة وحجزها ناتج لا لصداها في اوروبا لهجومها على شيخ بلدية الجزائر وانها لو لم تهاجم لبقيت حية ترزق (*) وبالاضافة لما كانت تكتبه في مكاتب تحريرها تأييدا ومناصرة لجريدة(التضامن) فانها كانت تنقل مايكتب عن هذه المسألة وتختار في ذلك أقوال السياسة ورجال الفكر . من ذلك انها نشرت نص رسالة بعث بها (كريميو) الى جريدة فرنسية وفيها يلوم حاكم الجزائر على قراره الأخير وما كان يسعى اليه (كريميو) هو ادماج الجزائر في فرنسا . وأنه بحجز الجريدة واعلان حالة الطوارى على مدينة الجزائر قد هدم هذا البنيان وقدم خدمة كبرى ضد سياسة الادماج . . .

وقد نشرت الرسالة ـ نقلا عن الصحيفة الباريسية ـ مع تعليق مركز .

(*) راجع مقالة المشار اليه في جريدة «التل» ليوم8 ابريل نيسان)1874 ومجموعة هذه السنة موجودة بالمكتبة الوطنية تحت الرقم التالي(158,943)

بعض مواقفها

كانت جريدة (التل) تختلف مع (الاخبار) ومع جريدة (الممرن) في كثير من الاحيان .

تارة يثور الخلاف حول الخدمة العسكرية بالنسبة للمعمرين واليهود (*)

وتارة يثور الخلاف عندما تنشر الاخبار ركنا معينا جديدا مثل تقديم عرض عن الصحف الصادرة بالجزائر والتعليق عليه وهو حق لا تعترف به (التل) للاخبار

أبوابها - ومحرروها

أبوابها القارة :

بالأضافة الى التقسيم السابق الذكر فانها كانت تنشر موادها تحت اركان قارة هي الآتية .

- البرقية التليغرافية - في صدر الصفحة الاولى -
- نشرة جزائرية تمثل - الافتتاحية في ايامنا وتصف بعض البرقيات .
- المراسلات الباريسية وتقدم فيها ألاحداث الاوروبية مع معرض الصحافة الباريسية .
- اخبار عامة .
- الجزائر . وينشر تحت هذا الركن طائفة من الاخبار المحلية
- المجلس العام . ينشر في هذا الركن نشاط المجلس العام .
- تعليق فلاحي . يتطرق فيه صاحبه الى الاخبار الفلاحية .
- الاعلانات وتحت هذا الركن تنشر الاعلانات
- التعليق السياسي

هذا بالنسبة للأبواب القارة مع الملاحظة بان جريدة (التل) لم تستعمل مثل الجرائد الاخرى طريقة نشر المسلسلات أو الروايات المسلسلة .

كانت تهتم بالشعر والادب والموسيقى والمعارض حيث كانت تنشر دائما قطعا شعرية ومقالات عن المعارض المختلفة (سبرك وغيره) ودائما في هذه الحقبة من التاريخ ، فاننا نجد مجموعة من الكتاب الصحافيين الذين كانوا يكتبون فيها .

(*) راجع «التل» ليوم 2 اكتوبر 1874 السنة الحادية عشرة .

وهم :

— Martarn
— H. Capitàine
— Paul Rourrain
— Arthure Rousse

— J. Lawal
— Haffaf
— W Marial

من هؤلاء اشتهر المدعو حفاف بالكتابة عن أخبار «السيرك» وكابتان بالمرسلات الباريسية . و«مارطو» وهو رئيس التحرير كان يكتب الافتتاحية والمقالات الرئيسية ويكتب الباقون في المتنوعات .

ثم نطوي السنين

ونظرا لعدم وجود مراجع أساسية تمكننا من متابعة حياة هذه الجريدة على امتداد طول سبع وثمانين سنة نجد أنفسنا مضطرين الى طي السنين طي الكتاب لنصل الى عام1950 وفي هذه السنة نجد أنفسنا أمام (جريدة التل) التل وقد غير الدهر من أهدافها وأسلوبها وفريق تحريرها .

وصلت الينا نسخ من الستة أشهر الاولى لعام1950 وهي تحمل أعداد8213 . وقد عاشت87 سنة .

وقد بقيت طوال هذه المدة تصدر في البليدة . الا انها غيرت حجمها واستبدلته بحجم يشبه حجم (لوموند) حاليا وتصدر في8 صفحات واربعة أعمدة مع صور واخراج أنيق في ورق رفيع .

بقي عنوانها كما كانت عليه من قبل الا أنه أضيف اليه الكلمة الآتية :

«عميدة صحف مقاطعة الجزائر» وتصدر في البليدة يوم السبت من كل اسبوع .

وتغير هدفها فاصبحت جريدة للاعلانات بما فيها الاعلانات الرياضية مع مسلسل كاريكاتوري للأطفال .

ـ الكلمات المربعة ـ والحديث عن بعض الذكريات كنزول الحلفاء على شواطئنا عام 1942 .

وفي هذا التاريخ فان اهميتها بقيت في كونها عميدة صحف المقاطعة .

وكان آخر مديريها يدعى Bulinger

وأخيرا لا نستطيع ان نؤكد بانها توقفت قبل اندلاع الثورة المظفرة أم توقفت خلالها ؟ هذا ما سيكشف عنه بعض الباحثين في مستقبل قريب .

البحث الثاني عشر

صحافة قسنطينة

(1848 — 1900)

والآن نتحدث عن صحافة قسنطينة أي عن الصحافة التي أنشئت في هذه الناحية من أرض الجزائر . وهذا الحديث لا يشمل مدن المقاطعة الشرقية التي سنخصص لها دراسة مستقلة بل نكتفي في هذا الفصل بالحديث عن الصحف التي أنشئت في مدينة التاريخ والأمجاد (سيرتا)* .

كلمة عن قسنطينة :

قسنطينة ، مدينة شهيرة في التاريخ ، شهيرة بالبطولات والأمجاد ، شهيرة بالمعارك والوطنية .

عرفت بإسمين على امتداد تاريخها الطويل . فكان اسمها الأول والأقدم ، وهو كنعاني فينيقي ، (سيرتا) وهذه الكلمة الكنعانية الفنيقية تعني المدينة أو القرية الكبيرة .

استمرت بهذا الاسم الى عهد الرومان حيث أصبحت مستعمرة رومانية ثم خربها أجدادنا اثر ثورة عارمة ودامية على الطغيان فأعاد بناؤها الأمبراطور الروماني «قسطنطين» .

وكان الاسم الثاني : قسنطينة أي اسم الامبراطور الروماني الذي أعاد بناءها ، ومن هذا التاريخ وحتى ايامنا هذه عرفت بهذا الاسم .

---

* «سيرتا» هو الاسم القديم لمدينة قسنطينة .

كانت ، وهي تحتل موقعا استراتيجيا ، كان مهداً للاستقلال الامازيغي ايام الدولة القرطاجنية(1) . وكانت كذلك مهداً للتجارة والثقافة عبر الزمن وفي ظل الدول الاسلامية التي تعاقبت عليها من حماديين وحفصيين وأتراك حتى أصبحت في ظل الأتراك مقراً للولاية الشرقية في القرن السادس عشر .

وفي 12 أكتوبر عام 1837 احتلها الفرنسيون بعد معارك تاريخية تعد من أكبر معارك المقاومة ضد الاحتلال .

وبالرغم من احتلالها عام 1837 . فان الفرنسيين لم يتمكنوا من تحويل هذه المدينة ذات الطابع *الاسلامي العتيق الى مدينة اوروبية مثل ما فعلوا بمدن عنابة ووهران والجزائر ، ولم تستوطنها إلا مجموعة قليلة من الاوروبيين - وهذا ما يفسر ظهور الصحافة الاوروبية متأخرة في هذه المدينة الا في عام 1848 . حيث ظهرت فيها اوّل جريدة فرنسية باسم (2) «جريدة قسنطينة» Journal de Constantine .

الصحف الأولى

جريدة قسنطينة : Journal de Constantine

قلنا (3) . صدرت هذه الجريدة في شهر ابريل نيسان عام 1848 بمدينة قسنطينة على يد شخص يدعى (Guinde غيند) ، وكان يملك مطبعة يؤ منذ أصدرها (بطريق المساهمة) وتظهر مرة كل خمسة أيام . وبذلك يكون المسيو Guinde أول صحافي أصدر جريدة بقسنطينة . وبذلك أيضاً تكون (جريدة قسنطينة) أول جريدة عرفتها مدنية قسنطينة .

والملاحظ ان مدينة قسنطينة بالرغم من أنها المقر الرئيسي لمقاطعة الشرق الجزائري - عرفت الصحافة بعد عنابة التي عرفت هذا الفن عام 1843 وسكيكدة التي عرفت نفس الفن عام 1845 .

وبصدور (جريدة قسنطينة) عام 1848 أخذت تزاحم جريدة (بريد سكيكدة) Courrier de Philipeville وجريدة (السيبوس) Le Seybouse العنابية ، في نشر الأخبار وكذلك الجرائد الأخرى الصادرة في العاصمة مثل «الأخبار» L'AKHBAR وغيرها .

---

(1) كتاب الجزائر للأستاذ توفيق المدني صفحة 216 .

(2) صدرت في شهر أبريل نيسان عام 1848 راجع مؤلفنا (تاريخ الصحافة في الجزائر) ج . 1 . صفحة 154

(3) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب . صفحة 154 .

استمر صاحبها غيند Guind يصدرها بقسنطينة من ابريل نيسان عام 1848 . الى عام 1851 . حيث توقفت عن الصدور . وبعد حين أصدر محلها جريدة ثانية بعنوان «الأفريقي» Africain ـ سيأتي الحديث عنها بعد حين .

عاشت جريدة قسنطينة وحيدة في الميدان طليلة ثلاث سنوات لم نتمكن من معرفة تاريخ توقفها .

نمـــوذج من مـــواقفها

البيـــان المنـهجـــي

كل جريدة جديدة يجب عليها ان تقول ما تريد للرأي العام معبرة عن آرائها ورسالتها لذلك وبناء على هذه القاعدة قالت جريدة قسنطينة في بيانها المنهجي يوم ٣٠ مارس ١٨٤٧ «اننا مستقلين ، ومن اجل البروز لقد انتظرنا قرار الحاكم العام المؤرخ يوم ١٣ مارس آذار الذي اعلن حرية الصحافة في الجزائر(*)» .

والى الذين يسألون عن اهدافنا نجيب تريد ما تريده الحكومة المؤقتة ، ونتبنى كتعبير عن إيماننا الألفاظ التي وردت في بيانها لمعمري الجزائر مع تحفظ لتعبير الاندماج التدريجي حتى نتفق على المعنى الذي نعطيه له ونحن متأكدون من أن أصحاب الاندماج التدريجي والاندماج السريع بانهم متفقون فيما بينهم على الجوهر . . .

وسوف نعود الى هذا الموضوع في عددنا القادم اما اليوم فلنذهب الى ما هو مستعجل . . . هكذا عبرت جريدة قسنطينة باختصار عن سياستها الجزائرية .

وصف للجريدة

كان عنوانها بخط كبير على عرض الصفحة كلها مع عنوان فرعي جاء فيه «بريد فرنسا والجزائر» كانت تصدر اسبوعية في كل خمسة ايام . وكان حجمها كحجم مجلة الشباب الجزائرية حاليا . وكانت تقسم اعمدتها دون مانشيت أما بالنسبة للطباعة فقد كانت تطبع في مطابع «كند» الذي كان متصرفا اداريا لها أما محتوياتها فقد كانت متنوعة حيث كانت تهتم بالانتخابات ومعارض الصحف ، واخبار فرنسا ، ودراسات عن سكان قسنطينة ، ومشاكل الادماج ، ومسلسلات ادبية ، كانت قيمة الاشتراك فيها ٩ فرنكات لستة اشهر ، و١٨ فرنكا للسنة في قسنطينة و١٠ فرنكات لستة أشهر و٢٠

* اعلن الحاكم العام عن قرار الحريات الصحافية في الجزائر بتاريخ ١١ مارس اذار عام ٤٨

فرنكا للسنة في فرنسا والجزائر .

لم تعمر هذه الجريدة طويلا ، وقد عاشت ما يقرب من سنة .؟

ثانياً ـ Progrés de Constantine

بعد «جريدة قسنطينة» صدرت في نفس المدينة جريدة ثانية بعنوان «تقدم قسنطينة» . . . Progrés de Constantine لكن مع الأسف الشديد فاننا لم نعثر لها على أثر ولو على عدد واحد من أعدادها اللهمّ إلا أخبارها الموزعة في صفحات الصحف التي عاصرتها ولكنها أخباراً لا تسمن ولا تغني من جوع ؟؟ .

ثالثاً ـ L'Africain

L'Estafette de Constantine

الافريــــقي

بريــــد قســـنطينة

أنشئت هذه الجريدة في شهر يوليو تموز عام1851 لتحل محل «جريدة قسنطينة» السابقة الذكر . وذلك لكي تلعب دور الادارة المحلية الفرنسية في شرق البلاد مثل ما كان الأمر بالنسبة لبريد وهران التي كانت تصدر في غرب البلاد منذ عام1850 .

بالنسبة لجريدة «الافريقي» . فإن خزائن الكتب والصحف لم تحفظ لنا العدد الأول ولا الأعداد الأولى من هذه الجريدة . ولم يصل إلينا منها بعد ثمان سنوات من صدورها ـ إلا مجموعة السنة الثامنة .

ولقد كان العدد الأول لهذه المجموعة يحمل رقم 342 وقد صدر يوم الثلاثاء الخامس من يناير كانون الثاني سنة1858 (*) .

الاخـــراج

كان اخراجها خاضعاً (لموضة) الاخراج حينذاك ؟؟ إذ كان لها عنوان كبير ـ بحروف كبيرة ـ في صدر الصفحة الأولى محفوفاً على اليمين وعلى الشمال بعناوين

(*) راجع هذه المجموعة بالمكتبة الوطنية الجزائرية .

الاعلانات والاشتراكات وقيمة الاشتراك فيها في الجزائر وفي فرنسا (*) ثم عناوين الكشاكش والمكتبات التي تقبل الاشتراكات فيها في كل من قسنطينة ومدن الشرق الجزائري الرئيسية ، ومن هذه العناوين يتبين أن هذه الجريدة كانت تباع وتقرأ في سطيف وباتنة وعنابة وسكيكدة والجزائر العاصمة وباريس .

ومما مكن هذه الجريدة من الاستمرار والعيش طويلا الامكانيات المادية التي كانت بيد صاحبها Guinde الذي كان يملك مطبعة ومكتبة في قسنطينة وكانت له فروع لهذه المكتبة في الجزائر وباتنة

وبهذه الامكانيات تمكن Guinde من اصدارها اسبوعيا فكانت تظهر للقراء كل يوم ثلاثاء .

التحـــرير والمحـــتوى

بالنسبة للتحرير ، فان صاحبها هو الذي كان يشرف على تحريرها بالاضافة الى ادارتها ، لأنه كان من الكتبيين ورجال القلم ، حيث كانت معظم المقالات بامضائه .

أما بالنسبة لمحتوى صفحاتها فإنها كانت تنشر أخبار الجزائر وفرنسا وأخبار الهند وآسيا ، والقصة المسلسلة .

كانت تنشر هذه الأخبار بأسلوب البرقيات حيث كان أي خبر لا يتجاوز عشرة أسطر . . وبعد التلخيص والايجاز ينتقل من خبر إلى آخر . كما كانت تهتم بالأخبار المحلية والتعريف بالمناطق الصحراوية الشرقية بأسلوب التحقيقات ـ والريبورتاجات . وكانت أيضاً تكتب عن ماضي الجزائر تحت عنوان :

آداب : الجـــزائر قديماً وحـــديثاً — L'Ettérature

L'Algerie Ancienne et Contemporaine

أرخت تحت هذا العنوان ، لدايات الجزائر باختصار وفي حلقات مسلسلة . . .

كما كتبت دراسة عن الجنوب بعنوان رحلة في جنوب قسنطينة ودراسة عن سقوط قسنطينة . . وأخرى عن اليهود الأهالي . . . وتاريخ البايات . ورحلة في القبائل

* قيمة الاشتراكات في الجزائر وفي فرنسا يومها: 20 فرنكاً للسنة عشر فرنكات لستة أشهر وستة فرنكات لثلاثة أشهر .

الكبرى ورحلة في مقاطعة قسنطينة وهلم جرا .

وخلاصة القول في المحتوى - أن هذه الجريدة كانت إخبارية وثقافية في معظم مادتها وليست لها افتتاحية . . وكانت تخصص لصفحة الأخيرة للاعلانات (*) ومسيرتها أيضاً ، أنها وان كانت جريدة محلية إلا أنها كانت تهتم كثيراً بالأحداث الدولية : (تونس - ليبيا - تركيا - ايطاليا - بلجيكا - الهند - بريطانيا - والصين .) وكانت تنقل الأخبار عن الصحف الكبرى مثل «الممرن» «والمخبر» «والمبشر» . وإلى جانب هذا كله كانت تقدم لقرائها الأحوال الجوية .

وإذا ما قارناها بالجرائد الأخرى نجدها أكبر من عرفت بالوطن الجزائري من الناحية الشرقية حيث قامت ، بما يسمى في لغة الصحافة في عصرنا هذا ، بروبورتاجات عديدة عن الجنوب ، والشمال في مقاطعة قسنطينة . . . وعرفت بعادات السكان وتقاليد الأهالي والقرى وطبيعة الأرض والمسافات والآثار الرومانية والاسلامية . . .

موقفها من الإســلام والمسلمين في الجزائر

كان موقف هذه الجريدة من الاسلام والمسلمين في الجزائر موقفاً معادياً لا غبار عليه . وهو موقف يتضح من كتابات رئيس تحريرها المسيو قيند . Guinde الذي حاول الدخول في جدال صحفي مع جريدة الأخبار التي طالبت باحتلال الجزائريين فكرياً بعد أن تم احتلال بلادهم مادياً . ورداً على أفكار جريدة الأخبار» كتب صاحبها سلسلة من المقالات حول هذا الموضوع حلل فيه رأيه . ومن جملة ما قال :

إن الجزائريين اليوم إذ يعترفون لنا بالتفوق المادي والعلمي فإنهم ما زالوا يعتبروننا كفاراً لا نؤمن بشيء . . . ولكي نقنعهم بأن ديانتنا أصدق من دياناتهم . ولكي نحررهم حتى يدخلوا في معتقداتنا يجب علينا أن نرتكز على الاسلام نفسه الذي يدعو إلى الايمان بما جاء به موسى وعيسى من كتب سماوية . . . ويجب علينا أن نبين لهم بأن معتقداتنا أصدق وأرفع من معتقداتهم . . .»

---

* نشرت في عددها الصادر يوم13 ابريل نيسان1858 - الاعلان الثاني باللغة العربية هذا نصه :

«السيد/ مارل الساكن قرب سيدي علي بن مخلوف ، يخبر أهل المدينة انه يبيع جميع أنواع الكواغط المزوقين لتزيين البيوت على عادة العرب .»

هكذا كان ينظر إلى الاسلام . . وهكذا كان يفكر في تحويل الجزائريين عن دينهم حتى يعتنقوا دينه الأصبدق ؟؟

أما بالنسبة للجزائريين فإنها قد اعترفت ، بالرغم من موقفها المعـادي للاسـلام وأصالته ، ! ببطولاتهم في الحرب الفرنسية الايطـالية عام 1859 حيث استقبلـت (الرماة الجزائريين) بالشكر والترحيب على تلك البطولات التي أظهروها في ميادين القتال ثم عددت المعارك التي أنتصروا فيها فكان ذلك نصراً لفرنسا .

ثم تطوعت هذه الجريدة لجمع الاعانات لعائلات الأبطال الذين سقطوا في حرب ايطاليا .

جـــريدة «الافريقي» والادمـاج

جريدة الافريقي كانت في الستينات من القرن التاسع عشر ـ ترى في قضية ادماج الجزائر في فرنسا خلاف ما كانت تطالب به الصحف الأخرى . ولقد أدى بها رأيها المخالف هذا إلى الدخول في جدال عنيف مع زميلاتها «الأخبار» العاصمية و «المستقبل» L' indépendant القسنطينية «والجزائر الجديدة» العاصمية أيضاً [1].

تعرضت جريدة «الجزائر الجديدة» إلى هذا الموضوع في أحد مقالاتهـا فطالبـت بتنظيم اجتماع بين المستشارين بالعملات الثلاثة [2] لدرس كيفية دمج الجزائر نهائياً في فرنسا وردت عليها جريدة «الأفريقي» بالشكر لطرح القضية ثم عددت لها المصاعب والعراقيل التي تعترض هذا السبيل ومنها الطبيعة ، والتقاليد والعادات والديانة ، ثم برزت موقفها قائلة :

«إن ما هو موجود بالجزائر من إدارة ومعمرين وحكومة قد خلق من العدم ويرجع الفضل في ذلك إلى الحكومة الفرنسية ولذلك فمـن الأحسـن أن توضـع الثقة في السلطة ـ الباريسية ـ في خصوص ادماج الجزائر تدريجياً مع الزمن ، وذلك بتحوير في العقيدة والتقاليد .

ثم أردفت قائلة :

وإذا نحن تشددنا مع السكان فإنه سينتهي بنا المطاف إلى القضاء عليهم مثل ما وقع في الأمريكيتين . . . »

(1) بلغ توزيعها أيام هذه المجادلات (1859) 600 نسخة .

(2) مقاطعات الجزائر وقسنطينة ووهران .

ومن جهة ثانية دخلت في جدال صحفي مع جريدة «المستقبل» حول رجوع الأمير نابليون لوزارة الجزائر . . .

ومن هذه المجادلات تتجلى مقدرة صاحبها المسيو (جان قنيد) في أسلوب الجدال الصحفي والمناقشة . فقد كان يملك قلماً خطيراً في عالم الصحافة يومذاك (1)

والجدير بالملاحظة هو أن الشعب الجزائري والرأي العام الجزائري كان يعيش بمعزل عن هذه الآراء التي جعلت من نفسها معبراً عن آمال ومصير الجزائر وشعبها دون الرجوع في ذلك إلى أصحاب البلاد الشرعيين والأخذ بآرائهم في جوهر القضية - أي قضية الادماج -

جريدة «الافريقي» والحرب المغربية الاسبانية

من جملة المواقف المعادية للاسلام والمسلمين موقفها من الحرب المغربية الاسبانية فكانت مقاومة المغاربة للاحتلال والغزو الاسباني للأراضي العربية المغربية لا تعجبها حيث كانت تنظر إليها بنظرة عنصرية استعمارية . . بل ذهبت إلى المطالبة «بحقوق فرنسا في المغرب» ومعنى ذلك تقسيم المغرب بين فرنسا والاسبان وهو ما وقع فعلاً بعد ذلك بنصف قرن من ذلك التاريخ .

وفي مطالبها تلك كانت تقول ان المغرب هو الطريق الأقرب الى السينيغال . . . ولقد حاولت ، بموقف كهذا ، دفع السلطات الفرنسية الى الدخول في حرب وغزو المغرب إلى جانب الغزاة الاسبان .

ولقد دفعت بها هذه العنصرية المتكالبة على الاسلام والمسلمين الى فتح اكتتاب في شهر سبتمبر ايلول عام 1858 لجمع المساعدات الى جرحى الاسبان في حربهم ضد المغرب (2) . وهذه العصبية ، وهذا التحيز لم يمنعها من أن تكتب حلقات مسلسلة بعنوان · الحـــــرية

---

(1) من الملاحظ أن أحد خصومه الصحافيين بجريدة المستقبل ويدعى Marle مارل) اتهمه بأنه عاجز عن الكتابة وأن هناك أقلاماً وعناصر مخفية من ورائه تكتب وهو يمضي (الأفريقي) . لذلك اقترح أن تكون المقالة موقعة بأسماء الأشخاص لا بأسماء الجرائد .

والملاحظ أيضاً أن هذه المجادلات الصحافية غالباً ما تؤدي إلى طرد صحافيين من هيئات تحرير الصحف ترضية للطرف الثاني أو لأطراف متعددة .

(2) راجع «الافريقي» العدد الصادر يوم 20 سبتمبر أيلول 1859 .

ومن جهة ثانية دخلت في جدال صحفي مع جريدة «المستقل» حول رجوع الأمير نابليون لوزارة الجزائر . . .

ومن هذه المجادلات تتجلى مقدرة صاحبها المسيو (جان قنيد) في أسلوب الجدال الصحفي والمناقشة . فقد كان يملك قلماً خطيراً في عالم الصحافة يومذاك (1)

والجدير بالملاحظة هو أن الشعب الجزائري والرأي العام الجزائري كان يعيش بمعزل عن هذه الآراء التي جعلت من نفسها معبراً عن آمال ومصير الجزائر وشعبها دون الرجوع في ذلك إلى أصحاب البلاد الشرعيين والأخذ بآرائهم في جوهر القضية - أي قضية الادماج -

جريدة «الافريقي» والحرب المغربية الاسبانية

من جملة المواقف المعادية للاسلام والمسلمين موقفها من الحرب المغربية الاسبانية فكانت مقاومة المغاربة للاحتلال والغزو الاسباني للأراضي العربية المغربية لا تعجبها حيث كانت تنظر إليها بنظرة عنصرية استعمارية . . بل ذهبت إلى المطالبة «بحقوق فرنسا في المغرب» ومعنى ذلك تقسيم المغرب بين فرنسا والاسبان وهو ما وقع فعلاً بعد ذلك بنصف قرن من ذلك التاريخ .

وفي مطالبها تلك كانت تقول ان المغرب هو الطريق الأقرب الى السينيغال . . .

ولقد حاولت ، بموقف كهذا ، دفع السلطات الفرنسية الى الدخول في حرب وغزو المغرب إلى جانب الغزاة الاسبان .

ولقد دفعت بها هذه العنصرية المتكالبة على الاسلام والمسلمين الى فتح اكتتاب في شهر سبتمبر ايلول عام 1858 لجمع المساعدات الى جرحى الاسبان في حربهم ضد المغرب (2) . وهذه العصبية ، وهذا التحيز لم يمنعها من أن تكتب حلقات مسلسلة بعنوان · الحـــرية

---

(1) من الملاحظ ان أحد خصومه الصحافيين بجريدة المستقبل ويدعى Marle مارل) اتهمه بأنه عاجز عن الكتابة وأن هناك أقلاماً وعناصر مخفية من ورائه تكتب وهو يمضي (الأفريقي) . لذلك اقترح ان تكون المقالة موقعة بأسماء الأشخاص لا بأسماء الجرائد .

والملاحظ أيضاً أن هذه المجادلات الصحافية غالباً ما تؤدي إلى طرد صحافيين من هيئات تحرير الصحف ترضية للطرف الثاني أو لأطراف متعددة .

(2) راجع «الافريقي» العدد الصادر يوم 20 سبتمبر ايلول 1859 .

رابعاً ـ المستقل . .

المستقل ... L'INDEPENDANT

صدى قسنطينة . . Echos. de. constantine

جريدة سياسية ادبية تجارية وزراعية .

journal politique litteraire commercial et Agricole

3 يونيو حزيران 1859

هي جريدة ذات اتجاه جمهوري . ظهر العدد الأول منها يوم 3 يونيو حزيران عام 1859 بمدينة قسنطينة . وحددت أيام صدورها : يومي الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع .(*)

أما بالنسبة لحجمها فانها تصدر في حجم جريدة «لوموند» الفرنسية .

إخـــراجها وعناوينهـــا

كانت تقسم مادتها الى ثلاث أعمدة مع قصة مسلسلة وتخصيص الصفحة الأخيرة للاعلانات .

إهـــتماماتها :

في هذه السنة التي انشئت فيها جريدة «المستقل» سنة 1859 أعلنت الحرب النمسوية الفرنسية حول ايطاليا . وكان بالطبع أن تهتم هذه الجريدة بهذه الحرب الأوروبية ، التي تمثل فرنسا أحد أطرافهـا ، فتنشر أخبـار الحـرب وسـير المعـارك وانتصارات الجيوش .

وبالرغم من أن الفيلق الجزائري 1e 5e de Zouave بالجيش الفرنسي كان يخوض هذه الحرب جنبا الى جنب مع الفيالق الفرنسية بقيادة الأمبراطـور نابليون ـ فانهـا

* قام بانشائها اثنان من الأوروبيون أحدهما يدعى L. MARLE والثاني ALEXIS LAMBERT وقد لعبا الاثنان دورا خطيرا في الجزائر المستعمرة .

كانت تمدح الجيوش الفرنسية باستمرار دون الحديث عن أبطال الجزائر ولا عن الانتصارات التي حققوها لفرنسا بانتصاراتهم على الجيوش النمسوية في Montebello Palestro Seria على الخصوص . كانت هذه الجريدة تخصص العمود الأول للبرقيات الواردة من أوروبا حول الحرب المذكورة ، دون أي تعليق عليها .

أما بالنسبة للمواد الأخرى فليس بها استثناء يذكر فهي عادية في كل شئ ، أخبار عن بناء السكك الحديدية ، ومقتطفات عن الصحف الباريسية ، وبعض الحلقات المسلسلة .

مشكل وجود العرب في الجزائر

عندما تكاثرت الجالية الاوروبية في الجزائر بدأ الاوروبيون يتساءلون عما يجب العمل بالعرب الموجودين في الجزائر حتى يبقى الميدان فسيحا لهم .

فهل يجب ادماجهم في المجتمع الاوروبي ؟ أو هل يجب اجبارهم على التدين بالديانة المسيحية ؟ أو هل يجب طردهم من البلاد ؟ وأبعادهم الى الصحراء ؟ أو يجب تجنيسهم ؟ . . او غرقهم بملايين المهاجرين ؟ . الخ

وكان لا بد لهذه الجريدة أن تحلل هذه التساؤلات وأن تدلي برأيها في الموضوع لأنها تمثل جزءا من الرأي العام الاوروبي .

فقالت بالنسبة للتجنيس :

ليست المسألة في التجنيس بالطرق الاجبارية . ولكن باعداد الوسائل له وتلك الوسائل تتمثل في القضاء على الاقطاعية وتوزيعها على الأفراد . (*) وانشاء الملكية المتنقلة التي تمثل روح العائلة ، ثم بتطور التعليم وربط الاتصالات الاجتماعية .)

وتدعم هذا الرأي بأقوال نابليون بخصوص العرب ، فتقول :

يجب رفع العرب الى كرامة الرجل الحر ، ونشر بينهم التعليم كل ذلك مع احترام دياناتهم ، وتحسين شؤون حياتهم باستخراج الكنوز التي خزنتها الطبيعة في هذه الأرض .)

هذه الأسباب تؤكد بأن تجنيس العرب غير ممكن بالطرق المقترحة ، «ولكن التجنيس ممكننا مع طول الزمن لو كان لدينا هنا بدلا من 200,000 نسمة من الجالية

* القصد بالاقطاعية هنا هي الملكية الجماعية للارض التي لم يستطع الاستعمار تشتيتها .

الاوروبية عدد أكبر يعادل الأهالي ، فالقضية عندئذ يتم حلها بسرعة ، وعندما يتغلب العنصر التقدمي يخضع له العنصر العربي ويندمج في ثقافتنا(*) »

ثم تسترسل في الحديث عن تحويلهم من عبادة الدين الاسلامي الى التدين بالمسيحية فتقول :

قلتم من أجل تمدنهم (يجب تحويل الأهالي الى المسيحية وهي وحدها التي تستطيع أن تضمن لنا النصر . .) اذن هذه هي كلمتكم الأخيرة .

آة فارسلوا في طلب الارساليين كما قلنا لكم ليقوموا بنشر الانجيل بين العشائر ـ ولكن المسلم محافظ على معتقداته ولا يذهب لأداء اليمين إلا هو أكبر خشوعا وتأثيرا ، ولا يريد الاعتقاد في المعجزات ـ اذن فلا يلوم الا نفسه . ـ اليس معنى هذا اجباره ؟نعم لأنه الطريق الوحيد لتمدنه . فالذين يرفضون يغادرون البلاد بل نساعدهم على الذهاب والاستقرار بالصحراء أما المشوشين منهم فننقلهم الى «كايان» لكن أيها السادة نسيتم كلمات الأمبراطور نابليون : يجب احترام ديانة الأهالي «أنسيتم أن فرنسا هي البلد الأكبر للتسامح والتساهل واذا حاولنا المس بمشاعر المغلوبين فانها ستغضب لذلك . »

ثم ختمت كلمتها بالعبارة التالية :

«إن شعباً يتألم من معتقداته يقبل الموت ولكن لا يتراجع عنها . » ان هذه المناقشة لا تحتاج الى تعليق فهي كافية لالقاء بعض الأضواء عما كان يضمره الاوروبيون للجزائريين وما كانوا يسطرون من سياسة جهنمية قصد القضاء على شعب الجزائر .

موقفها من حرية التعبير

الصحافة والمجالس القضائية :

بعد اعلان الجمهورية الثالثة وأخذت الصحافة حريتها الواسعة في النشر والتعبير ، وقبل أن تظفر بقانون الصحافة عام1881 تعرضت للاضطهاد وأحكام المحاكم والمضايقات القضائية . حيث عرفت الصحافة قاعات المحاكم والغرامات المرهقة بشكل عجيب . لهذا كتبت «المستقبل» مقالا عبرت فيه كما يلي :

(*) كتب هذا التعليق أحد محريرها المشاهر يدعى THUILLIER وكان بعنوان تجنيس العرب LA NATURALISATION DES ARABES في العدد157 .

ان اجراءات المحاكم الجزائرية في القضايا الصحافية تحتم علينا أن نفتح ركناً خاصاً للمتابعة التي يتعرض لها زملاءنا (1) ثم نستعرض قائمة الصحف التي تعرضت لاحكام المحاكم مع التعليق المناسب .

ولقد تعرضت هي بدورها الى مضايقات لا تحصى من طرف المحاكم الأمر الذي أدى بها الى التوقف من الصدور بعد معركة بينها وبين Courrier de Bone ولقد بلغ مجموع الغرائم التي سلطت عليها 2680 فرنكا وكانت هذه الغرائم سبب توقفها عن الصدور في مطلع شهر أكتوبر 1874 . ثم استأنفت بعد مدة .

واستأنفت الصدور بين الصحف الفرنسية التي كانت تصدر في عمالة قسنطينة وكان عددها يقارب العشرين صحيفة .

شاركت في الحملة الانتخابية وناصرت Treill et Thomson ـ الذي أصبح فيما بعد مديرا لها ـ و Lesueur الذي كان رئيس المجلس العام لعمالة قسنطينة (2) .

موقفها من الصحافة

على ذكر موقفها من حرية الرأي والتعبير وأحكام المحاكم ، نرى من الأفيد أن نقدم نموذجاً من مقالاتها حول الصحافة وانشائها وتشجيعها . كانت عبرت به عن رأيها يوم توقفت جريدة l'observateur البلدية عن الصدور بقرار من صاحبها المسيو (بيهاغل) Behagel .

وبتقديمنا لهذا النموذج نريد أن نترك لها الكلمة لتعبر هي ذاتها عن مواقفها وبذلك نأخذ صورة حية عن طرق معالجتها لقضايا (المستعمرة) الجزائر .

وها هو النموذج :

علقت «المستقل» القسنطينية عن توقف L'observateur البلدية فقالت : قال لافونطين «لا شيء انها امرأة تغرق نفسها» انها نشرة جزائرية ، هي «المراقب» البلدية وضعت حدا لصدورها بنفسها . وتركت بالتقريب هذه الوصية «لا شيء انها جريدة للبحر» .

(1) انظر جريدة L'Indépendant العدد الصادر يوم 2 يوليو 1875 وانظر Revue Africaine الجزء الأول والثاني لعام 1959 .

(2) كانت تسحب 2500 نسخة واشتهرت بأنها جريدة انتفاعية . اي جريدة مصالح .

بالتأكيد ليس لنا الحق أن نظهر الأسف أكثر من صاحب جريدة المراقب البليدية. ولكن أليس من اللازم أن نضع بعض الزهور على هذا الضريح الجديد ومطالبة هذا الميت المتطوع بكل تجاربه.

متطوع، ماذا قلنا؟ ان زميلنا شرح انسحابه بكل وضوح لكي لانخطىء في الأسباب التي أدت الى ذلك اليكم كلمة الوداع(*):

وبعد أن نقلت كلمة الوداع التي كتبها (بهاغل) صاحب المراقب البليدية. استخرجت بعض الملاحظات التي استحقت التعليق التالي فاسترسلت تقول:

أليس من المستغرب بأن فقدان الجريدة البليدية يرجع الى إنشاء الخط الحديدي الرابط بين هذه المدينة ومدينة الجزائر؟.

وهكذا يبدو أن هذه الآلة البخارية Locomotive التي يحيي بخارها كل شيء تبدأ بخنق «المراقب» وقتل الصحافة والفكر.

لكن الحقيقة، هي أن الخط الحديدي كان ليطور التعبير ويزيد في القوة لو وجد في البليدة عدد كبير من الرجال الأذكياء لفهم ضرورة وجود نشرة محلية في البلد.

ويمكن (لهذه المدينة)... بقليل من الرجال المجربين لهم الكرامة - أن تملك جريدة وصحافيين للدفاع عن مصالحها المستعجلة.

وهذا الاستغناء يستغرب له أولئك الذين لم ينسوا بأن البليدة كانت مقراً لفرقة الجزائر. فمنذ بعض الوقت كتب المراقب مقالا من أروع ما يكتب مطالبا بابدال مقر العمالة الى البليدة. وهي نظرية تستحق الدفاع وقد وجدت المناصرين لها -.

هل سكان مدينة البرتقال الذين ترسل اليهم جريدة «الأخبار» نسخ مقابل ما تبقى لهم من اشتراكات في جريدة «المراقب» - يتصورون بأن الممرن، الجريدة الرسمية، والبريد سيتركون أنصارهم وأمور البليدة «للاخبار» أن هذا سيكون من البلاهة؟

يدعـــو للتضامن ويقـدم الامـــثلة

يجب موافقة بعض القلوب وبعض الطاقات من أجل مناصرة نشرة ضرورية ومن أجل اعانة الرجل الشجاع الذي يحاول خلقها ومتابعتها ان مثل هذه الجهود تبدو أكثر

(*) نقلت هذا النص بحذافيره جريدة «بريد الجزائر» في عددها الصادر يوم 26 أكتوبر تشرين الأول 1862 ص 1 عمود 1.

من طاقات البلدية .

ومع هذا فان المستعمرات (والقصد هنا قرى الاستيطان)(1) قد أعطت للمثل الصالح للاقتداء .

وأنه يمكن دون الرجوع إلى الوراء كثيراً ، يمكن أن نذكر جريدة الجزائر الجديدة ، التي كانت تمون لمدة طويلة من طرف اصدقائها . ويقول القائل أنها ماتت وهذا صحيح ، ولكن تحت الصواعق الحكومية .

فاذا سمح لنا الحديث عن قسنطينة سنذكر فترة كانت فيها جريدة المستقل مهددة في حياتها بعدم اعطائها الاعلانات الشرعية ، استعانت باكتتاب تجاوز العشرة الآف قدمت هدية تلقائياً من معظم سكان المدينة . ولقد استطاعت بهذا التأييد المادي لهذه المظاهرة أن تحافظ على راية الحرية بين أيديها والمصالح المحلية التي انشئت هذه الجريدة من أجل الدفاع عنها .

ومنذ أيام وعندما أسس المسيو Duval جريدة L'économie Française ألم يطلب اكتتاب دون اعادة مع صراحة مشكورة ؟ ونرجو أن تكون المستعمرات (قرى الاستيطان) قد أجابت على هذا النداء . فيناصرون بعضهم .

ففي أمريكا وبريطانيا وبلجيكا وسويسرا يناصرون بعضهم بانشاء الشركات التي لا تتراجع أمام أي تضحية عندما يكون الأمر نشر مبدأ أو وسيلة أو حقيقة .

وبهذه الشروط فاذا كان هناك شرف في القبض فانه ليس أقل منه في العطاء .

وبهذه المجموعة من الجهود والاخلاص ، الفكر يسير والنقاش يخلق ، والنهار يطلع في عالم الأفكار . والمصالح تحدث الانتباه وتأخذ مكانها الذي يعود لها شرعاً .

وانتهت إلى القول :

ونقول باخلاص أن البليدة ليس لها أن تحزن عند مشاهدة جنازة «المراقب» وفي كل الحالات فان هذه النشرة تستحق مصيراً أحسن . (2)

هكذا كانت ترى هذه الجريدة كيف يمكن أن تنشر الصحف في (المستعمرات الفلاحية) أي القرى الفلاحية للدفاع عن المصالح الخاصة بهذه القرى .

---

(1) الكلمات الموجودة بين قوسين من وضع المؤلف .

(2) كتب هذا التعليق Marle صاحبها ورئيس تحريرها ونقلته عن «المستقل» جريدة «بريد الجزائر» يوم 26/ 10/ 1862 .

عدد الصحـــف في قســنطينة

في حدود سنة 1890 كانت تصدر بمدينة قسنطينة وحدها تسع جرائد ما بين يومية وأسبوعية ونصف شهرية نرتبها كالتالي :

خامساً ـ Le Républicain الجمهوري .

أنشئت عام 1879 واستمرت في الصدور الى تاريخ 1890 بدون انقطاع حتى صارت تصدر خمس مرات في الأسبوع إلى يومية وكان مديرها يعدى Forcioli وقد انتخب فيا بعد نائباً بمجلس الشيوخ عام 1890 وكان رئيس تحريرها يدعى Morinaud مورينو

كانت تهتم بمصالح البلديات والعمالة ـ المحافظة ـ وكانت ذات اتجاه «راديكالي» ، وتسحب 1200 نسخة من كل عدد .

سادساً ـ L'entracte «الاستراحة»

بدأت في الصدور عام 1883 وتظهر نصف اسبوعية . كانت تباع بـ 10 سنتيم للنسخة .

وكانت هذه الجريدة تمثل برامج للمسرح والنقد والادب . وكان مديرها ورئيس تحريرها يدعى . . . . Drago .

سابعاً ـ Progrès. De L'Afgerie التقدم الجزائري .

هذه الجريدة ليست معروفة الاتجاه . الا أنها كانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع . وقد ظهرت الى الوجود عام 1887 (قيمة النسخة 10 سنتيم) وكان مديرها يدعى Schwod وهو لا شك من أنه كان من أصل الماني .

ثامناً ـ La Rèvolution .

جريدة الثورة الاجتماعية هذه انشئت عام 1889 على أساس أنها تصدر مرتين في الشهر وكان يديرها المسيو . Schwob . الذي كان يدير جريدة Progrés . social .

ولقد كان اتجاهها اجتماعيا حيث كانت لسان حال العمال يومئذ وكانت تباع بـ 10 سنتيم للنسخة .

تاسعاً ـ Le combat

بدأت تصدر هذه الجريدة في مدينة قسنطينة عام1889 وكانت لسان حال الاشتراكيين هناك وتصدر أسبوعيا .

عاشراً ـ Le. Clairon Boulan giste

بدأت هذه الجريدة الحياة الصحافية عام1889 وكانت تمثل مطالب ووجهات نظر الجناح الوطني من اوروبيي قسنطينة .

حادي عشر ـ Les Chroniques Algeriennes

أنشئت هذه الجريدة في نفس السنة التي انشئت فيها الجريدتين السابقتين (1889) وتصدر نصف شهرية تهتم بالفن والأدب وقد بدأت حياتها في هذا الميدان .

ثاني عشر ـ Bulletin. des colons

جريدة «نشرة المعمرين» كانت تصدرها (الجمعية الجزائرية لحماية المعمرين ومستقبل الجزائر) ونحن اذ لم نطلع على نسخة منها لنعرف اتجاهها فان اسم هذه الجمعية التي كانت تصدرها يغني عن كل تعريف بالجريدة .

كانت هذه هي الصحف التي عرفتها قسنطينة في السنوات التسعين .

وطبعا فان جريدة المستقل كانت في طليعة صحف المقاطعة . (٩)

أشـــهر كـــتابها

من أشهر كتابها نجد :

LOUISMARIE ـ وهو صاحبها ورئيس تحريرها

ALAXEIS Lembret ـ من المساهمين في انشائها ثم تولى منصب عامل عمالة عناية ثم عامل عمالة وهران .

A . GOUAULT ـ سكرتير تحريرها .

EMIL THUILLIER ـ كان يكتب التعاليق .

L . JEANTET

D . Enroique

Marcel LUCET .

(٩) استقينا هذه المعلومات من دليل الصحافة الفرنسية والأجنبية وعالم السياسة .

تاسعاً ـ Le combat

بدأت تصدر هذه الجريدة في مدينة قسنطينة عام 1889 وكانت لسان حال الاشتراكيين هناك وتصدر أسبوعيا .

عاشراً ـ Le. Clairon Boulan giste

بدأت هذه الجريدة الحياة الصحافية عام 1889 وكانت تمثل مطالب ووجهات نظر الجناح الوطني من أوروبيي قسنطينة .

حادي عشر ـ Les Chroniques Algeriennes

أنشئت هذه الجريدة في نفس السنة التي انشئت فيها الجريدتين السابقتين (1889) وتصدر نصف شهرية تهتم بالفن والأدب وقد بدأت حياتها في هذا الميدان .

ثاني عشر ـ Bulletin. des colons

جريدة «نشرة المعمرين» كانت تصدرها (الجمعية الجزائرية لحماية المعمرين ومستقبل الجزائر) ونحن اذ لم نطلع على نسخة منها لنعرف اتجاهها فان اسم هذه الجمعية التي كانت تصدرها يغني عن كل تعريف بالجريدة .

كانت هذه هي الصحف التي عرفتها قسنطينة في السنوات التسعين .

وطبعا فان جريدة المستقل كانت في طليعة صحف المقاطعة . (9)

أشـــهر كـــتابها

من أشهر كتابها نجد :

LOUISMARIE ـ وهو صاحبها ورئيس تحريرها

ALAXEIS Lembret ـ من المساهمين في انشائها ثم تولى منصب عامل عمالة عنابة ثم عامل عمالة وهران .

A . GOUAULT ـ سكرتير تحريرها .

EMIL THUILLIER ـ كان يكتب التعاليق .

L . JEANTET

D . Enroique

Marcel LUCET .

(9) استقينا هذه المعلومات من دليل الصحافة الفرنسية والأجنبية وعالم السياسة .

اهـــم المراجـــع

1 — Revue Africaine T.C. III 1er et 2ème trimestre 1959.

la presse algérienne de 1870 à 1900.

par Madame SERS GAL

2 — ANNUAIRE de la presse française et étrangère. Paris 1890.

Emile Merment. fondateur

Henri AVENL Directeur

3 — Journal : L'Indépendant. Collection de 1859-1860.

4 — Journal : Courrier de l'Algérie. Collection de 1862.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الاهداء........................ 6
كلمة شكر وتقدير........................ 7
كلمات نقد في الجزء الأول........................ 8
الجزء الأول من كتاب تاريخ الصحافة في الجزائر في نظر د . محمد سعيد محمد. 9
الجزء الأول من كتاب تاريخ الصحافة في الجزائر في نظر الأستاذ زين العابدين الكتاني........................ 12

الفصل الأول :
تمهيد ومدخل........................ 17
قيل في الصحافيين........................ 19
تمهيد........................ 20
بيجو والصحافة........................ 26
مدخل........................ 27
قانون الرقابة أو قانون الحقد........................ 28
تجاهل المقاومة والحرب........................ 29

الفصل الثاني :
صحف العاصمة ومدن الوسط........................ 31

البحث الأول :
جريدة الجزائري........................ 33
البرنامج السياسي........................ 35

البحث الثاني :
المجلة الطبية........................ 37

البحث الثالث

الجمعية التاريخية الجزائرية 41
المجلة الافريقية 44
أول جزائري يحتل منصب العضوية 46
الخلاصة 48

البحث الرابع :

جريدة الدربوكة 49
البيان المبدئي 50
كلمة حول المسرح 53
الشجرة التي حكم عليها بالإعدام 54

الفصل الثالث :

جريدة الجزائر الجديدة 55

البحث الخامس :

الجزائر الجديدة 57
فريق قوي وبرنامج واسع 59
أسلوبها في التعبير 60
جدال عنيف بين الأخبار والجزائر الجديدة 60
ميولها السياسية 62
موقف الجزائر الجديدة من الجزائريين 63
نظرتها إلى اللغة العربية 63
موقفها من التجنيس 65
تجنيس الأهالي 66
موقفها من الإدارة والهجرة 67
النصيحة 69

البحث السادس :

الرامي الجزائري 72

أسباب إنشائها 73

افتتاحية العدد الأول 74

الاهتمام بكل ما هو جزائري 76

ركن المسلسلات 78

من معارك القلم إلى براز بالسيف 79

العرب في الصحافة الفرنسية 80

اسلوب الرامي الجزائري في الكتابة 81

الهدنة والصلح 81

وهذا نموذج ثاني 82

الاعلان عن توقفها 82

تغيير في اللهجة لا في العواطف 83

الجزائري 83

فريقها الصحفي 84

البحث السابع :

المجلة الفلاحية 85

زرع الجزائريون التبغ منذ القدم 89

انتاج الحصان العربي 89

فريقها الصحفي 90

الجزائر الفلاحية 91

أهدافها 93

فريق تحريرها لعام 1901 94

الفصل الرابع :

البحث الثامن :

بريد الجزائر 97

مميزها الزمني 100

مميزها المكاني 100

العوامل المساعدة 101
العناصر التي كانت مصدر متاعب لها 101
استقلالها عن الإدارة والمعارضة 102
الفريق الصحفي 104
المنهج السياسي 107
التصدير الأول 108
الرأي 110
الحديث إلى الجمهور 110
المقالة السياسية 111
خبر وتعليق 117
قرار25 يوليو 1860 119
الاعلانات أو الحياة الاجتماعية 120
المؤلفات 121
شارل دوغبرل 123
تأثيره في الجريدة وفي الرأي العام 126
الخلاصة 128
المراجع 129
الفصل الخامس : 131

البحث التاسع :
جريدة المراقب البليدة 133
مدينة البليدة وظهور الصحافة فيها 134
جريدة المراقب 135
آلة البخار تقتل الصحيفة والفكر 148
لن يكون صحفياً إلا رجل شجاع 148

البحث العاشر :
صحف المدينة 151

جريدة المتيجة 151
جريدة الاقتصاد الفرنسي 152
بهاغل ونشاطه الصحفي 153

البحث الحادي عشر :

جريدة التل 155
الإداريون يكرهون الصحافة 157
جريدة تتسبب في اعلان الطوارىء 157
بعض الصحف 159
أبوابها ومحرروها 162

البحث الثاني عشر :

صحافة قسنطينة 164
الصحف الأولى : جريدة قسنطينة 165
تقدم قسنطينة 167
الأفريقي 167
المستقل 172
مشكل وجود العرب في الجزائر 173
موقفها من حرية التعبير 175
موقفها من الصحافة 175
يدعو للتضامن ويقدم الأمثلة 176
عدد الصحف في قسنطينة 178
أشهر كتابها 179
أهم المراجع 180

انتهى بحمد الله

الجزء الثاني من تاريخ الصحافة في الجزائر

ويليه الجزء الثالث . . . باذن الله

تصميم الغلاف والاخراج

الفنان : مصطفى الجندي

هذا الكتاب
من تصوير
دحماني يوسف
استاذ مادة التاريخ
29 OCT. 2016

طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
مركب الطباعة ـ رغاية
الجزائر : 1982

بلدية تلمسان
المركز الثقافي البلدي

مكتبة المركز الثقافي
أمين المكتبة
فلاوسن
13620

هذا الكتاب
من تصوير
دحماني يوسف
أستاذ مادة التاريخ

29 OCT. 2016

السعر: 19,00 د.ج